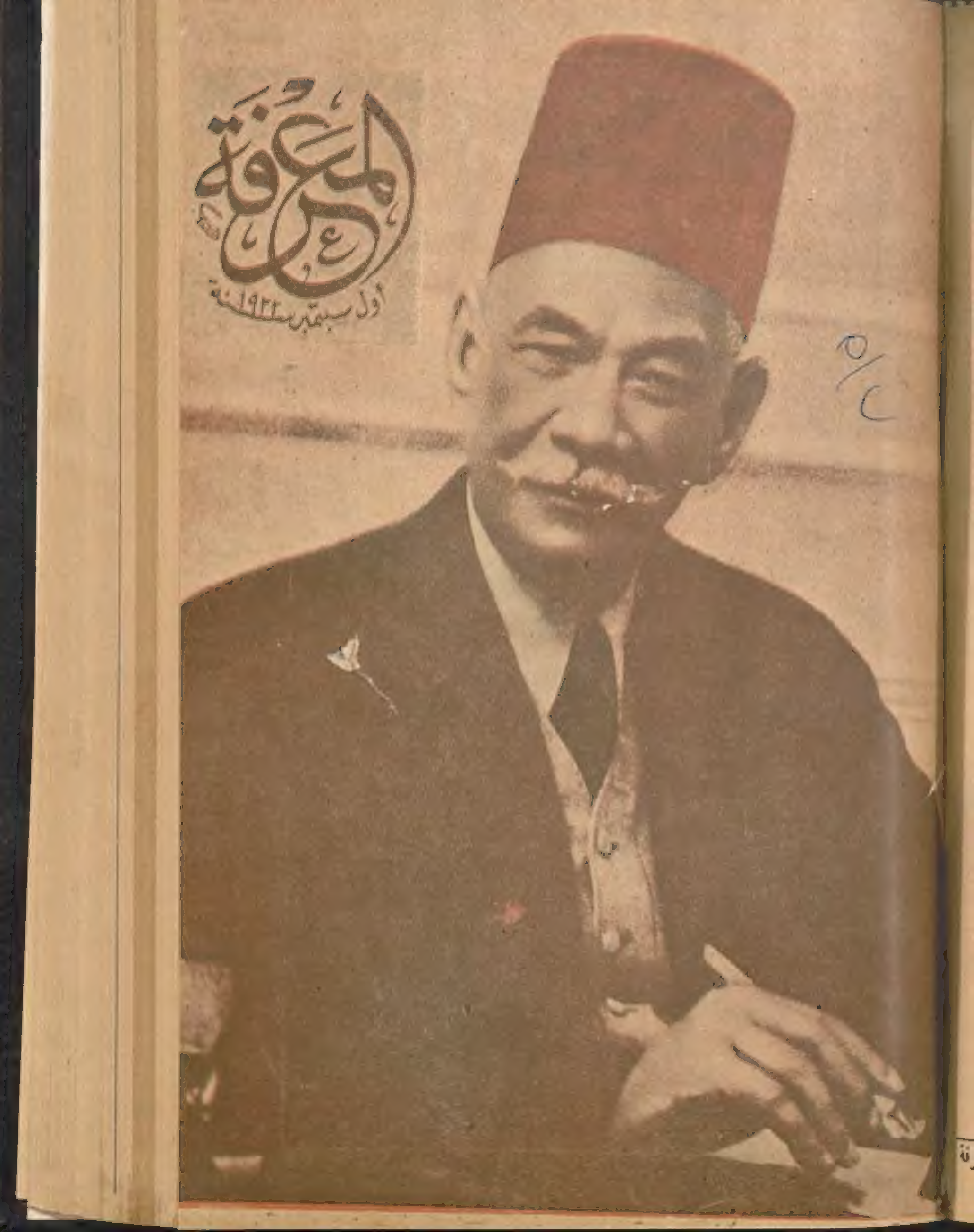

المعرفة
أول سبتمبر سنة ١٩٣٢

المعرفة

مجلة — شهرية — جامعة

تصدر في أول كل شهر افرنجي

وتقدم لمشتركيها هديتين علميتين فى آخر السنة

صاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولي

الاشتراك السنوى	
	مصر والسودان ٥٠ قرشا
	فى خارج القطر ٧٥ قرشا
	أو ١٥ شلنا انجليزيا
	أو ١٠٠ فرنك فرنساوى

« يخصم للطلبة والمدرسين ٢٠ ٪ »

« اشتراك نصف السنة بنصف القيمة »

« وكل طلب اشتراك غير مصحوب بالقيمة لا يلتفت اليه »

المكاتبات	مركز الادارة	الاعلانات
تكون باسم محرر المجلة	شارع عبد العزيز رقم ٤ بالقاهرة	تخابر بشأنها الادارة

AL-MAAREFA

An Arabic Monthly Review

4, Abd-el-Aziz Street

CAIRO

الادارة الجديدة
لمجلة المعرفة
رقم ٤ بشارع عبد العزيز
٢٩-٦-٥٨
بالقاهرة

في تصوير الاطفال



طفلة تفكر : للرسامة الآنسة سلوم



طفل يستعد لتناول طعام الفطور للرسامة مدام جنسن



فتاة مع هرتها : للرسامة مدام هيلين ليفرانسكو



ل المساحة : للرسام فكتور جلبرت



تصوير الشباب : فتاة في المنزل : للرسام الفرنسي كوتيني



يوم غسيل الملابس في احدى القرى اليابانية



ساعة السرور عند الاطفال في الهند



فرقة من الموسيقيين والراقصين في قرى كشمير

غرائب العادات الشرقية

قامت من فرنسا بعثة علمية
راسة العادات والأخلاق
شرقية ، وقد قامت
نفقاتها شركة أسيارات
ستروين) الشهيرة ، وكانت
لبعثة بقيادة مسيو جورج
هاردت المستكشف الشهير ،
ولكن الأجل وافاه عند
وصوله إلى هونج كنج بالصين ،
فأقامت له الحكومة الفرنسية
معرضا لذكراه ، وعرضت فيه
المجموعات التى حصل عليها ويرى
القارىء بعض هذه المجموعات
الشرقية على صفحتى ٥١٧ و ٥١٨



قسيس بوذى من التبت ويرى مبتسما للمصور



إحدى طرق نقل الطيور الداجنة
فى جزائر الهند الشرقية



قارب يسير بواسطة أربعة رجال
فى بكين بالصين



جماعة من الأفغانيين

وهى احدى مجموعات الرجال



راقصان أفغانيان

ويلاحظ أن كل قبيلة أفغانية لها رقص خاص بها



مقابلة فى إحدى حدائق كيونو (اليابان)



أحد رجال الاسكيمو مع طفله فى قارب بخليج هدسون



« مارتین لوتر »



« توماس هود »



الأستاذ إحسان سامى حقى
أستاذ الأدب العربى بجامعة عليكرة بالهند
ننشر صورته لمناسبة مقاله عن
« اليابان ونظمها التعليمية »

الدكتور على عبد الواحد وافى
اقرأ مقاله المنشور
فى هذا الجزء بعنوان
« الفرق بين اللعب والعمل »

السيد طه السقاف العلوى
من كبار الأساتذة بسنغافورة
ننشر صورته لمناسبة مقاله عن
« الأدب الحضرمى وعلاقته بعصر »



الجزء الخامس
السنة الثانية

المعرفة

فى سبتمبر سنة ١٩٣٢
ربيع الثانى سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولى

العدد ١٧ | شعارها . اعرف نفسك بنفسك | عدد الثالث

سعد زغلول

المثال النادر بين الرجال الخالدين

[كتبت يوم ٢٣ أغسطس ١٩٣٢ ، لمناسبة الاحتفال باحياء الذكرى الخامسة لوفاته]

رجولة سعد . . .

وقف المؤرخ الألمانى (أميل لدويج) حيال قبر (نابليون) فى (الانفاليد Invalides) فى ر يكتب رسالته المستفيضة عنه ـ وكانت المقبرة زاخرة بجماهير الوافدين عليها من كل فج ، لتشهد هذه الرموس التى تضم أجداثاً ما تزال أسماء أصحابها داوية فى كل أذن ، جارية على كل لسان ـ فكان من شأن (لدويج) أن هتف بهذه الجماهير ـ وهو يشير بكلتا يديه إلى مقبرة الامبراطور العظيم ـ قائلا : « أيها السادة : طأطئوا رءوسكم ، فهذا هو الرجل . . . !! »

وها هى ذى الرواية بنفسها تنتقل من باريس لنشهدها فى القاهرة ؛ فكلما وفد على قبر « سعد » وافد ، وكلما انتهى إلى ضريحه زائر من أى جانب من جوانب الأرض . لا يستطيع إلا أن يردد الكلمة الرائعة التى تخيرها (لدويج) ، فيقول لأولئك الذين تحتشد بهم مقبرة « سعد » فى كل ساعة من سواع النهار : « أيها السادة : طأطئوا رءوسكم فهذا هو الرجل ! » .

ذلك لأن رجولة « سعد » كانت طليعة ميزاته ، كما كانت باكورة خصائصه جميعاً .

وإذا كانت رجولة (نابليون) قد اكتملت له فى تلك المرحلة التى أراد فيها اجتياز سهول (الألب) لينال أطماعه من إخضاع (روما) لنفوذ الفرنسيين ، بينما كانت هذه السهول

مستعصاة - حتى على الرواد الذين زادوا احتيازها فى أناة واتئاد - . وإذا كان ذلك الرجل الفرنسى قد بلغ فى تلك المرحلة غاية الشأو من أحلامه ومن أمانيه : فإن رجولة « سعد » قد اكتملت له فى المرحلة التى اندفع فيها - وكان شاباً موفور الشباب - مع الذائدين عن وطنه فى ثورة عرابى ... حتى إذا ما انتهت الثورة ، وانتهى معها ذلك الدوى الذى أحدثته فى كل جانب من الدنيا ؛ بقيت هذه الرجولة تحفز « سعداً » إلى أن يتحين لفرصة السانحة ليهتف بأمانى أمته ، والنداء بتقرير مصيرها وتحقيق مكانها بين الشعوب ... حتى إذا ما واتته الفرصة السانحة بعد الحرب - وكان الرجل قد جاوز مراحل الفتوة ، وسن الشباب والقوة - لم يجد من نفسه مايمنعه من احتقار العسف ، وازدراء الجبروت ، ومحاربة القوة الغشوم ، والهتاف بهذا الأمر الذى بقى حتى اليوم قواراً دوياً ، جامحاً قوياً .

هذه الرجولة فى « سعد » لم تكن وليدة التصنع ، ولا ربيبة الانفعال الوقتى ؛ وإن كانت بعض نفسه ، وإنما كانت واحدة من جوارحه التى درج معها وخلقت معه .

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى مكنت له أن يقود الجماهير ، لأن الرجل الكامل لا يستطيع أن يستغلب لنفسه جانباً من جوانب الضعف ، وإنما يتحين صفات الرجولة الواضحة الصريحة ليطلع بها على الجماهير ، حتى يعلم كل فرد أنه المثل الكامل ، وأنه القدوة المنشودة

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى أتاحت له أن يتعرف إلى كل شىء ، وأن يكون عرفانه لكل شىء قائماً على حقيقة واحدة ، هى قياس الأمور قياساً منطقياً صادقاً بعيداً عن المغالاة ، حتى يضمن لأمته وجوه الفوز فى كل ما يلابس من هذه الأمور ، وحتى ينأى بأمته عن هذه الوجوه الغامضة التى لا تتفتح عن بشر ، ولا تفصح عن دوين .

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى حببته إلى مواطنيه ، وحببته إلى كل شرقى ، وحببته إلى كل أمة تنشد الحياة حرة طليقة ، لأنها خلعت عليه إهاباً من القوة حين يريد أن يزأر ، ولوناً من الامتاع حين يريد أن يسمر ، وفيضاً من السداد حين يريد أن ينتقم ويثأر

وهذه الرجولة فى « سعد » قد واتته - آخر الأمر - بألوان من الخصائص ، فيها ما يستطيبه الرجل المثقف ، وفيها ما يلذ رجل الشارع ؛ وتلك ميزة « الرجل الكامل » الذى يستطيع أن ينفذ برسالته إلى الشغاف ، ويدع لها فى كل قلب مستقراً .

والخلاصة أن رجولة « سعد » كانت مبر ميزته ، وأطيب خصائصه ، لأنها خلقت عنه حياة كلها صراحة ، وكلها نفع ، وكلها خير .

صراحة سعد ...

أما صراحة « سعد » فحسبك منها تلك الثورة الهائلة القوية التى مزق بها ستر المستعمرين ، والتى نم بها كل عاطفة من عواطفهم الشريرة المستورة ... حتى إذا ما شاء أن يطلق على

خصومهم لقباً يعرفهم به إلى الأجيال. ولم يحدث أنه [illegible] من شعب
الشعوب، لم يكن من شأنه أن يعترف بالحق في [illegible] خصومه، وأن يثني عليهم بصفة
« الخصوم الشرفاء المعقولين ». وحسبك من هذه الصراحة أن يتصدى رجل على ضعف [illegible]
ذلك الضعف الحربي الذي لا تستطيع معه أن تشهر الأمة غير سلاح الحق، وسيف الحجة.

وإذا كانت هذه الصراحة قد استغلها بعض المواطنين في حياة « سعد » وإذا كانوا
قد حملوها أعباءً من الريبة والتحقير. فما من ريب في أن [illegible] حتى يومنا هذا [illegible]
سديد، لأن أحداً من رجال السياسة لم يثن على خصومه لأحد إلا أنها خصومة شريفة،
ولم يدع إلى قتالهم بالمدفع والسيف، [illegible] في عصر [illegible]
الناس والقوة الغشوم إلا أن تكون في وحدة [illegible] الجماح

وحسبك من هذه الصراحة أن « سعداً » لم يكن من أولئك الذين يلعبون على الحبلين.
ومن أولئك الذين يلطمون [illegible]. وإنما كان يجري [illegible] في خصومه وشيعته على السواء،
لأنه يريد من خصومه أن تكون خصومتهم قائمة على [illegible] من الصدق. ويريد من أشياعه أن
يكون انتصارهم له وليد عاطفة صادقة لا [illegible] مشدودة. و[illegible] مرجاة.

وحسبك من هذه الصراحة أن « سعداً » لم يكن من [illegible] الذين لا يقدرون [illegible].
ولا يضعون أيديهم في أيدي أعداء الأمس القريب. وإنما كانت [illegible] تنشد
الوحدة والاتحاد، وتنشد معهما الصدق في القول، والإخلاص في العمل. [illegible] وأولئك الذين
كانوا يستمعون إلى « سعد » خطيباً [illegible] ويرون له [illegible]
يقذف على رءوسهم صيباً من نار الحرقة. [illegible] رءوس [illegible]
وأولئك قد أدهشهم من « سعد » أن يكون [illegible] على خير ما يكون [illegible]
الود حيال صديقه الوفي. وعلى [illegible] ما يكون [illegible]
صراحة « سعد » ، فقد ألزمته هذا الموقف [illegible] الخير كل الخير

سياسة سعد...

وإذا كانت هذه الصراحة من « سعد » قد حققت له حياة لا غموض فيها، ولا [illegible] عليها،
فإنه قد عرف ـ مع ذلك ـ كيف يساير رجال السياسة في ذلك الأسلوب الذي [illegible]
تأييد الجماهير، ذلك أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم..

وما نريد في هذه العجالة أن نقص عليك المثل المستفيضة. وإنما نريد أن نقص عليك
بعض المثل: فقد استمع « سعد » إلى [illegible] من الريف في جماعة
من الفلاحين، وكان الخطيب « الريفي » يؤدي [illegible] بكلمات عامية لا [illegible]
وتنميقه... فلم يكن من « سعد » إلا أن [illegible]
« عامية » لا يجري فيها التشبيه إلا مع [illegible] ولا يقتبس فيها [illegible] لا [illegible]

صميم الاصطلاحات التي يستعملها الرياضيون حين يتحدثون الفاً ثم يبلغ من هذا الذى أثرت به هذه الخطبة العاميه .. فى تلك النفوس الساذجة التى انطلقت إلى «سعد» لتشهده وتسمع إليه .. ؟

وبينما كان «سعد» يستقبل الوفود الوافدة عليه لتهنئته برئاسة الوزارة ، وبينما كان يخطب وفداً ـ قدم عليه من «دار العلوم» ـ خطبة فيها كل ما وسعته اللغة العربية من ألفاظ ساحرة ، وكلمات آسرة ، إذا بفناء «وزارة الداخلية» يضيق بهذه الجموع التى انتهت إليه من «صفه الخوديه» . وقد زينوا جيادهم . واحتملوا فى أيديهم الأعلام ... ثم مضى خطيبهم يرجو العواصف فى صوتها الأجش . ويهتف بـ «سعد» إلى أن يعمل على إلغاء (الترام) لأنه يعوق مائتهم عن الكسب .. وأن يعمل على إلغاء بعض القيود التى قيدهم بها رجال الأمن ، لأنها تعوقهم عن السير فى شوارع العاصمة .. أترى أن «سعداً» حقق لهم ما يأملون فألغى (الترام) وفض أصفاد تلك القيود ! ؟ أم ترى أنه قد جابههم بالحقيقة المرة ، فتركهم يغادرون فناء الوزارة . وقد حملوا الزينة عن خيولهم احتجاجاً على الزعيم .. ؟ إنه لم يحقق لهم أملا ، ولم يدفع إلى وجوههم الكآبه . وإنما أخذ يتفكه معهم ويتندر فى القول . حتى أنستهم الفكاهة آمالا حساماً شاءوا أن يحققوها .. فتركوا دار الوزارة هاتفين .. ! وهكذا يكون أسلوب السياسيين !

سعد الخطيب ...

وأما «سعد الخطيب» فالحق أن القول كله يبعد دون أن يبلغ الكاتب من أداء هذه الميزة ما يريد .. ذلك أن «سعداً» لم يكن خطيباً من خطباء المنابر حتى تتجرد مواهبه من ماده الابتكار ، ولم يكن كذلك خطيباً من خطباء «المناسبات المعروفة فى المآتم والأفراح» حتى يضع لهذه المناسبات كلماتها التى لا تتغير ولا تتبدل . وإنما كان الخطيب الذى يطلق لسانه فى كل موطن ليأخذ عنه «وحى الساعة» . فأى خطيب كان ؟ وأى سحر فيه ؟

كان صوته قوى النبرات ، فيه سحر ، وفيه أسر . وفيه سلاسة . وفيه انسجام . وفيه جاذبية . وكان ـ إلى ذلك ـ صوتاً طيعاً لا ينساق عن عى ، ولا يخشى من تلكؤ . وإن كان الزوبعة حين يهدر . والعاصفة حين ينطلق . والموج حين يدوى . والنغمة الساحرة حين يستقر !

وكانت الألفاظ تزدحم فى هذا الفم القوال . وفى ذلك اللسان الجوال . فلا تستطيع أن تقف «لسعد» حين يقول على موضع من مواضع الفهاهة ، أو الفأفأة ، أو الصمت فى غير أوانه أجل . إنك لم تكن لتستطيع الوقوف على شيء من ذلك مهما حاولت ، وقد حاول ذلك كثيرون غيرك من قبل . ومنهم كاتب هذه السطور . فما أفلحوا وآبوا بخفى حنين . ورجعوا إلى أشياعهم رجوع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، ذلك لأن كلمات «سعد» كانت تمشى فى آذان مستمعيه كالحلقة المفرغة آخذ بعضها برقاب بعض . حتى إذا ما استقرت فى الآذان ، وانتهت إلى الأذهان ، تلفت الباحث ليعد ما فيها من مواقف النبو عن موضع الهدف . فإذا به لا يقف على شىء ، لأن «سعداً» كان يدرى موقفه حتى فى الساعة التى يهدر فيها هدير الأسد حين يريد التهام الفريسة ! ! .

وإنى لأذكر أنه وقف مرة يخطب إثر عودته من مفاوضة (مستر ماكدونالد). وبينما كان منطلقاً بسهمه ماضياً كالقذيفة، إذا به يعثر عثرة لغوية واحدة لم يحفل بها الأكثرون من ذلك الجمهور الذى يحتشد يستمعون أشباهها من ألسنة الخطباء.. ولكنه لم يرض لنفسه، حتى تنبه إلى موضع زلته، فعاد إلى هذه الكلمة يعقب عليها بتصحيح ظريف، معقباً عليه بقوله: (مش كده يا مشايخ؟!) أفلم يكن «سعد» يدرى موقفه حين يخطب، ولو لم يكن من أولئك الذين لا يملكون زمام ما بين أيديهم، أفكانت هذه الزلة – على تفاهتها – تنال منه هذا الجهد. وتدعوه – فى دقة تصحيحها – إلى هذا العناء؟

وإذا كانت هنالك من حجة تصور لك تأثير حديث «سعد» فى سامعيه، فهذه لنا أن نسوق إليك حجة فيها مداعبة، وفيها ظرف، ولكن فيها عبرة وأى عبرة.

كان الفقيد العظيم يخطب فى (نادى سيروس) وكان يصور للجماهير تصريح ٢٨ فبراير بالناقة التى وضع صاحبها فى رقبتها حذاء، ثم مضى بها إلى السوق. وكانت الناقة على شىء من الجمال والقوة. فما أراد الأعرابى أن يشتريها، وأن يساوم صاحبها ثمن المعقول، إن قال صاحبها له: «إنها دون هذا الحذاء المعلق فى رقبتها لا تساوى إلا جنيهاً واحداً. وهى مع الحذاء فلا تساوى أقل من ألف جنيه». وليس من شك فى أن الأعرابى لا يريد الحذاء. وإنما يريد الناقة. وهكذا قال لصاحبها: (طيب ما تاخد الجنيه وشيل الحذاء). فأجاب صاحب الناقة: «لن أبيعها إلا معه». فعقب عليه الأعرابى متحسراً: (والله الناقة كويسة بس لوما كانش – فى رقبتها – الملعونة!!)

قص «سعد» هذه القصة ثم ضحك. ثم دوى المكان كله بهذا الصوت الهائل الذى أحدثته أكف المصفقين، ثم سكت الناس. ولكن هذه «الضحكة» لم يكن أثرها السحرى ليغادر واحداً من المستمعين. فما كاد «سعد» يعود إلى القول حتى وقف هذا الذى ما زالت «الضحكة» مؤثرة فيه، وقال فى نغمة هستيرية حادة:

– الله يا باشا! دانت ضحكتك حلوة! حلوة قوى والله؟!!

ألا يدل هذا على أن تأثير «سعد» كان التأثير الذى يلهب النفوس؟

وما لى لا أريد القول صراحة ووضوحاً وجلاء. فأقول لقراء «المعرفة»: إن كاتب هذه السطور كان من أولئك الذين يعارضون جهود «سعد» أوفر معارضة. وينقمون من سياسته فى إحدى مراحلها نقمة عنيفة، حتى إذا ما أتيح لى أن أذهب إليه كارهاً فى ليلة كان يخطب فيها الجماهير تمجيداً لعيد الجهاد الوطنى عام ١٩٢٣ – وما أن بدأ يخطب حتى دلفت عواطفى المتأججة خصومة له إلى الفرار، ولما أن اكتمل سحره فى القول والتوجيه رأيت معارضتى له تنزل من نفسى مكاناً غير محمود، حتى إذا ما ترك الحفل صحبته صحبة نفسى. ووددت لو أن الأثير لا يعيد إلى أذنى تلك الكلمات التى فاض بها لسان «سعد»، ذلك اللسان الذى لم يبخل التقدير عليه بما فى طوق اللغة أن تؤديه من ألفاظ الإعجاب والتقدير. ووددت لو قبل «سعد»، ...

الشعر صامتاً لا يقوى ... لا ينبس لسانه . لأن العميد قد وحى إلى نفسى أن تقود سعد قد هيأ له هذا السحر ... فيه . وهذا هو لا يريد فى خصومه . وإنما يدع إليه فى كل « خطبة » أنصاراً أوفياء .

ثم هناك ظاهرة تبدو لى ظاهرة رائعة فى سعد الخطيب ، هى أنه كان يعدى نفسه بخطبه ، حتى أنه يقف فى مستهل خطبته أمام الجماهير متثاقلا ... يستأذنهم فى ألا يزيد حديثه عن دقائق معدودات . ... ولكن ... ، كانت هذه الدقائق ساعات بأكملها . من ذلك ما يدهشك أن يكون سعد يوم المؤتمر الوطنى الذى عقدت فيه أواصر الائتلاف عام ١٩٢٦ ، يدهشك أن يكون فى ذلك اليوم ... قبل موعد الحفلة بدقائق مريضاً ... كأنه ... كان ... يبكون ويتوجعون من حوله . حتى إذا ... فى ... المؤتمر قد صحح على أبواب الانعقاد . ... سعداً ... متثاقلا . و ... ملابسه متثاقلا ، وذهب إلى المؤتمر متثاقلا ... حصة الافتتاح ، كان قوياً جبارا . وكان ... كانوا من حوله يبكون من ساعة وحده ... يحاول الرئيس ، بل الشيخ الكبير !! » .

سعد الأديب ...

وأما سعد الأديب ... فى بحث خصائصه من هذا الجانب ، ... فى صراحته وصدقه . ... بحث يدق ... الأقلام ، ودقيق الأفهام ، لأن سعداً فى ... الأدبية ... كل ما يحقق له كل طاعة ، وفيها ... فى ... والتنقيب والدرس والاستقصاء والتحليل .

... سعد ... الأدب و ... ، وكان أديباً مبتكراً يوحى فمه إلى ... رسالة الجيدة . وكان ... إلى فمه ... المواضيع الجديدة ليدعها فى تلك الصورة الساحرة التى عرفت بها رسائله .

ولم تكن هذه ... وليدة ... الأخيرة من حياته . وإنما كانت مؤتلفة معه منذ ... كيف يكتب ، وفى ... الرسائل ... التى نشرها خلال نصف قرن ... المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

فى هذه الرسائل ... عن ... اقتباس الدليل الحاسم ليدعم به هذا الرأى المعقول ... فقد كانت هذه الرسائل ... من البحوث الدقيقة فى ... والاجتماع . وكانت ... سعد ... الآراء ... موضع العناية من جماهير المفكرين حتى ... كتبها فى صدر شبابه ، وفى ... مرحلة صاحب فيها الجماهير ، راعتك منه تلك الخصوبة الكاملة التى احتواها عقله الرشيد .

وكان « سعد » ـ مع ذلك ـ متشدداً . يتخير الألفاظ المصقولة ليقدم بها المعنى المعقول . ويلبسه الحلل الرشيقة فيصبها فى قالب من الجمال والامتاع والفتنة . دون أن يتجه بهذا الأسلوب الأخاذ إلى غير ما تحتمله طبيعة الفكرة التى يدعو إليها .

وفى هذا كله ما يحقق لنا أن « سعداً » كان « أديباً » يساير المنطق ، وكان « متشدداً » فى التجويد . ويقتنص الطرائف من بين القديم والجديد .

ومن خاصة هذه المقدرة التى عرف « سعد » كيف يحرص عليها جهده . نرى أنه ـ فى أسلوبه الكتابى ـ لم يكن من أولئك الذين يعيشون فى ظل الاستعارات ، يمدون إليها أقلامهم ، فلا يعودون إلى القرطاس إلا بالفكرة المعقدة . والجملة المعقدة . وإنما كان يلمس « الاستعارة » لا يهتم بها . ولا يدعو إليها . وكان « سعد » يحب إلى قلمه أن يجول حين يكتب . وأن يسعد فى القول . وهذا أثر من هذه الثروة الخطابية التى أكثرها فى نفسه . بل هو أثر من دمغة خطابية فيه ، لأن الخطابة ـ وقد تعودها فى حرباب أعوامه ـ كانت جماع ما فى ذهنه من نشاط . ولأنها قد أثرت فيه حتى أصبح من شأنه ـ حين يريد أن يكتب ـ أن يستحضر موقف الخطابة ، فيملى على كاتبه ما يريد أن يقول .

سعد المحدث . . .

وبه لحق صريح أن يعود إلى « سعد » وحده فضل عمل جليل . هو ذلك الذى رفع به من أسلوب المحدثين ، ومن أسلوب السياسيين . فقد كان فى أحاديثه الرجل الذى لا يعرفه اللبس . ولا يؤثره التعقيد . ولا تسعى إليه الركاكة . بينما كانت هذه الحقائق المرة كل ما فى أساليب المحدثين والسياسيين من قبله . وقد كان فى كتاباته الرجل الذى ترك حطمه هذه الجمل المؤتلفة من كلمات لا تدل على شىء ، فإنما تدل على : فقر فى الأداء . وعدم فى التوجيه . وفاقة فى تنويع الحديث . وعجز فى تقريب المعنى المنشود إلى ذهن القارىء تقريباً يحمله على الايمان به فى صدق ويقين . أو التألب عليه فى صدق ويقين أيضاً .

سعد المناظر ...

حيث كان « سعد » مناظراً معدوم النظير . فقد كانت أحب الساعات وأطيبها لديه . وأبقاها فى نفسه . وأدعاها إلى تفكيره وحرصه . تلك الساعات التى يمضى فيها بين محدثيه فى جدل يطوى من حيث يشدون أطرافه ، ويقتحمون عليه الأبواب . لينتهوا معه إلى الجوهر واللباب .

والواقع أن « سعداً » كان يمثل الطليعة بين رجال الجدل والمناظرة فى العصر الحديث . لأنه كخطيب رائع يعنى بتوجيه حديثه توجيهاً موفقاً ـ كان لا يسأم الجدل ولا يمله ولا يتبرم به . وكانت الأدلة الحاسمة تنساق من لسانه كالقذائف . وكانت تمضى إلى أسماع محدثيه عفو الساعة ، لأنه أوفق خطيب زاول الارتجال .

على أن « سعداً » لم يكن ينقله فى جدله إلا أن يجاهد مع من يجادله فى تقريب الفكرة

المعقولة إلى ذهنه ، ذلك أن الحقائق حين لا تجد من يؤمن بها إيماناً سريعاً ، إنما تدعو من يقول بها إلى السأم والملال .

و كبر الظن عندى أن براعة « سعد » فى الجدل إنما كانت أثراً من آثار تلك « الجلسات » التى كان يمضيها فى (صالون البرنسيس نازلى هانم) أيام شبابه . . . فقد عرفت هذه الجلسات بما تتميز به جلسات النوادى الأدبية من تنويع فى الحديث ، ومن تنويع فى البحوث .

ولقد أثرت هذه « الجلسات » فيه أثراً آخر حيث مكنت له أن يكون (محامياً) حر التفكير فى ما يصطلع به من أعباء الدفاع ... وتسألنى كيف كان ذلك ؟ فأقول لك إن الحديث فى مثل (صالون البرنسيس) كان لا يجرى إلا بين الصفوة المختارة من عظماء المصريين . ولا نعلم أن أحاديث العظماء فى القرن التاسع عشر وفى طليعة القرن العشرين كانت لا تأخذ منهم فى موطن اللهو إلا بمقدار ما تروح به عن جهود البحوث المويصة فى الأدب والعلم ، وما يتصل بالأدب والعلم من ذيول وأسباب .

وما من ريب فى أن صالون (البرنسيس نازلى هانم) قد أتاح لسعد أن يصقل صفحة من مواهبه الكمينة ، ويذيع زمرة من آرائه السديدة ، ويفشى فى من يختلف إليه وجوه استقلاله العظيم ... وما من ريب فى أن هذه المواهب – وحدها – هى التى حببت إلى (البرنسيس) أن تسعى جهدها حتى يصاهر « سعد » وزير الدولة الأول المرحوم « مصطفى فهمى باشا » لأنها رأت فيه الرجل الكفء ، ورأت فى مستقبله – بثاقب رأيها – المستقبل الساطع الوضاء .

والواقع أن « سعداً » كان الزوج الذى خلصت نفسه من شوائب الصغار ، فما عرفت له « أم المصريين » يوماً عبوساً ، ولا ساعة قاتمة ، ولا لحظة من لحظات القلق والضيق ، على الرغم من فقدانهما سوياً تلك الأصرة – آصرة الأبوة – التى تجمع بين روحين سواء أكان اجتماعهما عن صفاء وحب ، أو عن كراهية وبغضاء .

وإذا كان الفقيد قد أبت عليه الأقدار أن يكون أباً لولد ، فإن الله قد أفاض عليه وعلى زوجه العظيمة كل السلوى ، إذ وفر لهما أسباب الاستبسال فى خدمة أمة بأكملها خدمة قد حملت لهما من كل مصرى ولداً خالص الود ، صادق الوفاء .

أثر سعد ...

أما أثر « سعد » فى الشرق ، فانه أثر الزعيم العظيم فى نفوس أشياعه المخلصين ، وأما أثره فى مصر ، فحسبه هذه الذكرى – وهى الذكرى الخامسة لوفاته – أن تكون منار مأتم كبير موزع فى كل جانب من جوانب المدن والريف ... وأن يكون هذا المأتم منار حديث مستفيض يتحدث عن « سعد » ، فتذكره الألسنة فى كل فج بين التأثر والحماس ، وفى ظل الضراعة إلى الله أن يوفر عليه رضوانه ، ويقرب إلى جواره مكانه .

عبد العزيز الاسلامبولى

النباتيون واللحميون

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

لا يزال المعركة بين أكلة اللحوم والمقتصرين على النباتات ناشبة إلى اليوم ، وقد مضى بها نحو خمس مائة وألفين من السنين . وقد عرف بعض الفلاسفة المشهورين من الأقدمين بالاقتصار على التغذى بالنباتات من أمثال سقراط وأفلاطون ، فاتبعوه وكتبوا عنه كلاماً . ولم تزل سلسلة النباتيين متصلة الحلقات خلال العصور فى أشخاص بعض كبار العقول حتى القرن التاسع عشر ، حيث أثبتت الكيمياء أن فى النباتات ما يكفى الانسان وزيادة من المواد الضرورية لحفظ صحته ، وأنها فى النباتات أقوى وأنقى مما هى فى اللحوم ، فقام الألمانيون بإنشاء مصحات لا يأكل المرضى فيها غير النباتات ، ولا يتناولون من علاج غير ما يتعرضون له من قوى الطبيعة : النور والهواء والماء ، وقد أنجحت هذه المصحات إلى حد يكاد يلحق نجاحه بالمعجزات . وقد أثيرت مسألة النباتية أخيراً فرأينا أن نأتى على رأى الأستاذ الكبير الدكتور « هوشار » فيها ، وهو من أعلام الطب العصرى ، وأحد أعضاء المجمع الطبى الفرنسى ، وصاحب مجلة « الطبيب العملى » ، والمشهور بأنه أعظم إخصائى فى أمراض القلب .

قال فى مجلته التى ذكرناها :

« إن الانسان ليقتل نفسه باتباعه فى غذائه تدبيراً مضاداً لطبيعته ، حتى إن متوسط الحياة قد سقط من ٥٠ إلى ٤٠ إلى ٣٥ سنة ، وإليك بعض آراء كبار العلماء » :

« قال كوفييه الطبيعى المشهور : يظهر أن جسم الانسان مركب بحيث تكون معظم تغذيته من الفواكه وجذور النباتات وأجزائها المائية »

« وقال فورنس الفيزيولوجى المشهور : إذا اعتبرت معدة الانسان وأسنانه وأمعاؤه فهو من أكلة النباتات والفواكه الطبيعية » .

« وقال ميشيل ليفى : يظهر أننا نتبع فى حفظ حياتنا قاعدة مخالفة لقواعد حفظ الحياة » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « لا يخلو هذا من غلو ؛ ولكن هناك حقيقة ثابتة ، وهى أن الغذاء الحيوانى الذى نأكله ليس بغذاء ، بل هو تسمم مستمر متكرر » .

ثم قال : « أما الأمراض التى يسببها الافراط فى أكل اللحم ، فهى داء النقرس والروماتيزم والبول السكرى ، وهناك أمراض أخرى كأمراض : الكلى ، والمعدة ، والقلب ، والأوعية ، والصداع ، والربو ، وألم الأعصاب ، والأمراض الجلدية والعصبية ، وعلى الأخص النوراستانيا

التى تزيد انتشاراً يوماً بعد يوم . وكلها تحدث من سوء انتخاب الأغـذية والافراط فى تناولها » .

ثم أتى الأستاذ هوشار على رأى الأستاذ لينوسيه ، وهو : « أن كل ما ينسبونه إلى اللحم من الأضرار لا يخلو من الصحة ، لأنه من المؤكد أن اللحم – من بين جميع الأغذية العادية – يحدث تسمماً بطيئاً للجسم . وهو عامل مهم لاحداث داء البوليمنا ، وداء المفاصل » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « إن الدكتور كيونكا أنجح فى توليد أعراض النقرس فى الدجاج بقصرهم على الأغذية اللحمية . وإنه لا شك فى إمكان جعل البنية فى حالة صحية جيدة بالاقتصار على الأغذية النباتية دون سواها » .

« وكثيراً ما ينشأ الربو من الغذاء ، وقد نشرنا حالات لم تنجح فيها العلاجات وزالت فى بضعة أشهر بقصر أصحابها على أكل اللبن والنباتات » .

« اعتاد الأغنياء أن يتغذوا بالدقيق الأبيض وهو قليل التغذية ، وكلما ازداد بياضه قلت تغذيته . وقد أثبت العالم « ماجندى » أن الكلاب التى تتغذى بالخبز الأبيض واللحم تعيش أكثر من الكلاب التى تتغذى بالخبز الأبيض فقط . لأن الخبز الأبيض قليل التغذية ويحدث إمساكا » .

« والعضلات لا تقوى بأكل اللحم ، ولكن بأكل الخبز والأدهان . فقد كان اليونانيون يعدون شبانهم للمصارعة بقصرهم منذ – نعومة أظفارهم – على التغذى بالتين ، والجوز ، والجبن ، والخبز الخشن » .

« وفى فرنسا أشد الرجال هم الذين يفضلون التدبير النباتى على غيره » .

« وفى روسيا يشتغل العملة ست عشرة ساعة متواصلة . ولا يأكلون إلا النباتات والجبن والخبز الأسود ؛ وفى القطر المصرى يتغذى العملة والنوتية بالشمام والبصل والعدس والذرة وهم أشداء أقوياء » .

« وكذلك نوتية الآستانة ، وعمال المناجم فى شيلى (بأمريكا الجنوبية) » .

« وفى الولايات المتحدة لم يعمل السكة الحديدية – التى تخترق البلاد من الأوقيانوس إلى الأوقيانوس – إلا العمال الصينيون . وهم لا يتغذون إلا بالأرز » .

« وسكان جبال هملايا أشداء أقوياء ، ولا غذاء لهم إلا الأرز » .

« وتوجد قبائل هندية تقطع فى اليوم من خمسة عشر إلى عشرين فرسخاً . وذلك فى مدة ثلاثة أسابيع متواصلة ، وهى لا تتغذى إلا بالأرز » .

« هذه كلها أدلة تبرهن على أن التدبير النباتى يكسب العضلات قوة » .

النبات التي تحتوى على فوسفور

ثم قال الأستاذ هوشار : « إن الأغذية النباتية تحتوى من حمض الفوسفوريك على مقدار أكثر مما يحتويه اللحم منها . والأغذية النباتية ليست بثقيلة على المعدة خلافاً لما يعتقده الجمهور . فإنها تهضم فى الأمعاء ، أما اللحم فيهضم فى المعدة » .

شفاء النوراستانيا بالتدبير النباتى

ثم قال : « نحن الآن فى جيل كثرت فيه النوراستانيا . وأفضل علاج لملاشاتها الاقتصار فى تدبير غذائى نباتى لبى ينقى المجموعة العصبية . وقد يشفى الأرق المستعصى باتباع التدبير المشار إليه » .

« واللحم منبه للمخ والعضلات . فالإفراط فيه يضعف المخ والعضلات . وهو لا يكون غذاء منوعاً » .

الاقتصار على النبات يطيل الحياة

ثم قال الأستاذ هوشار : « فى التاريخ شواهد كثيرة تدل على أن اتباع التدبير الغذائى النباتى يطيل الحياة ... من أمثلة ذلك : كورنارو رئيس جمهورية البندقية . فقد كتب تاريخ حياته وهو فى السادسة والثمانين . وتوفى بعد أن جاوز المائة . وكان متبعاً تدبيراً نباتياً صعباً جداً على أثر مرض شديد اعتراه بسبب إفراطه فى الطعام » .

« وبتريس أوتيل عمر مائة وثلاث عشرة سنة . وكان يتغذى بالنباتات . ولم يأكل لحماً إلا فى عدد محصور من مآدب أدبها لأسرته » .

وكثير من الفلاسفة والكتاب اتبعوا تدبيراً نباتياً فى حياتهم ، وتوفى أكثرهم فى سن متقدمة جداً ، نذكر منهم: نيوتن الفلكى المشهور الذى توفى وله خمس وثمانون سنة ، وكان يتغذى بالخبز والنباتات والماء ، وفونتينيل الفيلسوف الفرنسى ،وشيفريل الكيماوى عاشا أكثر من مائة سنة ، وغيرهم من مشهورى الكتاب والعلماء كبرناردين دوسان بيير . وفرانكلان ، وفولتير ، وجان جاك روسو ، وميشيليه ، ولامارتين » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « التدبير النباتى يطيل الحياة ، لأنه لا يهدم البنية ، ويقى الجسم من كثير الأمراض على خلاف التدبير الغذائى اللحمى . الذى يولد فى الجسم عدداً عظيماً من الأعراض كتصلب الشرايين ، وعدداً عظيماً آخر من أمراض القلب والكليتين والكبد » .

محمد فريد وجدى

الادب الحضرمي وعلاقته بمصر

بقلم الاستاذ طه السقاف العلوى (سنغافورة)

تربط القطر الحضرمى بالقطر المصرى روابط متينة العرى ، متماسكة الحلقات ، أعصمها وأبرزها مظهراً رابطتا الدين واللغة ؛ فمصر من العهد الذى غمرها الاسلام ، وملأ جوانحها قد ارتبطت بالأصقاع الاسلامية — قاصيها ودانيها — ، وأصبحت شقيقة لهن ، تتألم لألمهن ، وتغتبط لغبطتهن ، وترى أن من نتائج سعادتها رفاهة عيش شقيقاتها ، وانبثاق فجر المعارف والعلوم فى ربوعها ، ورؤيتها إياها رافلة فى حلل الحرية والنهوض .

وإذا كانت هذه نظرة مصر إلى جاراتها المسلمة ، وشعورها نحو تلك الأصقاع المنثورة التى تمت إليها برابطة الدين ، وجامعة الاسلام ، ووحدة اللغة ، فإن مما لا مشاحة فيه ولا ريب أن شعور وعواطف الشعوب المسلمة تجاه مصر لهو أحكم عقدة ، وأشد إبراماً ، وأعمق أثراً ؛ وكيف لا يكون كذلك ؟ ... ومصر ما برحت مصدر الثقافة ، ومنبع المعارف، ومحط الآمال ، ومناط الرجاء ؟ وأن العالم الاسلامى ما انفك يرنو إليها — ككلية جامعة لأشتات العرفان ، وكمصدر رئيسى للثقافة الدينية — ؛ وبالرغم من وجود حركات هدامة ، ونعرات جاهلية حديثة العهد — يقوم بها فئات من أبناء مصر — من التشدق بالفرعونية، والتغنى بالقومية، مما يرمى إلى فصل مصر عن شقيقاتها الاسلامية ، ويقذفها فراسخ عن عطفهن — كما هى الحال الواقعة فى تركيا — فلا زال لمصر فى قلوب الناطقين بالضاد منزلة المحب المكرم.

وفى طليعة البلدان التى تنظر إلى مصر — كما ينظر الفلكى إلى اصطرلابه — « حضرموت » التى كانت — ويا للأسف — أسباب المواصلات ، وسبل الاحتكاك بينها وبين مصر ، متعسرة لصعوبة أسباب النقل والمواصلات ، ومع ذلك فإنها تنظر إلى مصر بعين الاجلال والاكبار وتدين لها بكل ما تنعم به فى نهضتها الأدبية الحالية ، بل فى كثير من مناحى حياتها الدينية ، إذ أن أمهات الكتب الدينية وأسفار التاريخ التى تدرس فيها لم تستجلب إلا منها ، ولا عبرة بوجود بعض كتب طبعت فى الهند ، فهذه — على ندرتها — لم تكن من أمهات الكتب وكبرياتها

وليس الأدب — فى الحقيقة — إلا شعوراً وأحاسيس وأخلاقاً يرسمها قلم الناظم والناثر على القرطاس ، فتلمس فيها تقدم الأمم أو تأخرها ؛ وكلما ضربت الأمة بسهم وافر من المعارف، ونضجت ملكاتها العقلية ، كانت أقرب إلى الاجادة ، وأسرع إلى النبوغ فى مقاصد الأدب وأغراضه من غيرها ، ولا يعزب عن البال أن للبيئة والمكان أثراً فعالا فى ازدهار الأدب و تقويمه ، بيد أنه باعتباره مادة الحياة ، أو بعبارة أخرى « تراث إنسانى » اشترك فيه

من الأمم ـ وإن اختلفت صوره وأشكاله من حيث قوته عند البعض وضعفه عند البعض الآخر ـ فإن هذا يرجع أمره إلى استعداد الوسط ، وقابلية البيئة كما علله الباحثون.

ومهما يكن من ضؤولة المجهودات الأدبية ونتاجها بحضرموت ، واندثار آثار كثير من المغنين وأساطين القريض بها ـ لعدم اعتنائهم بالتدوين من جهة،واستفحال شأن الأباضية والخوارج فيها من سنة ١٢٥ إلى سنة ١٠٦٠ هـ ، وتمشى الروح الصوفية بعد ذلك، من جهة أخرى ـ فلا تزال أسفار التاريخ تحفظ لنا جزءاً يسيراً من تراث الأدب الحضرمى الخالد ، وهو وإن كان ضئيلا ، غير أننا نستطيع أن نقيس به الروح الأدبية فى «حضرموت»، ونتلمس بأيدينا المدى الذى بلغت إليه .

ويجدر بنا ـ قبل الدخول فى معمعان هذا البحث ـ أن نقسم تاريخ «حضرموت» إلى ثلاثة أدوار . وغرضنا من هذا التقسيم أن نزف إلى القارىء ـ غير الحضرمى ـ صورة مكبرة لقطر حضرمى من العهد الجاهلى إلى عهدنا هذا ، ولعلنا نؤدى بهذا بعض الواجب علينا نحو قطرنا المحبوب .

الدور الأول ـ الدور الجاهلى: لا امتراء فى أن «حضرموت» كانت موطن أقوام عاد ومقر ذوى التبابعة ، ومعقل ملوك كندة وحمير ؛ وآثار أولئك الأسلاف لا تزال باقية وموجودة حتى الآن،وقد بلغت « حضرموت » وقتئذ من المدنية والحضارة مبلغا عظيما لا يجهله المطلع ، وقد قص القرآن علينا شيئاً كثيراً من مدنيات عاد وثمود وتبع،ومن الأدلة التاريخية الدالة على أهمية « حضرموت » وخطورة مقامها ، أن لقب «تبع» متوقف على الاستيلاء عليها،وهذا برهن على مركز حضرموت الممتاز فى تلك القرون السالفة ، وإلا فلم يتوقف لقب تبع على ملكها ودخولها تحت الطاعة ؟ . . . .

وقد أجمع المؤرخون واتفقوا على أن آثار الجزيرة العربية ـ بأقسامها الخمسة ـ ما برحت مطمورة تحت الرمال، وإنما دل ما ظهر منها ، وا كتشف صدفة ، على أنها جزء من اليمن الذى لا يقل فى حضارته ومدنيته روعة وجسامة ، عن الحضارات القديمة من عراقية وشامية ومصرية.فإن ما عثر عليه منذ سنوات قريبة بـ «هجر» ـ وهى قرية فى مخلاف «صداء» ـ وما اهتدى إليه بعض العرب فى « مرخة » عفواً ، من سبائك ذهبية ، وموميات محلاة بجواهرها وقرامها الذهبية ، ومن أصنام من الذهب ، وبيوت تحت الأرض مطمورة صقلت بالرخام ، ونحو ذلك وكنوز لا تتسع هذه العجالة لسردها ـ مما لا يبقى معه أدنى شك فى تلك الحضارات الراقية . والمدنيات العظيمة . ولو عنى بالكشف عنها ـ لتكشفت لنا آثارها المجهولة ، ولتقدمت المعلومات عن تاريخ القطر الحضرمى وما له من عظمة .

وفى هذا الدور ـ أعنى الدور الجاهلى ـ لم تترك لنا الأيام كبير أثر عن الأدب الحضرمى لعوامل لا تخفى ؛ على أن ما وصل إلينا فى هذا الباب،هو ما يتيه به الحضرمى ويجر أذيال الزهو

والافتخار ؛ فإن الملك الضليل – امرؤ القيس بن حجر الكندى واسطة عقد شعراء الجاهلية، ورأس فحول رجال المعلقات، والمتفوق على فرسان القريض فى السبق إلى كثير من المعانى الدقيقة، لإجادته القول فى بكاء الأطلال والدمن، وتشبيه النساء بالمها والظباء، مما امتاز به هذا الشاعر على أضرابه وبذهم فيها – إن ذلك الشاعر الفحل، لم يكن إلا حضرمياً. وحسب « حضرموت » فخراً أن يكون لها رأس الفحول من رجال المعلقات وأبرز شخصية فيهم.

الدور الثانى – دور الاسلام: وهذا الدور يبتدىء من بدء انتشار الاسلام إلى حوالى ظهور الدولة الكثيرية فى أواسط القرن السابع، وفى هذا الدور أنبأنا التاريخ بـ كثير من شعراء الحضارم. نكتفى منهم بذكر: امرىء القيس بن عابس الكندى الصحابى المشهور، وكليب بن أسد الحضرمى الذى وفد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكسوة من نسيج حضرموت، وخاطبه بهذه الأبيات:

من وشز برهوت تهوى بى عذافرة إليك يا خير من يحفى وينتعل
تجوب بى صفصفاً غبراً مناهله تزداد كلا إذا ما كلت الابل
شهرين أعملها نصاً على وجل أرجو بذاك ثواب الله يا وجل
أنت النبى الذى كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل

وعلى كل حال فإن الروح الأدبية فى ذلك العهد لا تخلو من ضعف وركاكة إذ قيست بغيرها. فإن ذلك العهد عهد ازدهار ونهضة للعلوم والفنون والآداب فى العالم الاسلامى بأسره. فلم يظهر فى حضرموت فى صفوف نبهاء الذكر والنوابغ فى تلك القرون منهم أحد. ويقدم العلماء – الدارسون لسر تقدم الشعوب ونهضاتها – سبباً وجيهاً لذلك: وهو استفحال شأن الأباضية والخوارج بها. وامتلاء الجو بنعرات بدعتهم ونحلتهم الخبيثة فكانوا شراً مستطيراً على حضرموت وسماً زعافاً ذاقت منه الأمرين: ومن المدهش أن عمال العباسيين فى حضرموت لم يستطيعوا أن يقضوا على شرور هذه النحلة ويطهروا حضرموت من سمومها الخانقة، حتى جاء الامام السيد الشريف أحمد بن عيسى العلوى الحسينى جد السادة العلويين بحضرموت وجاوا وغيرها مهاجراً من البصرة بعد ظهور طائفة الزنج وتعذيبهم المسلمين فى زمن الخليفة المعتمد بن المتوكل العباسى، ثم استيلاء القرامطة على البصرة – جاء هذا السيد المهاجر فى الله إلى حضرموت – لحسن حظها – فوجدها تعج ببدعة الخوارج ونزعات الأباضية والنواصب. فشمر عن ساعد الجد وحاربهم بالارشاد والدعوة تارة وبالسيف والسنان تارة أخرى. ولا يجهل المطلع على التاريخ تلك الواقعة المشهورة « بحران » بين العلويين ومن انضم إليهم من الحضارم وبين الأباضية، وفى ذلك يقول الشاعر الحضرمى:

فمن مبلغ علياً معد وطيئاً وكندة من أصغى لها وتسمعا
بما نيهم من حل « بحران » منهم ومن حل أكناف الغطاط فلعلعا

الدور الثالث : وهو يبتدىء منذ دخلها الامام المهاجر فى الله إلى ما بعد القرن الثانى عشر. وهذا الدور كان أحسن حالا ، وأرغد عيشاً ، وأقرب إلى التحسن الأخلاقى والأدبى من الدورين السابقين. ولولا انتشار الروح الصوفية فى «حضرموت» فى ما بعد القرن السادس انتشاراً هائلا ، لكانت حال الأدب الحضرمى غيرها فى هذا الوقت . ولكن الروح الصوفية تغلغلت فى نفوس تلك الأجيال وتمكنت منهم جملتهم ينظرون إلى الحياة وما فيها من مباهج ومسرات كأشياء تافهة لا تستحق التقدير . فنتج من هذا خبوء شعلة الشاعرية ، وانطفاء جذوة العاطفة المحفزة للنظم .

وأشهر مشاهير شعراء تلك القرون هم : الشيخ محمد بن أبى الحب التريمى ، ولنورد لك شيئاً من شعره ، قال ـ واصفاً ومادحاً تريم ، وهى إحدى عواصم القطر الحضرمى ـ من قصيدة مطلعها :

تجنب أرضك الوبأ الوخيم وجانب سرحك السدم السديم

ومنها : تعادل حرها والبرد فيها فلا قر يضر ولا سموم

فلو نظرت فلاسفة إليها لقالت : جنة الدنيا تريم ! !

ومنهم الشيخ عبد الرحمن حسان ، وله شعر أكثره مدح فى عظماء السادة العلويين بحضرموت ، ومنهم العلامة السيد عبد الله بن علوى الحداد العلوى ، وللسيد ديوان مطبوع نحيل القارىء إليه .

ومن أولئك : الشاعر الكبير الشيخ عبد الصمد باكثير ، وقد ترجم له صاحب « سلافة العصر » وقال صاحب « خلاصة الأثر » عنه : « عبد الصمد بن عبد الله باكثير خاتمة مفلقى الشعراء باليمن ، ونابغة العصر ، وباقعة الزمن » ، وهو الذى قال فيه الشاعر القدير السيد أبو بكر بن شهاب العلوى ـ عند ما سمع إحدى قصائده ـ : « ما كنت أحسب أن فى حضرموت من يقول مثل هذا الشعر » ، وله ديوان لم يطبع بعد ، وقد كانت عندنا مجموعة من أشعاره فأخذها أحد الأصدقاء مع الأسف ، على أننا نتذكر له بيتين من قصيدة يخاطب بها السلطان عمر بن بدر الكثيرى ، ويصف علاقته مع سلاطين آل عثمان . قال لا فض فوه :

فمتم بحق ابن عثمان وطاعته تحية هى منكم عن أب فأب

كمثل ما أسر الافرنج من قدم أبوك بدر بن عبد الله ذو الحسب

ومن شعراء حضرموت المشاهير : العلامة السيد عبد الرحمن بن مصطفى العلوى المتوفى بمصر ، وله ديوان طبع قديماً فليرجع إليه من أراده ، ومن شعراء الحضارم ، ابن عقبة الشبامى. وإن لهذا الشاعر شاعرية قوية وخيالا واسعاً ، ونفساً طموحة تتمثل لك من شعره ، وعندى أن عبد الصمد باكثير وابن عقبة هما أشعر شعراء الحضارم فى الدورين الثانى والثالث ، وإلى القارىء أبياتاً من قصيدة لابن عقبة أترك الحكم عليها للقارىء . قال :

أصبرت نفس السوء! أم لم تصبرى … بيني ومن تهوين يوم المعشر
إنى امرؤ عف الأزار عن الخنا … لم أغش منذ نشأت باب المنكر

ومنها: - يا راكباً لشملة مهرية … وجناء دوسرة سلالة دوسر
تطوى القفار البيد تنتهب الفلا … كالبرق يسمع من خلال العثير

ومنها: - حتى إذا ما الليل أرد شطره … وسرت على الوجناء أم حبوكر
بادرتها بالرحل ثم نسأتها … فجرت كجرى الأجدل المتحدر
ومدورة قامت ولم تلبث بها … إلا مقام مسلم ومخبر
وبدا الصباح فصبحت من كندة … بقرار عرصتها سلالة جعفر

وصفوة القول أن الأدب الحضرمى - في دوريه الثانى والثالث - كان متأخراً كما بينت في صدر مقالنا ، وقد أوضحنا بعض العلل والأسباب لتأخره وانحطاطه ، مستندين في ذلك إلى قرائن الحياة العقلية في حضرموت في تلك العصور - درسناها بالاستقراء ، علاوة على النصوص والوثائق التاريخية التى اعتمدنا عليها في إصدار هذا الحكم ؛ بيد أن حضرموت إذا ما أرادت أن تباهى بشعرائها البارزين فلا أظنها تقدم على هذه المباهلة إلا بأكثر الشاعرين الفحلين: ابن عقبة وعبد الصمد ، فهذان الشاعران - ولا فخر - هما الدرتان اللتان لمعتا في تلك العصور ، وخلدتا لحضرموت اسماً لا يمحوه كر الأيام .

وفى مختتم القرن الثالث عشر . هـ ، سرت في القطر الحضرمى حركة مباركة ونهضة أدبية فتية . فتطورت الأفكار وأخصبت القرائح ، وأصبح الشعر - بعد أن كان موقوفاً على الغزل والاطلال والرثاء والمديح - ملتقى ، تشاهد على لوحته مناظر صادقة وصورة حق لأصل الشعر الذى يعبر به عن خلجات النفس ونبضات القلب ؛ ولم تكن النهضة الفكرية التى سرت في الشرق العربى قاصرة على مصر وحدها ، كلا . فإن لسوريا والعراق واليمن وحضرموت كذلك نهضات مباركات، بيد أننا لا ننكر أنها قد تكون في البعض منها قوية عنيفة، وفي غيرها ضعيفة وهية ، تبعاً لطبيعة الأقليم والبيئة ؛ غير أنها تتفق في مظهرها وهيكلها . ألا وهو حاجة اللغة إلى أن تعبر عن النفسيات والأغراض بكل وضوح ، مترسمة في سبيلها منهجاً يتمشى مع روح العصر ويتلاءم وعقلية أبناء القرن العشرين .

فاذا ما ذهبنا نعد من مشاهير شعراء العصر - بمصر وسوريا والعراق - (شوقى والمرحوم حافظ ابراهيم والرصافى والكاظمى ومطران وإيليا أبو ماضى والزهاوى وبدوى الجبل وشبلى ملاط والمرحوم الرافعى وأحمد محرم وطانيوس عبده) وغيرهم ممن لم تحضرنى أسماؤهم - فلسنا بالمغفلين من شعراء حضرموت السيد العلامة أبا بكر بن شهاب العلوى، والسيد الأستاذ محمد بن هاشم العلوى ، وشاعر المطبوع السيد أحمد السقاف العلوى، والشيخ على با كثير، والسيد صالح الحامدى العلوى، والسيد محمد بن

[البقية على الصفحة رقم ٥٣٨]

نشيد الاستقلال

لشاعر الاسلام

محمد عاكف بك

أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية

لقد كان عاكف بك أحد جنود الوطن البواسل ، الذين استماتوا فى ساحة القتال ، حتى استطاعوا أن يجلوا اليونان عن بلادهم ، وأن ينتزعوا بلادهم انتزاعاً من بين مخالب الاستعمار الأوربى ؛ لذلك نجد أن قصائده التى أنشأها أثناء هذه الحروب من أقوى شعره عاطفة ، وأشده تأثيراً فى النفوس ؛ وقد اطلع قراء « المعرفة » الغراء على قصيدة البلبل التى نشرناها فى عدد الماضى ، ونتقدم إليهم الآن بقصيدة أخرى من أكثر قصائد عاكف بك ذيوعاً ، وأعظمها انتشاراً ؛ فكان الأتراك يتغنون بها كما تغنى الفرنسيون – من قبل – بالمرسليز ، وكتبت منها أبيات على طوابع البريد التركى .

***

لا تخف ، هذا العلم الأحمر السابح فى الشفق لا يخمد قبل أن تخمد آخر نار داخنة فوق بلادى ! هو نجم أمتى ، بل هو كوكبها الذى يتألق فى سماء العالم ! هو لى ولأمتى فقط !

أيها الهلال المتدلل ! لا تته ، بمهجتى أفديك ، ما هذه الشدة ، وما هذا الغضب ؟ ابتسم مرة لقومى الأبطال ، وإن لم تبتسم فلن نسمح لك بدمائنا المهراقة .

إن الاستقلال حق أمتى التى تعبد الحق !!

أنا عشت منذ الأبد حراً وسأعيش حراً ، وأنا مثل السيل المنهمر أكتسح السد وأظهر عليه ، وأخترق الجبال ، وأملأ السهول ، وأفيض عنها .

فمن هذا المجنون الذى يريد أن يربطنى برباط الأسر ؟!

***

إن كان قد أحاط بآفاق الغرب سور مدرع بالفولاذ ، فحدود وطنى صدرى المملوء بالايمان ؛ إن الوحش(١) الذى تسميه المدنية لم يبق منه سوى سن واحد ، فدعه يعوى ولا تخف ، كيف يخنق إيماناً كهذا ؟

---

(١) شبه عاكف بك أعداء الأوربيين بوحش قد سقطت أنيابه ولم يبق منها الا ناب واحد هو اليونان الذين حاربوا الأتراك ، ولم يقدر لهم الا الفشل والخذلان .

أى صاحبى ! لا تدع الأوغاد يمرون على ديارى أبداً . واجعل جسمك سداً لتقف هذه المعرة الدنيئة . ولتطمئن تلك الأيام التى وعدك بها الحق . وما يدريك لعلها الغد . وهى قريب .

تأمل الأرض التى تطؤها . ولا تمرن بها تحسبها تراباً . وتذكر الآلاف الراقدين تحت غير مكفنين ، إنما أنت ابن الشهيد . فعار عليك أن تؤذى أباك . ولا تعط جنة الوطن هذه ولو أخذت بها العالمين .

***

من ذا الذى لا يكون فداء لجنة الوطن هذه ؟ ولو عصرت ترابه لتفجر شهداء !! فليأخذ الله روحى وحبيبى وكل ما أملك . ولا يقدر لى أن أعيش بعيداً عن وطنى !

يا إلهى ، إن ما تأمله منك روحى هو : ألا تلمس يد أجنبى صدر معبدى . وأن يدوى فوق ديارى دائماً ذلك الأذان الذى بنى الدين على شهادته .

إذن ، تسجد أحجار قبرى ألف مرة خاشعة إن تكن لى أحجار !

وينبعث جسدى من الأرض كالروح المجرد ، ساكباً دمى الدامى من كل جروحى . وحينئذ يعلو الرأس منى حتى يمس العرش !

أيها الهلال الجليل ! اخفق فداك مثل الشفق . لتحل لك كل دمائى المسفوكة . وليس لك ولا لقومى زوال أبداً .

إن الحرية حق رايتى التى قد عشت حرة . وإن الاستقلال حق أمتى التى تعبد الحق . !؟

عبد الحميد الدواخلى

الادب الحضرمى وعلاقته بمصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٥٣٦]

شيخ العمودى وغير هؤلاء كثير اكتفينا بذكر المشاهير منهم . وإذا كانت هذه الشهرة لا تتجاوز حدود حضرموت . فإن ذلك يرجع إلى رغبتهم عن الظهور وكراهيتهم للشهرة . والسيد أبو بكر ابن شهاب . هو الذى نفخ فى شعراء الحضارم روحاً جديدة وألبس القريض حلة قشيبة ، وله ديوان مطبوع جمع من رقيق الشعر وجزله الشيء الكثير . فهو بحق يدعى مجدد الأدب فى حضرموت . ولا نكتم القارىء أن لمصر فى نهضتنا الأدبية المباركة أثراً نادراً ويداً بيضاء . فإن ما تقدمه مصر إلى حضرموت من ثمرات أفكار شعرائها العباقرة أمثال أمير الشعراء والمرحوم حافظ ابراهيم جعل الحضرمى يقبل على تذوق الأدب المصرى ومحاكاته . فكانت هذه المحاكاة وهذا الاحتذاء هما اللذان عنيناهما بالعلاقة والوصلة بين أدب مصر وحضرموت فى عنوان مقالنا . وهما العلاقة التى كان لها أحسن الأثر فى الأدب الحضرمى العصرى !

[سنغافورة] طه السقاف العلوى

(٤) تجاريبي في الحيــــــاة (*)

بقلم الأستاذ أسعد لطفي حسن

ر د الله لابنة عمي (زوجتي رضيت أو لم أرض) أن تنمو وتترعرع، وأراد الله أن يكون لها وحديد حفف الاهتمام بها وفتح أعين والديها للآمال. كأنه (جاب الديب من ديله)؛ فكانت ر. وكانت حفلات لا أنسى ما جرى فيها من عوائد فاسدة ومضللات وأضاليل ؛ وصع بن عثمان فأشرقت شمسه في بيت أبيه، وفي أول يوم من مولده جاءت امرأة سوداء – وكان سدمها حركة غير معتادة في المنزل . وكان معها امرأتان تحملان حقيبه، فراقبت أمرهن وإذا بمحور تسمى «الكدية» – وقد حضرت لتبخير المولود وتحصينه من « الأسياد » الشياطين. وهي عجوز الزار، فباتت ليلتها وقد أنعمتنا بما أعد لها من الأطعمة والحلوى . وأخذت من أنواع التحية والاحترام ما فني طوال ساعات الليل، وما انبلج الصباح حتى أحضروا لها دراة وديكة فزاغ بصرها وراع أمرها وأشارت بعدم ذبحها وتقديمها قربانا « للأسياد » . وسرعان ما حملت مع كثير من الأرز والمسلى والسكر والوقود وأرسلت إلى بيتها، ووعدت هي بعودة في اليوم السابع (السبوع) ؛ وانصرفت وقد ابتلت يدها من تقبيل المودعين — (سأعود إلى الزار ونكباته إن شاء الله) .

وفي اليوم الثالث للمولود جاء دور الشيخ حسنين فأطلق البخور وتليت القصائد، وكان يوما مشهوداً انتهى باقبال ليله بالأذكار، وإذا بجماعة تحمل الدفوف والطبول تسير أمامهم المشاعل، يرقصون في الطريق وبينهم حامل المزمار والصفارة يتمايلون بشكل مزر . ويتحالفون بحال نفس المؤمن، وبعضهم – وقد استرسل شعره – أخذ يعلو وينخفض ويقفز في الهواء ويهبط بكل عداء أمام المسلم وغير المسلم ، وقد أعد سرادق فسيح . حتى إذا ما أقبلوا على الدار استقبلتهم النساء بالزغاريد والرجال بالتهليل، وقد احتدوا فاشتدوا في الضرب على الدفوف والطبول وزيدوا في العزف على المزمار والصفارة، حتى إذا كادت الأرض تميد بهم والسماء تتألم من أعمالهم، هبطوا جميعاً وقالوا – وهم لا يفقهون ونطقوا وهم لا يعقلون وقرأوا وهم يلحنون –: إن الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» . فكانوا لا يضبطون مخارج الكلمات ولا يحسنون

(*) راجع « المعرفة » ج ٩ و ١١ و ١٢ من السنة الاولى .

حركاتها. ولهم فيها طريقة خاصة فى التلاوة حيث لا تظن أنهم يقرءون قرآناً. وتعتقد [illegible] صيغة كلامية تعودوا أن يقولوها حيث يبدءون بحمزة إن الله باطالة محرمة. ويمدون «سبحان ربك» بشكل غير جائز، ويختمون «العالمين» باغراق فى المد، كل هذا مقبول إلا اللحن المحرم. وبعد ذلك – حاسبهم الله – أخذوا يبدءون بنقرات ونغمات يتبعها رقص وتمايل.. الخ. ما هو معلوم مما تسمى خطة «المعرفة» أن أفرج عن صدرى منه[1]، وقد مضى هزيع طويل من الليل وانصرفوا. وفى اليوم الرابع سافرت جدة المولود تحمله إلى (ست جيانة) وعادت تحمل البركات. وفى اليوم الخامس سافر مع أبيه إلى (سيدى درهم وربع) وعاد بالتحويطات والتعويذات؛ وعدوا فى اليوم السادس حتى اجتمعت وفود كل من ذكرت فى اليوم السابع (يوم السبوع)، وكانوا قد أعدوا «قلة» زينوها بجميع ما تملكه أمه من الحلى والجوهرات. ووضعوا مقدار من الفول وأطلقوا البخور فى كل غرف البيت، حتى إذا انبثق الفجر قامت المولدة واستحضرت هاوناً وبدأت تنقر فيه وتلقن ذلك المسكين الأبكم نصائح الطاعة لوالديه ولأهله. ووضعته فى غربال، وحملت ما استطاعت من الضلالات والوثنيات، وجاءت فى الظهر الموسيقى والطبول والزمور ومدت الموائد وتفانى الأب فى استحضار ألذ وأشهى الأطعمة. واستقبل هو وصهره ضيوفهم، وبقى القوم فى حضور وانصراف حتى المساء، وقد أحضروا أشهر المطربين ومكثوا يغنون حتى مطلع الفجر والكل فى فرح وسرور (كل هذا – والله – من مال اليتيم أسعد وأخيه).

هذه الضلالات والوثنيات تجرى بين أعين العقلاء وأبصارهم فى كل بيت من بيوت المسلمين، وساداتنا العلماء لا يحركون ساكناً. ولا يعملون لانتشال العقائد وصون كرامة الدين. رحماك ربى فأنت أرحم الراحمين!.

انقضت هذه الفترة وقد أضاعت من وقتى لياليها السبع، لأنى كنت أقضى طوال ليلى ساهراً. وأتوجه إلى المدرسة مبكراً، فلا أستقر فى مكانى حتى أشعر بدوار يحرمنى لذة الاستماع [illegible] الدرس، وفى الظهيرة أفترش أرض المصلى وأقوم مثقلا بالنوم فى أجفانى. وأحمد الله إذ كان حسن ظن المعلمين بى يدفعهم إلى الاشفاق بى، فيظنون مرضى. ويبعثون بى إلى الطبيب لذى عافانى وسمح لى بالانقطاع عن المدرسة حتى نهاية الأسبوع. فحرمت من الدروس كل هذه الحقبة، وقد واسانى أحد أصدقائى وتطوع بارشادى إلى ما فاتنى. أحسن الله إليه.

كان فى قدوم ذلك المولود بعض التخفيف عنى، إذ كبرت «زينب» وعوفيت من أمر حملها. وسافر عمى مع زوجته وولديه إلى مزارعه، ووجدت الرغبة عند صهرى فى الحج، وصحت عزيمته وسافر مع زوجته. وبقيت أنا وأخى نستنشق نسيم الحرية، وتمكنت من استعادة

---

(١) «المعرفة» تشكر حضرة الأستاذ [illegible] كاتب [illegible] على ثقته بها، وتنشر هذه الترجمة لتعالج [illegible] كما أنها ترحب بمثل هذه [illegible] قصد منها تطهير الدين الحنيف من تلك الترهات و[illegible] وليس أدل على ذلك من أن محرر «المعرفة» كتب مقالات عدة فى مثل هذه الموضوعات [illegible] القوم الباطلة فليرجع إليها من شاء.

..ونى . وجاء ختام العام الدراسى فنجحت والحمد لله ، وكنت من طلاب الفرقة النهائية ، ..عد عمى وأهله أخبرته بذلك فأعرض عنى لأنه كان مهموماً حربياً ، فأدركت الأمر وعشت ..ما أصابه وإذا به خاص بولده عثمان .

..اد عثمان مع أمه وهى تبكى وتولول لأنه أصيب بنزلة معوية . فقد سلمته إلى خادمة أطعمته ولما .. الحول الأول ؛ فأصيب بقىء وإسهال ، فمحل أبوه بعودته لعرضه على الطبيب ، ولكنه مسكين. ..فذ فيه القضاء ولم ينفع الدواء ومات عثمان ، وحمل إلى القبر وأنا أبكى من البكاء حرة عليه ..رة على نفسى وأخى لما سيصيبنا بعد ذلك ؛ وقد صح حدسى إذ أصبحنا موضع النقمة إذ كيف ..صاب بمرض فنموت ؛ وكيف يموت عثمان بعد هذه التحويطات والتمائم والأحجبة ؟ وأين ..كدية ؟ وأين الشيخ حسنين ؟ وأين زيت ست جميانة ؟ وأين قطعة عمامة سيدى درج وربع ؟ ..كن الله القوى القاهر أرجع القوم إلى صوابهم ، وأظهر قدرته وأنه هو القاهر فوق عباده لا راد لما قضى به وأراده .

..اد الحاج حسين من حجه وعلم بموت حفيده ، فكان غضوباً قاسياً شديداً . وقد كرر ..ى « شمتنا يا ربى الولدين دول ؟ طولت فى عمر الاثنين ، كنت طول فى عمر ده » ... الحاج ..ب من فريضته يقول هذا !! ولكنه معذور لجهله ... إلا أنى أذكر أنه أحضر لى « كوفية » ولأخى مثلها ، فأحرمنا منهما وجاد بهما على غيرنا .

..رجع إلى المدرسة وأبتدىء فى الدراسة وقد جد أمر واحد وهو لعب كرة القدم ؛ إذ كان ..وجودها بمدرسة طنطا فى سنة ١٨٩٤ . وكنت شغوفاً بلعبها ، ولكن لرابع مرة لعبتها ..ت هادمة لهذه الرغبة ، إذ أصبت فى ساق الأيسر بما أبعدنى عنها إلى الآن . وانقطعت للدرس ..وقد كان العام الثانى لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية ، وكنت ناجحاً فيه . وكنت ثالث أبناء ..درستى ، وقد كافأنى عمى بارسالى إلى مزرعته لأقضى فترة من العطلة فيها ، وكانت على شاطىء ..ر . فزودنى ببضعة قروش ، ووضعنى كاتب تجارته فى القطار فوصلت إليها تحت رعاية الله وكنفه ، ..ناك قابلنى شيخ عجوز لا أدرى ماذا استعطفه على . إلا أنه قابلنى ببكاء طويل ودمع غزير ..كث طويلا حتى خالجنى الكدر وبدأت أبكى معه فاسترحمه الحاضرون فسكت ، وبعد قليل ..ت أنه من رجال والدى ـ أسكنه الله الجنة ـ وكانت تلك الضيعة من تراث أبى فصيرتها حيل ..دى حسين صهر عمى ملكاً لعمى ، ونزعت منا انتزاعاً ، وبطريق كلها خبث ومكر وخديعة ، ذلك ..ركت قاحلة من غير زرع سنوات متتاليات ، فعلت سطحها الأملاح وبانت مواضع الشكوى ..حس الحسى واتهمت بالبوار والفساد وبيعت فى المزاد الذى رسا لاسم صهر عمى وبالأحرى ..لت إلى عمى سامحه الله ... دع عنك أيها القارىء ما يصيب اليتامى من هذه النواحى العامة . ..مع فى هذه القرية التى تجاور النيل وتتمتع بهوائه العليل ، وادرس معى حال الفلاح

عماد الثروة وأداة الغنى والسعادة وارفع صوتك معى لانصافه وإنقاذه وانتشاله من بؤسه وشقائه .

مصر التى لا يموت فيها جائع . والتى كلها الخير والبركة . ومورد هنائها الفلاح ، وهو عمد على سعادتها ، تتوالى عليه العصور وتتداول الأيام ولا من ينظر بعطف واهتمام إليه ، وهو سوءة العاملة . فلا يتساوى بالآلة الصناعية التى يعنى بأمرها ويداوم على نظافتها وتغذيتها بالزيت والشحم وإمدادها بمولدات الحرارة . ومع الأسف الشديد أذكر أن الفلاح لا يعنى بأمره ، فقد ترك على فطرته يعيش عيشة سيئة . ولولا حصانته الطبيعية وقوته الفطرية لانقرض وذهب إلى عالم الفناء . ومن أعجب الأمور اهتمام الانسان بتربية الحيوان والطيور واتخاذ التدابير ووسائل نموه وعدم انقراضه وابتكار الطرق الموصلة إلى تحسينه وكثرة إنتاجه ، بينما ينصرف الانصراف المعيب عن التفكير فى أمر أخيه الفلاح والاهتمام بأمره ، مع أنه يقوم على رأسه إنشاء كل ما يراه من إصلاح أموره . فلا يكلف الناس مثل ما يتكلفون من القوى والنفقات فى سبيل تحسين حال الحيوان والطير وما سوى ذلك .

الفلاح يقيم فى بيوت لا يرضاها المهتمون بالحيوانات والدواجن ، فان جل همهم لحيواناتهم إيجاد أمكنة تكتنفها الشمس ويدخلها الهواء وتتوالى العناية بنظافتها وكنسها ورشها بالمياه المطهرة حتى ينمو الطير والحيوان وهو قليل الثمن وهو ما علك بالكثرة . ويعيش الفلاح فى كهوف لا يدخلها الضوء ، ولا تصل إليها أشعة الشمس لحظات . ولا يجود عليها الانسان بنظرة يرتد من ورائها البصر وهو حسير : فى تلك الكهوف تتوالد القوى المحركة لدولاب الثروة فى البلاد والعاملة على إسعاد العباد ، حقاً إن الانسان عدو لنفسه وأنانى محب لذاته .

كانت ضجة لها رنة فرح حين ازدان « المعرض الصناعى الزراعى المصرى لسنة ١٩٢٦ » باقامة بيت الفلاح فيه ، وكان كمية الأمل والرجاء فى اتجاه الهمم لانقاذ أغلبية الأهلين ثم فيه . وكان ثمة اعتقاد حسن فى التضامن القومى . ولكنها كانت شعلة حماس وقتى لم تلبث قليلا حتى أصبحت رماداً . وبقى الفلاح فى ما يعانيه وهو محروم من عناية أبناء وطنه بأمره وهو دائب الكد والجد والعمل . والعناية الربانية تحصنه من شتى الأمراض .

ولا يفوتنى بعض الثناء على القائمين بأمر المستشفيات المتنقلة التى تقام فى الجهات ؛ ولا أترك الفرصة تفلت دون البحث فى هذا الأمر الهام ، أمر الاستعداد للعلاج دون الاهتمام بالوقاية ؛ ولعلى أوفق وأتجاسر على أرباب الفن الحاذقين من الأطباء ـ وقد فاتتهم تلك النقطة الدقيقة ـ فان الاهتمام بانشاء المستشفيات والعمل الجدى فى تعميمها ونشر فضلها ، قد وفر على الفلاح ما كان يتكبده ـ من المشاق والمتاعب والنفقات لانتقاله إلى المدن والعاصمة لمعالجة نفسه أو مريضه ـ ما كان يعترضه فى هذا السبيل من الضرورات التى كانت تجبره على الاستدانة

رو ن هذا جاء متأخراً إلا أنها حسنة ، ولكن مدا يكون بعد العلاج، وقد عاد إلى البيئة ني سببت المرض والمعيشة لتي لا ر ال عى حالها؟فلا بد من معاودة المرض مرة أخرى...لقد كي مريضا بالبول الدموى ، وقد نهث قواه وأضعف جسمه . فدحس المستشفى و نال منه تام . ثم رحع إلى شرب الماء المتبرك. فهل لا يتدل ابول الدموى بحصى فى لمثانة أو سوها ؟ أو ذهب إلى المستشفى ليعالج باصرتيه من رمد صديدى حاد ؟ وأراد الله له النجاة ريد إلى قريته وفيها مثار لغبار والدباب والبعوض يحتش حوها . فهل يأمن شر مرض آخر وغير ذلك من البلايا التي يعانيها ذلك المسكين والرزايا التي ينوء بحملها . وقد يتر عل لدى أن يدو ابرك والمستنقعات مما عنى بأمره جد العناية . ولكنى لا زلت أشعر بأنى لا أنسى تلك سرويه انسادجة ، وقد أخذت قليلا من الماء النقى المكرر وحملته فى وعائه النحاسى العتيق وركته مكشوفاً دون غطاء . ثم بدأت فى واجباتها فأخذت قليلا منه لتطبيخ بواسطة «كورها» نى عواره . ثم عادت الكرة بذلك الكور فعكر صفو الماء ، ولما أن تمت عملها أخذت بقية الماء واغتسلت به وغسلت وجهها . فهل يعصمها بعد هذا من الرمد عاصم ؟ وهل يدفع عن بعها لدى شرب من ذلك الماء خطر الانكلستوما أى مجهود ؟ هنا وهنا أيضاً يجب البحث فى الوقاية من تلك الأضرار . وليس أرم من الاهتمام بتنظيم معيشة الفلاح وبيت الفلاح وحياة الفلاح .

الفلاح على فطرته كقطعة المطاط تملك أن تسيره كما تشاء وتهوى . فاذا أردت إصلاحه حلقياً تجده أطوع إليك من بنانك ، وإن اتجهت لتحسين حاله ماليًا وضع كل قواه رهن إشارتك.فهو صبور ذو جلد كبير على احتمال المكاره.فالآن وقد تطورت كل المناحى الحيوية لا يصح أن يهمل أمره ويترك من غير عناية فيصبح فريسة للأمراض الاجتماعية والجسمانية.

فى هذا الزمن — الذى يعنى فيه بالحيوان ويشفق به حتى اجتمع بنو الانسان وأسسوا جمعيات الرفق بالحيوان.وأقاموا المستشفيات لمعالجته،ووضعوا القوانين والعقوبات الصارمة لمن يعتدى عليه،ويقصر فى الاهتمام بأمره — لم توجد فى القلوب رحمة ولا رفق بالانسان،ولم يخطر على قلب بشر أن ينهض ويهيب بالناس للعناية بهذا المخلوق النافع.حتى يشعر الانسان بآلام أخيه الانسان.

فى القرى مؤلمات كثيرة ومحزنات جمة حيث تجد ذلك المخلوق الضعيف تتقاذفه أمواج الاستهانة فلا يستقر بسفينته على شاطىء..طول يومه يكدولا نعيره درجة الاهتمام بالآلة الحديدية التى تباع وتشرى،ولا نجد من يدبر له أمر قوته كما يدبر للآلة أمر وقودها،ولا من يعنى بنظافته كما يهتم بالآلة الصماء، التى من عجيب أمرها ألا يقدم لها من الزيت أو الشحم إلا ما وضع على الأصول الفنية.

أما الفلاح ، أما الانسان المصرى أو الثروة والقوة العاملة . فمعيشه لا يسمن وعيشته مرة وحالته أسوأ حال .

الفلاح ومن غالبيته الجند المدافعون عن الوطن،القائمون بحراسة الأرواح،العاملون على استتباب الأمن والسكينة لا يفارقهم بؤسهم القديم. إذ لا يعنى بطعامهم كأنهم ليسوا كبقية جنود العالم، ولا تتحرك نحوهم عاطفة المقارنة بينهم وبين من يرابط بجوارهم من الجنود الذين لا يأكلون إلا الجديد. ولا يلبسون إلا الجديد، ولا ينامون إلا فوق الأسرة.

الفلاح — ومن كثريته اليد العاملة فى المتاجر والمصانع والمعامل، وفى أشق أعمال المتعهدين والمقاولات — مغبون فى أجره، مظلوم فى معاملته مع صلابة عضده وقوة يده. وليس من ينصفه، أو يعنى بأمره، أو يحفل به، ويوثق بينه وبين العامل الأجنبى الذى يتناول الأجر مضاعفاً، ويعامل مكرماً محترماً، ويوثق به ولو كان جاهلا.

ولكن الفلاح الحاج حسين صهر عمى، وزوج ابنته، لم يكن فلاح القرية، بل كان فلاح مدينة ضطا. وأمره عجيب ... كان مغرماً بالمال وجمعه. وقد ساعده حظه. وكان يجوب القرى ويجلب منها الغلال والحبوب ليتجر فيها، فكان ربحه وفيراً جداً. فشب على حب المال. وقد لقت بباعها التسيار فى ضيافته، فزين إلى عمى استخدام أموالنا فى تجارته، وحبب إليه مشاركته لنا، واستمله لهذه الفكرة، وكان أمر الله مقدوراً، وما هى إلا ليلة حتى شاع فى المدينة خبر اندلاع النيران فى محل التجارة، وما هو إلا الصباح حتى بانت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وقضى الأمر وعادت الخسارة على اليتيمين: أخى وأنا، والحمد لله فقد استنفدت المال ولم تمتد إلى العقار (السيكورتاه).

الفارق كبير جداً بين فلاح القرية البسيط المستسلم لقضاء الله، وفلاح المدينة الصعب المراس، فقد استخدم قوة النسب، وحسب لنفسه ما حسب، وكان — كما بسطت من القول — أن تم له ما أراد، وصادق المجلس الحسبى على الحساب وتم المراد.

ليس فى هذا شىء من العجب، وإنما هذا حال اليتيم: يطمع فى ماله، وتوضع الخطط لاغتياله، ولو كان فى حصانة الوصاية — من الأهل، وربما كانت من غيرهم أخف ضرراً، ولكن الذنب واقع على أولئك الذين يقيمونهم أوصياء ويكتفون بمحاسبتهم ظاهرياً. وهذه مشكلة لا يحلها إلا أنه يوكل أمر اليتيم إلى هيئة عامة تتحمل مسئولية ولايته، من وقت أن يموت مورثه، وتكون ذات نظام إدارى تصان به حقوق الضعفاء من اليتامى.

فكرت كثيراً وجعلت همى فى تقدير مسئولية عمى، لأنى حللت خططه وفحصت تصرفاته، فرجعت أدراجى إلى علة قوية وهى «المرأة». فإن حبه لزوجته جعله يخضع لسلطانها مع وجود الفوارق الكبيرة بين البيئة التى نشأ فيها والحياة التى قضاها فى وسطهم. ولهذا قد اضطررت لدرس الحياة الزوجية فى الأوساط المصرية فى الماضى والحاضر، ولا أضن على قراء «المعرفة» لقراءتنا وصلت إليه من حقائق، إذ فيه عبرة وعظة.

أسعد لطفى حسن

معجزة الفلم الناطق

بقلم الأستاذ حسن شريف الرشيدي

مدرس العلوم بمدارس الأمة

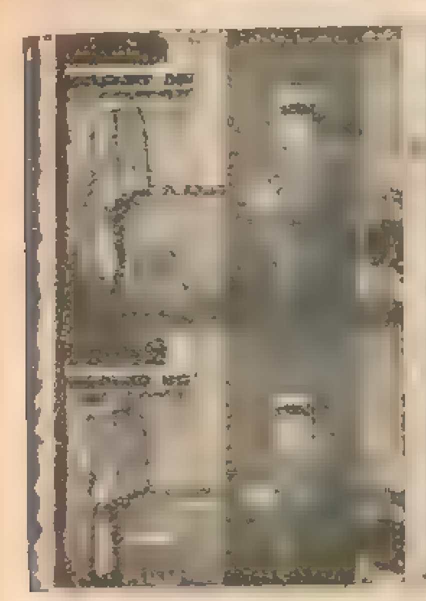
عندما برزت الصور المتكلمة إلى عالم المسارح دهش الناس كل الدهشة. بينما اشمأز البعض منها حد الاشمئزاز. كما أن كثيرين صرحوا أنها لن تدوم طويلا. بل لقد رأينا من هجر من رواده صالات الصور المتحركة بتاتاً. والحق أن الصور المتكلمة كانت – في بدء ظهوره – لا تبشر بخير. ولكن التحسينات التي أدخلت على الكلام والموسيقى بواسطة (الفلم المصور) قد ضمن لها مستقبلا ثابتاً.

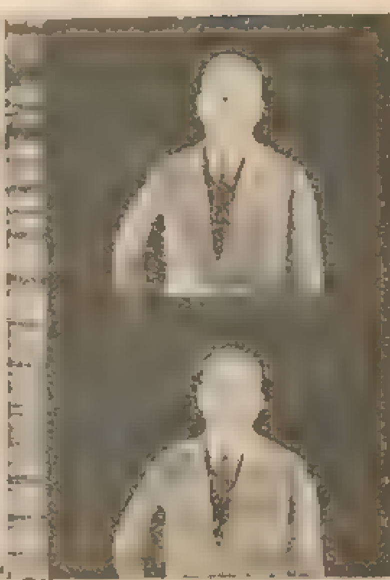
وقصة الوسائل التي ازدهر بها هذا العلم الناشيء، وانتهت به إلى حالته الراهنة هي في حقيقة قصة عن (الإحكام والدقة). إذ قد سارع عدد عظيم من أقدر المهندسين والكهربائيين والكيميائيين والموسيقيين في العالم، وعملوا معاً كفرد واحد، متجهين بتفكيرهم إلى غرض ثابت. وذلك ما لم يحدث مطلقاً قبل ذلك في أي عمل علمي. ويرجع هذا — إلى حد ما — إلى المكافآت العظيمة التي كانت تبذل لكل مجهود ينجح في عالم الصور المتحركة، كما يرجع إلى سحر هذا العمل غير الطبيعي، وافتتان الجماهير والفنانين به.

ومنذ سنتين كان نصف الصور المتكلمة تقريباً – التي كنا نشاهدها – يعتمد على (الفونوغراف) و (البوق المكبر Loud Speaker)؛ فكان الفونوغراف يدار بمحرك كهربائي. وهذا المحرك يتزن في دورانه مع محرك آخر يسحب الفلم أمام المصباح البارز (Projector). ولكن تموجات الصوت المصور المطبوعة على حافة الصورة صارت الآن أكثر إحكاماً من الطريقة السابقة، وربما اختفى الفونوغراف بتاتاً من عالم الصور المتكلمة بعد سنة واحدة.

ونرى في الشكل المرسوم على الصفحة التالية (ص ٥٤٦) قطعة من الفلم المصور الناطق؛ وتحتل صورة الشخص جزءاً كبيراً. ولكن في أحد الجوانب ترى خطاً متموجاً ضيقاً للصوت، وبه تسجل صورة الأصوات — كالأصوات الإنسانية والموسيقى —؛ وهي التي أخذت في آلة التصوير، ولكن في نفس وقت أخذها تماماً التقطت صور المشاهد.

ونرى في الفلمين المرسومين نوعين من خطوط الصوت (Sound Tracks). ونرى أحدهما في شكل سلسلة جبال تمتد على طول الفلم. ونرى الآخر في شكل قضبان أفقية تختلف أبعادها وتعترض خط الصوت الطولي.





ويدين القرن الماضي بوجوده إلى أعظم اختراع علمي وهو « الصمام Valve » : وكان من الممكن أن نشاهد الصور المتكلمة منذ عشرين عاماً مضت، لو كان لدينا هذا الصمام المدهش، الذي يمكن به للتيار الكهربائي الضعيف أن يكبر تدريجاً حتى يصير قادراً على أن يؤدي عملاً .

وقد عرف — من زمن ما — أن شعاع الضوء الذي يسقط على مادة خاصة يولد تياراً كهربائياً . ولكن هذا التيار كان من الضعف بحيث لم يمكن استخدامه أو الانتفاع به. فكان الصمام هو الحلقة المفقودة التي تم بها هذا الاختراع .

ومهما كان التأثير الكهربائي ضعيفاً اليوم، فإنه يمكن تكبيره عشرات الملايين من المرات ؛ وشعاع الضوء الذي يسقط بسرعة هائلة على صفيحة من المعدن مغطاة بالبوتاسيوم يولد تيارات لا نهاية لها يمكن تكبيرها جداً بواسطة الصمامات ، حتى إن الصوت الذي تولده في البوق المكبر يسمع في صالة تسع خمسة آلاف من المشاهدين .

وطريقة التقاط الأصوات هي كما يأتي :

يعلق الميكروفون ـ وما هو إلا غشاء كغشاء سماعة التليفون ـ في الاستوديو . فتنقض أصوات المتكلمين وموسيقى الأوركسترا . وتحول اهتزازات الهواء التي تولدها هذه الأصوات إلى تيارات كهربائية ضعيفة . وذلك ما يحدث تماما عند التكلم في التليفون . ثم تكبر تيارات الميكروفون الكهربائية هذه ـ بواسطة الصمام ـ حتى تصير من القوة بحيث تضيء نوعاً معيناً من المصباح الكهربائي .

ويملأ هذا المصباح بغاز الأرجون ، وبه أنبوبة تملأ بموصل للكهربائية، وتعمل كأحد القطبين ، ويعمل موصل آخر في أحد جوانب المصباح كالقطب الآخر، ثم يشحن المصباح بنحو

..وت من الكهربائية فتتولد شرارة زرقاء لامعة بين القطبين . وهذه الكهربائية التي ..ى في المصباح هي التيارات الآتية من الميكروفون ؛ ويكثر الضوء أو يقل في المصباح ..ذبذبات الصوت . فإذا كانت النغمة الصوت قوية كان التوهج قوياً . وإذا كانت ..حادة كان الضوء حاداً . ويكون كذلك عدد تذبذبات الضوء (Frequency) في الثانية ..ذبذبات الهواء الناتجة من الصوت تماماً . والخلاصة أن المصباح يعيد تردد النغمات وشدتها.

وصورة المتكلمة ما هي إلا صورة ضوء هذا المصباح مأخوذة على فلم يجري في داخل .. الالتقاط (الكاميرا) بنفس السرعة التي للفلم الذي في الآلة الأخرى . وهو الذي يلتقط ..ور المشاهد .

ويضبط الآلتان معاً — كما ذكرنا — ويدير كلاهما محرك كهربائي في وقت واحد ، ويجري ..لم في داخل الآلتين بمعدل ٩٠ قدماً في الدقيقة . أي ميل في الساعة تقريباً . ويركز ضوء ..صباح الناطق على صفيحة صغيرة من المعدن موضوعة أمام الفلم المتحرك ؛ ومن المعلوم أن ..رات الميكروفون تجعل المصباح في حركة دائمة . وكل آلاف الترددات والتغيرات في نغم ..وكل المميزات الدقيقة لصوت الإنسان تجمع في تذبذب الضوء . وتظهر الصور ..بعدة — أي على الصفيحة — على الفلم المتحرك بسرعة . مكونة هذه القضبان الصغيرة على خط ..صوت (Track) الذي نراه في الصورة عند إظهار الفلم (Developing) .

..سلسلة الجبال التي تظهر على خط الصوت في الصورة الأخرى . فإنها تسجل بطريقة ..ايرة للأولى تمام المغايرة . إذ تمر تيارات الميكروفون في سلكين دقيقين يمتدان بين قطبي مغناطيس ..وي . وفي وسط السلكين توجد مرآة دقيقة مثبتة فيهما ؛ ويسبب مرور التيارات في السلكين ..التواءهما قليلاً . وذلك بسبب التأثير المغناطيسي كما هو معروف ؛ ففي حالة ..سكون تكون المرآة بحيث تعكس شعاعاً ضوئياً من مصباح كهربائي صغير يتنصفه تقريباً ..ب معدني عن حلقة الضوء . وعندما تهتز المرآة بسبب تيارات الميكروفون — تبعث ..ضوء قليلاً أو كثيراً إلى القضيب المعدني . وتأثير ذلك على الفلم عند إظهاره وجود تلك السلسلة الجبلية بقممها ووديانها العديدة .

وما هو ذلك الذي كان له الأثر في تحسين الصور المتكلمة ؟

الإجابة عن ذلك يمكننا أن نعترض مئات الأسباب ، ولنبدأ بالاستديو حيث تؤخذ ..صور . ففيه ظهر فجأة علم السمعيات (Acoustics) . واحتل مكاناً هاماً ؛ فاستدعى المهندس ..معماري والبناء . وعاونهم رجال لهم دراية كبيرة بموضوع الصوت . وبني الاستوديو بشكل ..اص . واخترعت كل أنواع المواد الماصة الحديثة تمنع حدوث الصدى . ولتعطي كمية مثلى ..من الانعكاسات . ولتمنع الأصوات الخارجية عن التسلل إلى الاستوديو . وكثيراً ما تبنى ..جدران والسقوف من ست أو سبع طبقات من مواد لها خاصية امتصاص الأصوات . وقد ..درست خواص هذه المواد دراسة رياضية وافية بأحدث الأجهزة العلمية .

وقد مرت على إضاءة الأستوديو تطورات كثيرة ، لأن المصابيح الكهربائية [illegible] التي كانت تستعمل قبل عمل الأفلام الصوتية ـ كانت تحدث ضوضاء كثيرة . فأبعدت وحل محلها مصابيح متوهجة لا صوت لها . ومع أن زيادة حماس قوة إضاءة هذه المصابيح [illegible] في هيئة حرارة . فقد قامت عدة مشاكل في سبيل التخلص من هذه الحرارة [illegible] التهوية . إذ صارت حرارة الأستوديوات المضاءة بمصابيح قوتها ملايين من [illegible] لا تطاق . وصار من اللازم جداً إدخال الهواء البارد وإخراج الهواء الحار . و [illegible] دخول الهواء في الأنابيب الضخمة حدث صوتاً غريباً كافياً لإتلاف الصور [illegible] لتدبير حيل أخرى تمكنوا بها من تهوية الأستوديو بدون ضوضاء .

ومن [illegible] الصعوبات التي قامت في تصوير الصوت هو الحيز الضيق جداً الذي فيه [illegible] (الأسطوانة) . إذ أن الصورة المتحركة يبلغ اتساعها بوصة وثلاثة أرباع البوصة . و [illegible] في جدحو منها (أي بين الصورة والثقب) خط الصوت الذي يبلغ عرضه أقل من [illegible] بوصة . وفي هذا الحيز الضيق يجب أن تطبع ملايين الخطوط الرفيعة التي تشكل [illegible] المتشابكة الدقيقة من الارتفاعات التي تكون الصورة الصوتية

وكل من له إلمام بالتقاط الصور يعرف أن الصور التي تلتقط وتبلغ حد [illegible] قليلة جداً . إذ يبدو ضوء البعض منها أكثر من اللازم ، كما يبدو البعض الآخر [illegible] وغير ذلك من عيوب التصوير . ولكن في الفلم المصور يجب أن يكون كل [illegible] من آلاف الأمتار من هذا الخط الصوتي الدقيق ـ صورة كاملة الاتقان

ولذلك نجد هذه الصناعة الحديثة ، التي أصبح الاتقان الدقيق له الأهمية [illegible] ولو أنك فحصت صورة فتوغرافية عادية بعدسة قوية جداً ، لظهر أنها مصنوعة [illegible] الحبيبات الدقيقة ([illegible]) ، أو مجموعات من ذرات الفضة السوداء . ولو أن هذه الحبيبات صغيرة ، إلا أنها إذا كبرت تكبيراً كافياً فإنها تظهر في شكل كتل وعقد [illegible] على طول الشكل الدقيق للصورة الصوتية ، ومجرد التصاق هذه الحبيبات الصغيرة [illegible] دقيقة (خفيفاً) عند تسجيل الصوت . وقد بذلت لذلك مجهودات عظيمة لتوليد [illegible] هذه الحبيبات حتى يكون إخراج الصوت متقناً .

وقد مرت أعوام كثيرة في سبيل إتقان الصورة الصوتية . واستعملت لذلك [illegible] والبصرية (Optical) . وتألفت جمعية بريطانية مهمتها تحسين الطرق الميكانيكية [illegible] خير مسجل للصوت (Record Cut) ، وخير قرص (أسطوانة) له . وقلما يدرك [illegible] للصور المتحركة المجهود الهائل الذي يبذل في عشرات المعامل الفنية لاتقان الصور [illegible]

وكلنا يشعر بالأزيز أو الحفيف الذي يخرج من آلة الراديو إذا لم تضبط [illegible] . وكذلك يكون الصوت غير طبيعي إذا كان « البوق المكبر » رديء الصنع .

ولكن فى تصوير المتكلمة يجب أن تكون كل آلات التسجيل والتكبير فى منتهى الدقة، فأى تحريف فى الصوت أو أقل ضوضاء خارجية تصير هائلة ومزعجة عند تكبير الصوت فى الصالات المتسعة .

وبما أن الأصوات الانسانية تختلف فى الشدو السمعى ، وبما أن النغمات الموسيقية تختلف أيضاً فى وقعها ، وذلك ما يحمل فرق كبير جداً عند تكبيرها ليسمعها النظارة ، لذلك يجب على العلم الناضى أن تكون أصوات الممثلين وكذلك النغمات الموسيقية فى مستوى توافق واحد . ويتم ذلك بواسطة قرص خاص يجمع تيارات من الميكروفونات المختلفة قبل مرورها إلى المصورة . ويلاحظ هذا القرص خبير بالأصوات حتى يساوى بين الأصوات الضعيفة والقوية .

وأحسن نوع لآلة التصوير يساوى تقريباً كثير من الجنيهات . وذلك لأنها آلة عجيبة ... إلى حد كبير جداً . وليتذكر كل منا أن الصورة التى تلتقطها هذه الآلة ... فى حجم طابع البريد ، تكبر حتى تملأ الشاشة البيضاء ، وتبدو كأن لاعبيها ... المصور الصوت تضاف فوق ذلك آلاف أخرى من الجنيهات إلى ثمن الآلة السابقة . والرجل الذى يقوم بالتصوير — وهو المعروف بالمصور (...) — من أقدر الأشخاص وأرفعهم ... أجراً فى عالم الصور المتحركة .

وعندما يتم طبع الفلم الصوتى ... فى حافة الفيلم على الصورة التى يحولها الضوء ... — كما سبق — إلى موسيقى — يطبع على كل نسخة من الصور بعد ذلك . وعندما يتم ... الصورة المتحركة والصورة الصوتية — كل منهما فى آلتها تضاف الصورتان بعد ذلك إلى نسخة واحدة للعرض .

وعلى ذلك يعتبر المصباح البارز فى المسرح كآلة مزدوجة : ففى الأول يعتبر كالفانوس السحرى يبعث بالصور المكبرة إلى الشاشة البيضاء بمعدل ٢٤ صورة فى الثانية . ويبعث أيضاً شعاع ... الضوء — وهو صورة خط الصوت — على خلية الصوت التى على الشاشة (...) .

وبما أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت جداً ، لذلك كان من اللازم أن نشاهد الصور تتحرك ... على الشاشة ، ثم نسمع بعد ذلك بقليل أصوات الممثلين . أى أن المناظر تسبق الأصوات . ولإزالة هذا العيب جعلت الصورة الصوتية حيث تمر خلال مولد الصوت قبل ظهور صورة ... على الشاشة . وبذلك يعطى للصوت وقت كاف يصل فيه إلى المستمعين قبل أن يروا الحركات . ونسمع الكلمات والموسيقى فى نفس الوقت الذى يظهر فيه المنظر الملائم .

والنتيجة : أننا لا نزال — مع ذلك — فى أول خطوة من خطوات التصوير الصوتى . وسوف ... تحسين الصور الناطقة فى السنين القادمة . ولو أننا نرى الآن أن عمل فلم صوتى يجب أن ... قدر العلماء الاختصاصيين فى العلوم الحديثة مخترعين لذلك أدق الآلات الميكانيكية . وما من شىء يعجز عنه عقل الانسان .

حسن شريف الرشيدى

الغزال الشـــــاعر

بقلم الدكتور زكى مبارك

الغزال هو يحيى بن الحكم البكرى الجيانى . ولقب بالغزال لجماله ، ولد سنة ١٥٦ هـ وتوفى سنة ٢٥٠ . وهو شاعر مفلق ضاع ديوانه ولم يبق من شعره غير شذرات متفرقة فى كتب الأدب ، وكان يذهب فى أكثر شعره مذهب راشد بن إسحاق . وهو شاعر ضاع ديوانه أيضاً . وتحامى المؤلفون فى الأدب رواية شعره لما كان يغلب عليه من المجون .

وللغزال قصيدة حاكى بها مذهب راشد وشاع ذكرها فى المشرق . وبلغ من أهميتها أن سأل عنها عبد الله بن طاهر — يوم كان والى مصر من قبل المأمون — أحد تجار الأندلس . فلما أنشده إياها سر بها وكتبها وأجزل لراويها العطاء .

والقصيدة مجونية ، ولكن مجونها ملفوف . لهذا نستبيح تقديمها لقراء المقتطف ، وما نحسبهم يتورعون عن رواية ما استجاده أمير كان يراه الذهبى من كبار الملوك .

خرجت إليك وثوبها مقلوب ... ولقلبها طرباً إليـك وجيب
وكأنها فى الدار حين تعرضت ... ظبى تعلل بالفلا مرعوب
وتبسمت فأتتـك حين تبسمت ... بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت ... نفس إلى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها ... فى الدار إذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها ... فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشىء قبضة شاهن ... فنزا إلى كفغنها حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطاقـة ... ليست لأخرى والأديب أريب
فأصاب كفى منـه حين لمسته ... بلل كماء الورد حـين يسيب
وتحللت نفسى للذة رسحه ... حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه ورعا ... ناديته خيراً فليس يجيب
وأبى فحقق فى الاباء كأنه ... جان يقاد إلى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنـه ... كير تقادم عهده مثقوب
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... قبساً وحان من الظلام ذهوب
ساءلتها خجـلا أما لك حاجـة ... عندى فقالت ساخر وحروب
قالت حرامك إذ أردت وداعها ... قرن وفيه عوارض وشـموب

وحكى ابن دحية أن الغزال سافر إلى بلاد المجوس . وقد قارب الخمسين ووخطه الشيب . ولكنه كان مجتمع الأشد ؛ فسألته زوجة الملك يوماً عن سنه فقال لها مداعباً : عشرون سنة ، فقالت : وما هذا الشيب ؟ فقال : وما تنكرين من هذا ؟ ألم ترى قط مهراً ينتج وهو أشهب ؟ فأعجبت بقوله ، فقال فى ذلك واسم الملكة تود :

كلفت يا قلبي هوى متعباً غالبت منه الضيغم الأغلبا
إنى تعلقت مجوسية تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله فى حيث لا يلقى إليه ذاهب مذهبا
يا تود يا رود الشباب التى تطلع من أزرارها الكوكبا
يا بأبى الشخص الذى لا أرى أحلى على قلبي ولا أعذبا
إن قلت يوماً إن عينى رأت مشبهه لم أعد أن أكذبا
قالت أرى فوديه قد نورا دعابة توجب أن أدعبا
قلت لها ما باله إنه قد ينتج المهر كذا أشهبا
فاستضحكت عجباً بقولى لها وإنما قلت لكى تعجبا

فلما فهمها الترجمان هذه الأبيات ضحكت وأمرت الغزال بالخضاب ففعل ، فغدا عليها وقد اختضب وقال فى ذلك :

بكرت تحسن لى سواد خضابى فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف إلا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فإنما هو زهرة الأفهام و الألباب
فلدى ما تهوين من شأن الصبا وطلاوة الأخلاق و الآداب

وحكى ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم وجه الغزال إلى ملك الروم فأعجبه حديثه ، وخف على قلبه وطلب إليه أن ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر . وكان يوماً جالساً عنده وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسناً ، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه . فأنكر ذلك عليه وأمر ترجمانه بسؤاله ، فقال له : عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فإنى لم أر قط مثلها ؛ وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وأنها شوقته إلى الحور العين ! فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده ، وسرت الملكة بقوله ، وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين إلى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة . فقال للترجمان : عرفها أن فيه أكبر فائدة . وذلك أن الغصن إذا زبر قوى واشتد وغلظ . وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً ، فضحكت وفطنت لتعريضه .

وكان الغزال أقذع في هجاء علي بن نافع المعروف بزرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن بن الحكم فأمر بنفيه . فدخل العراق بعد موت أبي نواس بمدة يسيرة . فوجد العراقيين يلهجون بذكره ولا يساوون شعر أحد بشعره ، فجلس الغزال يوماً مع جماعة منهم . فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس ، فقال لهم الغزال : من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم … تأبطت زقى واحتبست عنائى
فلما أتيت الحانت ناديت ربه … فثاب خفيف الروح نحو ندائى
قليل هجوع العين إلا تعلة … على وجل منى ومن نظرائى
فقلت أذقنيها فلما أذاقها … طرحت إليه ريطتى وردائى
وقلت أعرنى بذلة أستتر بها … بذلت له فيها طلاق نسائى
فوالله ما برت يمينى ولا وفت … له غير أنى ضامن بوفائى
فأبت إلى صحبى ولم أك آئباً … فكل يفدينى وخف فدائى ...؟

فأعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له كل مذهب ، فلما أفرطوا قال لهم الغزال : خفضوا عليكم فإن الشعر لى ! فأنكروا ذلك ، فأنشدهم قصيدته التي أولها .

تداركت في شرب النبيذ خطائى … وفارقت فيه شيمتى وحيائى

فلما أتمها خجلوا وتفرقوا عنه .

وكان الغزال سيء الظن بوفاء المرأة . وله في ذلك هذه القطعة التي تعد من أروع ما قيل في هذا المعنى :

يا راجياً ود الغوانى ضلة … وفؤاده كلف بهن موكل
إن النساء لكالسروج حقيقة … فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فإذا نزلت فإن غيرك نازل … ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المجتاز أصبح غادياً … عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها … تدنو لأول من يمر فيأكل
أعط الشبيبة ـ لا أبا لك ـ حقها … منها ، فإن نعيمها متحول
وإذا سلبت ثيابها لم تقتنع … عند النساء بكل ما تستبدل

وقد عمر الغزال أربعاً وتسعين سنة ، وعانى في مشيبه ما عانى من كذب الغوانى . وله في خداعهن هذه الأبيات :

قالت أحبك قلت كاذبة … غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله … الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك إن م الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولى النار باردة … أو أن تقولى الماء يتقد

[البقية على الصفحة رقم ٥٥٧]

٣ - القواعد الجديدة في العربية *

للأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

---

٤٤ — فَعلان : يصاغ من الثلاثي اطراداً للدلالة على السرعة في العمل ، مثل «سرعان ، شتان ، و [illegible] شكان ، أي ما أسرع ، وما أشد ، وما أوشك» .

٤٥ — فعلا التعجب : ما أفعله وأفعل به ؛ ليسا بماضيين ، لأن التعجب يستوجب الإنشاء . ولأن الماضي مختص بالخبر ما عدا الدعاء والرجاء ، مثل : «وفقك الله للخير» ، فإنه يجري على المستقبل . والأصل فيه المضارع ، كقوله : «[illegible] بارك» .

٤٦ — (فعّل تفعلة) مطرد ، مثل : «[illegible] حلّه تحلة ، وعرفه تعرفة ، وحلله تحلة ، وعلله [illegible] ، وكرمه تكرمة ، وبصره تبصرة ، وقدمه تقدمة ، وكمله تكملة» . واستقصاء المسموع منه صعب ؛ وبذلك تصبح القاعدة شاملة لا خاصة .

٤٧ — المفعِل (بكسر العين) : مصدر مطرد ، وتلحق به الهاء ، مثل : «رجع مرجعاً ، وصار مصيراً ، وشاب مشيباً ، ورفق مرفقاً ، وقال مقيلاً ، ومال مميلاً ، وبات مبيتاً ، وباع مبيعاً ، وحسب محسبة ، وشاء مشيئة ، وأوى مأوية ، وبعث مبعثة ، وحمد محمداً ، وحمى محمية ، وحاد محيداً ، وحشي محشية ، وخال مخيلة ، ورثى مرثية ، ورزأ مرزئة ، وزرى مزرية ، وزل مزلة ، وسال مسيلاً ، وشتم مشتمة ، وحاص محيصاً ، وعصى معصية ، وعاش معيشاً ، وعال معيلاً ، وعدل معدلة ، وغفر مغفرة ، وغاب مغيباً ، وفر مفراً ، وقدر مقدرة ، وفنى [illegible] ، وكبر مكبراً ، وكال مكيلاً ، وملك مملكة ، ونزل منزلاً ، ونسب منسبة ، ونطق منطقاً ، [illegible] مبيضاً ، وحاص محيصاً ، ووثق موثقاً ، و[illegible] ، وود مودة ، ووضع موضعاً ، ووعد موعداً وموعدة ، وولد مولداً ، و[illegible] ، وجاء مجيئاً ، وزاد مزيداً ، وغاص مغيصاً ، وعاب معيباً» (٢) . ويجب دخول الهاء في آخر المعتل اللام بالياء — كما تقدم — مثل : «معصية ، ومحشية ، ومأوية ، ومرثية ، ومحمية ، ومفدية» لتستقر الكسرة بعد نفورها من ضدها ، واستقرارها يكون بانقلاب ضدها ياءً .

---

* راجع ج ١٢ [illegible] سنة ١٩٣٢ (السنة الأولى) و ج ٢ يونيو سنة ١٩٣٣ (السنة الثانية) من «المعرفة» .

(١) نحن قلناه في «لغة العرب» [illegible] على وزن «مفعول» مثل : «المجلود ، والمحلوف ، والمقتول ، والمعسور ، والمعقول ، و[illegible]» ٦ : ٧٦١ .

(٢) ليست هذه القاعدة من مخترعاتنا ، فقد جاء جوازها في المزهر (٢ : ٦٤) ، قال : «ومن العلماء من يجيز الكسر والفتح فيه [illegible]»

٤٨ إذا كان تأثير الفعل من أعلى فيجوز استعمال « على » اطراداً مع الفعل المتعدي بنفسه ، مثل : حتمه وحتم عليه . وركبه وركب عليه ، وضربه وضرب عليه ، وداسه ودام عليه ، وضغطه وضغط عليه ، وقبضه وقبض عليه . وسده وسد عليه . وساده وساد عليه . قال الشاعر :

فعدنا والفخار لنا لبـاس نســود به على أهل الزمان

ورغب بعضهم إلى المجمع العلمي العربي السوري في نيل المصوبة بكتيب فيه تصحيح (ساد عليه) : بساده ، و (علا عليه) : بعلاه ، و (غطى عليـه) : بغطاه ، وأمثال هذه الهفوات ؛ وقد نال المصوبة ـ مع أن القاعدة الفلسفية مطردة في ذلك زيادة على السماع ـ . وحسبك من السماع أنه ورد في التنزيل المجيد في سورة المؤمنين : « ما اتخذ الله من ولد » . « وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق (ولعلا بعضهم على بعض) سبحان الله عما يصفون » . ووردت الرواية في المصباح المنير هكذا : (وعلوت على الجبل ، وعلوت أعلاه بمعنى أيضا) . ومن استعماله في غير القرآن الكريم ما ورد في الأغاني (١ : ٢٥٤) طبعة دار الكتب . ونصه : (فعلا على أبي قبيس وباح بشعره) أراد به ابن سريج المغني . ومنه قول مروان بن أبي حفصة الشاعر : « حلق به أن يغلبني وأن يعلو على عـمده » ، كما جاء في أمالي المرتضى (٤ : ١٨٦) . وقول أبي الفضل عيسى الحاجري من الشعراء المتأخرين :

يا برق إن جئت الديار بأربل وعلا عليك من التداني رونق(١)

ومنه قول النقيب أبي جعفر العلوي(٢) : « وعلا عليه من هو دونه » ، كما في شرح ابن أبي الحديد (٢ : ٥٧٦) . وقال الشارح في ص ٤١٩ منه : « تعلكم : تعلو عليكم » . وفي (٣ : ١٨٩) من الشرح قوله عليه الصلاة والسلام قبيل موته : « إني لكم منه نذير وبشير أن لا تعلو على الله في عباده وبلاده » . وفي (٤ : ٣١٧) منه قول هانىء بن مسعود :

إن كسرى علا على الملك النعـ ـمان حتى سقاه أم الرقوب

وفي ص ٤٢٥ قول عبد الأعلى البصري :

ويقول لما أن تنفس خاليا نفساً له يعلو على الأنفاس

وجاء في حوادث سنة ٢٦٧ هـ من تاريخ الطبري « فوهب الله له العلو بعد صبر » . وجاء في مادة (ع ر ش) من مختار الصحاح : « واعترش العنب إذا علا على العراش » . وفي وصية جميل بثينة للاعلام بنعيه : ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات . وقال سبط بن التعاويذي :

---

(١) وفيات الأعيان (١ : ٤٣٥) .

(٢) ذكرناه في ص ٢٢٧ من السنة الثانية لمجلة « المعرفة » .

فإن أكن عالياً عليه فهو على كاهلى ثقيل

وقال البديع الأسطرلابى هبة الله :

قلت : فرخ الطاووس أحسن ما كا ن إذا ما علا عليه الريش

وما ذكرنا هذه الاستعمالات - بعد استعمل التمرين - إلا ليعرف بعضهم ما يجب على العالم اللغوى من الاستقصاء والتبحث والتحرى .

ودليل (غطى عليه) بمعنى (غطاه) قول عروة بن أذينة . كما فى ص ٣٨٤ من شرح عروة عن الغرة . نقلا عن كتاب « رائى الشعر لابن قتيبة » . وكما فى الوفيات (١ : ٢٢٧) :

ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى

ومن أدعية الامام على بن أبى طالب التى كان يدعو بها زين العابدين على الأكبر بن حسين : « وكم من ذنب غطيت عليه فلم تشهرنى » . وهو من أدعية الصحيفة . ومن كتاب الامام على إلى معاوية - كما جاء فى شرح نهج البلاغة (٣ : ٤٠٩) : « لتعد أيها المرين على نفسه . والمغطى على بصره » . وورد هذا التعبير أيضا فى (٤ : ٥١) منه . وفى (حل) من مصباح « وحلل المطر الأرض بالتثقيل : عمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه . وفى (١ : ٧) من المستطرف قول بعضهم :

أوكان يتركها لنوع تكاسل غطى على وجه الصواب حجابا ؟

وبعضهم - وهو ممن لا علم لهم - يعد (غطى عليه) من فاحش الخطأ . وهو معذور لجهله أساليب العرب .

ومثل (فاقه وفاق عليه) ، ولكن الأخير لم يرد فى معاجم اللغة ولا عرف قاعدته أحد غيرنا ، ومنه قول أبى عبيدة كما فى (٤ : ٢٣١) من شرح ابن أبى الحديد : « ولعبد القيس ست خصال فاق بها على العرب » . وقال أبو على الحسن بن على الأهوازى المقرىء فى كتاب الاقناع - على ما فى ٦ : ٤٢٧ - من إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : « كان أبو جعفر الطبرى عالماً بالفقه ، و ... له فى جميع ذلك تصانيف فاق بها على جميع المصنفين » . وفى مادة (ب ر ز) من المختار « وبرز أيضاً : فاق على أصحابه » . وقال أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطى المؤرخ فى ترجمة هولاكو فى حوادث سنة ٦٦٣ من الحوادث الجامعة : « كان عالى الهمة .. فاق على من تقدمه بالرأى السديد » . والغريب أن اللغويين ذكروا (فاق عليه) فى غير بابها كما فعل الجوهرى . وقد طالما ذكروا فى عرض كلامهم ما لا يذكرونه فى مادته . وهو تقصير منهم .

ومثل (ستره وستر عليه) ، ولم يذكره اللغويون . فقاعدتنا الجديدة تسنده وتأتى بما يعضده . وهو قول الامام على كما فى شرح النهج (٢ : ٤١٢) : « ما ذكر موضع

ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذى عابه به » . وقوله ﷺ فى (ج ٢٩١ . ٣٥٥) منه : « كم من مستدرج بالاحسان إليه . ومغرور بالستر عليه » . وحسبنا من الامام شاهداً لصحة التعبير ، وعلو مرتبته .

ومثل (حصنه وحضن عليه . وصمه وصم عليه . ولوه ولوى عليه . واحتواه واحتوى عليه . وطبعه وطبع عليه) . وما عداه كثير . وربما بعضهم [illegible] يستكر صحة (ضغط عليه) . وقد جاء فى المختار « يقال : الضاغط كالرقيب والأمين . يقال : أرسله ضاغطاً على فلان . سمى بذلك لتضييقه على العامل » . ومنه حديث معاذ « كان على ضاغط » . وفى النهاية « كان على ضاغط » . وجاء فى أساس البلاغة « وأرسلته ضاغطاً على فلان : مهيمناً عليه يتتبع ما يأتى به » . فهذا - وإن كان من التعبير المجازى - يدل على قبول الفعل له « على » وهو مراد بعض المشار إليها فى أول المادة .

٤٩ — مفعلة (بفتح الميم والعين) يطرد صوغها لسبب فعلها والحمل عليه . مثل « الولد مجبنة مبخلة » أى يسبب له الجبن والبخل . ومثل « شراب مبولة . وتجارة مثرة . والصدق منجاة . والكذب مهوة . والطمع مفسدة . هذا مدعاة إلى ذاك . وسفر مهلكة . ورب مفازة تسبب التفوز - وهو الموت - ، والشمس مجفرة » .

٥٠ — اسم المصدر . يأتى غالباً على وزن (فعيلة) نحو : الأذية . والأفيكة . والبلية . والبصيرة . والبلية . والبديهة . والجريرة . والحفيظة . والحمية . والخديعة . والخطيئة . والدسيسة . والرزيئة . والسجيمة . والسريرة . والسكينة . والسليقة . والشبيبة . والشتيمة . والشريطة . والشعيرة . والشكية . والصنيعة . والعقيدة . والفضيحة . والقصية . والقطيعة . والنميمة . والنقيصة . والهتيكة . والهزيمة . والهضيمة . والوقيمة ، والسيئة ، والتقية ، وغيرها .

٥١ — الوصف بالمصدر . واستعماله مطرد مثل : « أصبح ماؤكم غوراً . وأنا حرب لمن حاربنا وسلم لمن سالمنا . وذلك الشيء عدم . وهو رجل عدل . وذو الرأى الصواب . وسفكوا الدم الحرام . وتركوا الشيء الحلال . وهذا الأمر حق . وهو براء منه فرط لمصاحبيه فى المسائل وأنتم حرى باتباعه . ونحن سمعك وطوعك . وفعله شر لا خير . والحرب بيننا سجال - أى مساجلة - . وجرى المذكيات غلاب - كما فى الأمثال أى مغالبة - . وهو من الخائفين ؛ وهو أهل لكذا . وأمر حزم . وماء جمد . وهؤلاء جمع وحشد . ومطر [illegible] وهو حب لها - أى حاب - . وهو حرض من المرض . وهم حفل كثير . وهو حل بل [illegible] شيء دوم ، وكان هذا دينا عليه . وهو رجع - أى مرجوع - . وكان النشيد رجزاً [illegible]

١) [illegible]

مد . وعيش رغد . ودرهم زيف . ونجوم وشهر سرد — أى متتابعة — . وهذا سقط ،
وفرس سكب . وأرسله الله رحمة وسكبا . وماء سيح . ومطر سيب . وشيء سيل .
... شب . وماء شرب . ومكان شرع . وهو شفع لا وتر . ويوم صحو . ولقاء وطعن صدق .
... حلق . وثم صحيح لب . وثم عور لب . وشيء عصب . وهو فصل . وما يصعب ذكره .

٥٢ — (فاعله مفاعلة) . يطرد إذا كان لتسبيب التفاعل والافتعال مثل : « جادله . ... وحاربه » . وكان العلماء يساوون بين المفاعلة من جهة . والتفاعل والافتعال من جهة أخرى . وهو تساهل منهم . لأنك تقول : « جادلته فلم يجادلني . وسابقتهم فلم يسابقونا » . ويؤيدنا فى هذا المذهب قول الأخطل .

فلأياً قصرت الطرف عنهم بجرة أمون إذا (واكلتها لا تواكل)

ومن الخطأ قولنا أو قول غيرنا : لا يجوز أن يقال : داهمه الخطر وجابهه فلان ، وما ... . لأن تسبيب التفاعل والافتعال من الأحوال البشرية المتعارفة . وما أحرى العربية أن تقوم بحاجة البشر ؟

(بغداد) مصطفى جواد

الغزال الشاعر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٥٥٢]

وقال فى سوء الظن بالناس :

لا ومن أعمل المطايا إليه كل من يرتجى لديه نصيبا
لا أرى ههنا من الناس إلا ثعلباً يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيهاً بالقط ألقى بعينيه إلى فارة تريد الوثوبا

وقال فى هجاء من اسمه أبو حازم :

سألت فى النوم أبى آدم فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم صلى عليك الملك الخالق
فقال لى إن كان منى ومن نسلى فحوا أمكم طالق !

وبعد فهذه كلمات عن شاعر كان فى زمانه من أجمل الناس وأظرف الناس ؛ وهى كلمات ليس لا تشفى الغليل . ولكنا لا نملك فى التعريف بهذا الشاعر أكثر من ذلك : لذهاب شعره . وقلة من كتب عنه من المتقدمين . وحسب القارىء أن يذكر أن فيها تذكيراً برحل عرف المشرق والمغرب . ثم انقطعت أخباره وغاب اسمه عن جميع الناس . وجهد المقل المعذر غير قليل .

زكى مبارك

في الخط العربي

هندسة الخطوط العربية واعتبارها وتناسبها ومقاديرها وما يقع في ابتداء الحروف وانتهاؤها. الخ

بقلم الاستاذ حسن عبد الجواد المحامي

أما هندسة الخط، فهي معرفة الخطوط التي يتركب منها كل حرف، فالألف تتركب من خط مستقيم لا تميل إلى استلقاء أو انكباب، وطولها سبع نقط على الراجح. والباء من خطين منتصب ومنسطح. (والتاء والثاء كذلك). والجيم من خطين: منكب ونصف دائرة. (والحاء والخاء كذلك). والدال من خطين: منكب ومنسطح. (والذال كذلك). والراء من خط مقوس. (والزاي كذلك). والسين من خمسة خطوط: منتصب ومقوس ومنتصب ومقوس ثم مقوس. (والشين كذلك). والصاد من ثلاثة خطوط مقوس ومنسطح ومقوس. (والضاد كذلك). والطاء من ثلاثة خطوط: منتصب ومقوس ومنسطح. (والظاء كذلك). والعين من خطين: مقوس ومنسطح. (والغين كذلك). والفاء من أربعة خطوط: منكب ومستلق ومنتصب ومنسطح. (والقاف كذلك). والكاف من أربعة خطوط منكب ومنسطح ومنتصب ومنسطح. واللام من خطين: منتصب ومنسطح. والميم من أربعة خطوط منكب ومستلق ومنسطح ومقوس. والنون من خط مقوس. والهاء من ثلاثة خطوط منكب ومنتصب ومقوس. والواو من ثلاثة خطوط: مستلق ومنكب ومقوس. واللام ألف من ثلاثة خطوط: منكب ومنسطح ومستلق. والياء من ثلاثة خطوط: مستلق ومنكب ومقوس

أما اعتبار الحروف فهو ميزانها الذي به تعرف صحتها أو خطؤها. فاعتبار الألف إذا خط على جانبيها ثلاث ألفات، كان ما بينها فضاءاً متساويا. والباء إذا زدت خطا [illegible] أحد سفليها كانت لاماً. والجيم إذا خط خطان عن يمينها وشمالها لا تخرج عنهما. والدال إذا وصل طرفاها بخط كانت مثلثاً متساوي الأضلاع. والراء إذا وصلت بمثلها كانت نصف دائرة. والسين إذا خط خطان بأعلى رأسها وأسفله ولا تخرج عنهما. والصاد رأسها كراء معلقة و[illegible] مبسوطة وقوسها كنون. والطاء خطها المنتصب كالألف انتصابا وطولا. والمقوس كراء والمنسطح كباء. والعين كالجيم. والفاء رأسها كالدال. والقاف مثلها. والكاف ينفصل منها دال. واللام إذا زدت خطا بين أحد سفليها كانت مثلث قائم الزاوية. والميم كالهاء (وفي بعض الصنايع: كراء). والنون إذا وصل بها مثلها صارت نصف دائرة. والهاء إذ ربعتها تساوت

...وبتان العاليتان والسافلتان . والواو ربع دائرة . واللام ألف ثلثها من سفلها وثلثاه من ...لاه . وإذا خط من رأس اللام إلى رأس الألف خط . ومن علاها إلى أسفلها خط . فلا ...رج عنهما ؛ والياء كالراء (ابن الصائغ) ؛ وكالواو (ابن مقلة) . وكالنون (ابن عبد السلام) .

...ـ تناسب الحروف ومقاديرها . فالألف طولها سبع نقط ـ من الرخ ـ . والباء تسطيحها ...ة إليه سنها كالألف ، وسنها ثمن ألف كسن السين والشين . والجيم مدتها نصف ألف . ...عين . والسين . والصاد . والراء كل منها ربع محيط الدائرة . والدال إذا اعتدلت إلى ...سفح طول الألف . والسين رأسها ثمن ألف ـ كما سبق ـ وتعريقها كنصف الدائرة المحيطة ...ألف . والصاد والطاء مبدؤهما نصف ألف . وميل صدرهما سدس ألف . وفتحة بياضهما كذلك . ...ـاء تسطيحها كالألف . وحلقتها سدس ألف كحلقة الواو والميم . والواو كالراء . والكاف ...لاها ثمن ألف ، وتسطيحها كذلك . وبياضها سدس ألف ، واللام قائمتها ألف . ومدتها ...ند . نصف ألف . والنون نصف محيط الدائرة . والياء مبدؤها كدال مقلوبة . وتعريقها ...ن نصف محيط الدائرة . والهاء المنكب فيها نصف ألف . والمسطح ثلث ألف . والمستلقى ...نصف ألف .

أما ما يقع به ابتداء الحروف وانتهاؤها . فهاك الجدول الذى يضبط هذا :

	الابتداء		الاختتام
بنقطة	ب ت ث د ذ س ش	بنقطة القلم	ط ف ب ل د ك
	ل ن ع غ	بنقطة	
بشظية	ح ط ى ص ك (على رأى)	بإرسال	س د ح م ن ى ع ق
بحلقة	ق م و ف	بالإرسال	ص و هـ

هذا قليل من كثير مما يجب أن يعرفه خبراء الخطوط ، حتى تطابق تقاريرهم الواقع ، وتصان للناس حقوقهم كاملة .

وإنه ليؤلمنا أشد الألم الطريقة التى يدرس بها الخط العربى فى مدارسنا المصرية ؛ وذكر أن الحصص المخصصة لدراسة هذا الفن الجميل فترات لهو ولعب ، لا يهم الطالب فيها إلا كتابة صفحة فى خمس دقائق أو أقل . ناقلا كل خط يكتبه مما سبقه لا من خط صاحب الكراسة .

ثم ينصرف باقي الوقت متحدثاً إلى جاره، أو مستوعباً درساً آخر يخشى شدة معلمه. وهكذا لا يخرج من حصة الخط بقليل أو كثير.

وياليت الخط يدرس في المدارس الثانوية، بل هو يدرس في المدارس الابتدائية فقط، وبالطريقة التي بينتها.

فهو لا يدرس تفصيلا ومن جميع الوجوه. وكان حقاً أن يكون - في بلد لغته عربية - مادة أساسية في مدارسنا المصرية، يدرس فيها الخط من جميع نواحيه (تاريخ الخط، أنواع الخط، الكتابات المختلفة ككتابة [illegible] والعجم والشكل ... الخ) لا بالطريقة التي يدرس بها اليوم.

لقد وصلت إلينا مؤلفات جامعة صرفوا وقتهم قديماً، واستفسروا صابرين [illegible] وصنفوا الرسائل الخطيرة في هذا الفن الجميل، وأخص بالذكر منهم الأثر ابن الصائغ [illegible] ووضع رسالته في علم الكتابة (أصولها وفروعها)، وغيره ممن ذكرهم صاحب صبح الأعشى في كتابه الجزء الثالث.

ورحم الله أستاذنا الجليل حفني بك ناصف الذي لم تشغله أعباء أعماله عن وضع رسالته (تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية) في تاريخ هذا الفن الجميل.

ولو صرفت الحكومة شيئاً من عنايتها في هذا السبيل، لنالت البلاد خيراً كثيراً، ولأدت للغة العربية خدمة جليلة، ولقضت على الحالة التي وصل إليها الخط من عدم إمكان نسبة كتابة الأغلبية الساحقة من الكاتبين إلى نوع معين من أنواع الخطوط العربية المعروفة، إذ يكتب الناس خطوطاً هي خليط من ثلاث الأنواع لا تنتسب إلى نوع معين منها.

ولو أحسنت الحكومة المصرية صنعاً لقررت دراسة الخط العربي كمادة أساسية في مدارسها الثانوية، حتى تقضي بذلك على ما نراه اليوم من نقص. وقديماً كان يدرس هذا الفن في الجامعة المصرية القديمة على أستاذ كبير جليل هو المرحوم حفني بك ناصف، كفرع من فروع أدب اللغة العربية، فأبلى - رحمه الله - بلاءً حسناً في هذه السبيل، ووضع رسالته السابق ذكرها، فكان لها خير الأثر، وجليل الفائدة؟

حسن عبد الجواد الحانى

المعرفة في تونس

تطلب «المعرفة» في تونس من المكتبة العلمية لصاحبيها ووكيليها: السيد محمد الأمين والسيد طاهر.

وتطلب أيضاً من مكتبة الاستقامة لصاحبها السيد محمد بن الحاج صالح نجيمى.

العالم: كيف خلق وكيف تطور؟

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

بينت فى مقال سابق(١) كيف لجأ الانسان فى حل معضلة خلق العالم (وسائر معضلاته العقلية) ...ى ذى بدء إلى الأساطير والقصص الخرافية الخياليه التى لا تستند إلى أى أساس علمى أو ...ى معقول. وكيف انتقلت هذه الأساطير عن طريق الوراثة حتى أصبحت عقائد دينيه ...كانت هى الدين بذاته، وكيف كان يلقنها الكهنة ورؤساء الدين الشعب من غير تفسير؛ ...ستعرضت طائفة من أساطير سكان استراليا الأصليين وأهل الآسكا والهنود الحمر على اعتبارهم ...ممثلين لعقلية الانسان الأول. وأن أساطيرهم هى فى الواقع لبقية الباقية من تراث ذلك ...نسان الذى عاش فيما قبل التاريخ. وسأسرد لك فى هذا المقال أساطير أهل المدنيات القديمة ...ن مصر إلى الهند، لترى بنفسك صحة ما ذهبت إليه من أنه: لما بزغت شمس المدنية الأولى ...ى مصر وبابل وغيرهما من الأمم المعاصرة، كان الانسان قد قطع فى سبيل التفكير المعقول ...وطاً ليس بالقصير — وصله إلى معرفة فكرة الألوهية والالهه، ثم الاله الواحد الأحد، ...سه الوجود والعدم، وطبيعة الخير والشر. وغير هذا من النقط الفلسفية التى لم يكن ...مقدور عامة الشعب أن يتناولوها بالبحث. ويتركوا الأساطير القديمة التى تأصلت فى ...نفوسهم حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عقولهم. لم يجد الكهنة بداً من الاحتفاظ بأسطورة ...مة تناولوها بيد المسح والتعديل. وأضافوا إليها الكثير من أسماء الآلهه التى تمثل ...ظاهر المتعددة للاله الواحد، وصوراً رمزية وعبارات مجازية أخفوا وراءها أسطورتهم ...جديدة. وسترى أنهم استبدلوا فكرة اتصال الذكر بالأنثى بالعدم والوجود. وغير ذلك ...ن مظاهر الازدواج المادى والمعنوى — والحيوان الخالق بالاله الأكبر — وأضافوا ...فكرة خلق العالم على أدوار متعاقبة. وإشراك الاله آلهة أخرى فى العمل معه. ولكنهم احتفظوا كذلك ببيضة الوجود.

وأستطيع أن أقول إن الأساطير المتأخرة لا تختلف عن المتقدمة فى شىء، إلا أنها صور ...ت وجهين. وجه تقرأ فيه الأسطورة المتقدمة ببيضتها وبذرتها ومائها وآلهتها فى شىء قليل ...وكثير من التهذيب يتناسب مع حال واضعى الأسطورة من المدنية. ووقت وجودهم فى تاريخ

(١) راجع «المعرفة» عدد مايو سنة ١٩٣٢

الانسانية — والثانية يطالع فيها الخاصة شيئاً من فلسفة الوجود التي وصلت ... عنو القدماء.

مصر القديمة

لم يكن لمصر القديمة دين واحد يدين به سائر المصريين في زمن واحد، فقد كان لكل مقاطعة دين خاص وآلهة غير آلهة المقاطعات المجاورة. ومن ثم تعددت الأساطير في خلق العالم وتكوينه:

فبعض الأساطير تقول إجمالا: في البدء كان هناك ظلام غير محدود اسمه آتوم ... يغطي فضاء الكون. وهناك في هذا الفضاء انتشر الماء والروح (القوة الخالق...) من غير نظام، وفجأة أضاء النور الالهي. فتكدست العناصر ورشحت تحت ... من الأجزاء الرطبة وخلقت الآلهة مما بقي منها سائر الكائنات الحية والمدعه الروح ... الذي تشير إليه هذه الأسطورة وممثلاتها هو (آمون رع)، الذي يقول عنه الكتاب ... في كتاب الموتى: (الطيب، المحبوب، صانع الناس، خالق الوحوش، ومبدع ... والسفلي).

أما القصة التفصيلية فقد احتدمت فيها الأساطير اختلافاً سببه كثرة أسماء الآلهة ... وكلها تتلخص في أنه: في الوقت الذي لم يكن فيه أرض ولا سماء، ولا آلهة ولا ... كان (نحو) أبو العالم موجوداً قبل أن يوجد العدم أو الموت. ورأى أنه في حاجة إلى ... في مهمته، خلق من نفسه الاله (شو) الذكر، والالهة (حموت) الأنثى، ... الالهين (فتاح أو بتاح، وخنومو). وبكلمة فاه بها الاله (نحوت) عن رغبته في ... بادر الالهان إلى تنفيذ أوامره. فالأول أعطى (شو) — إله النوم ابن الاله ... مدية ليحمل بها الشمس على كتفيه. وخلق الثاني بيضة الشمس؛ وأقيمت الأرض ... الأربعة. وغطيت بالسماء (نوت)؛ ومن هذه تدلت النجوم بحبال القدرة. و ... خلق الانسان وشكل على مائدة كما يشكل صانع الفخار فخاره.

وهناك فريق من المصريين أرجعوا كل شيء حي وجامد إلى مادة أولية قديمة ... فألهوه واعتبروا كل ما يخرج منه إلهاً يقدس حتى التمساح وفرس البحر.

وفي هذا تقول بعض الأساطير: كان الاله (تومو) يعيش في الماء زمناً غير محدود، ولما قام لأول مرة في هيئة الشمس خلق من نوره ومن الماء كل شيء حي.

وهناك رواية أخرى للعامة لا تخلو من ظرافة لما فيها من خيال رائع:

خلق الله الدنيا في قطعتين، الأولى سفلى وهي الأرض، والثانية عليا ترتكز على ... وهي السماء. تسير فيها الشمس في زورق من باب الشرق حتى تلج باب الغرب. وهـ ...

في مطلع الفجر . وبهذه القبة مصابيح معلقة بحبال القدرة . تختفي نهاراً وتظهر ليلا بكيفية لا يعرفها أحد . ورأى الله أن عبء إدارة هذا الكون كله ثقيل فخلق منه آلهة أخرى تساعده . فجعل الشمس إلهاً مستقلا سماه (رع) والقمر (تحوت) والأرض (خمت) والسماء (نوت) ، ثم خلق (أوزيريس) النيل أو الماء الجاري . فكان إله الخير . وزوجه من (إيزيس) إلهة الأرض . فولدت له (هوروس) بن الطبيعة الحية المتجددة والخير العظيم الذي يحل بوادي النيل في الفيضان عاماً بعد عام . وسارت الأرض على هذا السنن مدة حتى دب الخلاف بين الآلهة والناس واستفحل الشر . فهاجرت الآلهة إلى السماء واتخذت لها مكاناً خاصاً في (امنتي) .

البابليون

ولأهل بابل أساطير لا تصل إلى ما وصلت إليه أساطير مصر إجمالا أو تفصيلا . وإن وافقتها في الجوهر . بعضها يصور لك الإله الخالق (١) وهو يحارب التنين الأسود (رمز الظلام والعدم) ويقتله . ثم يشطر جثته شطرين يتخذ أحدهما حاجزاً يمنع المياه العليا من السقوط يسمى (تيامت) ومنه (تامتو) بالبابلية ، البحر الخضم أو المحيط . والبعض الآخر يعطيك صورة أخرى عن الإله (بعل) . وهو يصنع الدنيا بيديه من طين المادة الأزلية . ويشكلها على هيئة مخروط ، تحيط به السماء من كل جانب . ويجعل له بابين تدخل الشمس من أحدهما كل صباح . وتخرج من الثاني كل مساء ؛ (على مثال معتقد المصريين القدماء في زورق الشمس) .

الأشوريون

وقد تمسك أهل أشور هذه الأسطورة القديمة بعد أن هذبوها وزادوها تفصيلا ، فقالوا : إن في بدء العالم ماء ، ولم تكن هناك أرض ولا سماء ولا آلهة . وخرج من الماء بطريقة لا يعرفها أحد آلهة ثمانية على رأسهم (مردخ) الإله الأعظم ، فرأى مردخ أن يوزع آلهته السبعة في أجزاء العالم . فبنى الكواكب السبعة لسكناهم . وعين الشمس حارسا للنهار ، والقمر لليل ؛ ومكثوا هكذا مدة طويلة إلى أن طغى عليهم الماء الأسفل . فأرسل (مردخ) ابنه ليقاتله ويرده إلى مكانه ؛ فعاد خائفاً مهزوماً . فجمع (مردخ) باقي الآلهة في مؤتمر . وعرض عليهم أن يقاتل الماء بنفسه . بشرط أن ينصبوه عليهم ملكا مطلقاً . فعاهدوه على ذلك وحارب الماء حتى قهره وشطره شطرين : أحدهما منبسط وهو الأرض . والآخر يغطيه وهو السماء ، ثم خطر في ذهنه أن يخلق الإنسان من دمه وعظمه ليسكن الأرض ويعمرها . فهب للعمل واستنفد في صنعه وقتاً طويلا ترك فيه الآلهة وشأنهم يخلقون من سائر الكائنات ما تصوره لهم عقولهم . وهكذا تم خلق العالم كله .

نجد إلى جانب هذه الأساطير القديمة مجموعتين رئيسيتين مختلفتين في الجوهر بعض الاختلاف ؛ أولاهما شرقية بحتة نشأت مستقلة . وهي تمثل آراء الصين والهند والفرس وغيرهم . والأخرى

(١) مردخ إله النور ذاته ، أي النور المعنوي المنفصل عن الشمس

غربية تفرعت عن المصرية والبابلية عن طريق الفينيقيين، وتمثل الأساطير اليونانيه والروميه ثم اللاتينية ، وسنذكر أهم هذه الأساطير فى شىء من الايجاز غير المخل .

الصين

تقول الأسطورة الصينية المدونة فى أقدم الكتب : فى البدء كانت السماء مندمجه و الأرض ، وكذلك النظام والفوضى ، و الكمال والنقص كانا ممتزجين فى بيضة لوحودانى تحوى بداخلها كل بذور الحياة و صول كافة الأشياء مختلطة . ولما استقرت الحال لسنة بعد تحوالها فى الفضاء صعدت العناصر اللطيفة إلى أعلى وكونت السماء ، وهبطت الكثيفه إلى أسفل وكونت الأرض ، وعند انفصالهما تولد فى وسطهما الاله (كامى) . ثم ظهرت على وجه الماء جزيرة لطيفة ، نبت فيها شىء كجذر النبات ، تجسد وتطور إلى أن صار الاله العظيم (كامى توكو كونسى - نو ميكوتو) أى المحترم المقدس الذى يتكفل بالعالم .

ومن رواية أخرى ينقلونها عن كونفوشيوس نبيهم العظيم :

كان فى مبدأ العالم نار وماء رائق مائع . تصلب من حرارة النار فصار أرضاً ونعنى هذا أن الجبال والتلال تشابه من أعلاها أمواج البحار) ، أما النار فصارت ريحا ورعدا وبرقا (لأن هذه تشابه النار فى طبيعتها الشديدة المتقلبة . ثم خلقت الشمس والكواكب ، وفى اتحاد الهواء والنور والظلام والعناصر الخمسة الأخرى تكون الانسان لأنه يشبهها فى عواطفه المتقلبة وطبيعته المتذبذبة .

ويختلف البوذيون عن هذه بعض الاختلاف فيقولون : فى البدء كان فى الهواء نور وملاء خلقت منه الأرض ، ولما كان الهواء بطبيعته خفيفاً يسرع إلى الصعود . فقد حمل الكواكب ومنعها عن السقوط . أما الأرض فسقطت فى الفراغ بحكم ما فيها من ماء ثقيل بطبيعته . وها هى تدور وستظل تدور فى الفضاء ومعها باقى الكواكب والنجوم (وغريب أن يتفق هذا الرأى مع العلم الحديث) .

الهنود

أما الهنود فقد بلغ بهم الخيال حداً بعيداً فى إحدى أساطيرهم الشعرية القديمة فقالوا . إن براهما الصانع الأبدى مبدع العالم تكونت البحار من عرق جبينه ، وهو يخلق الأرض وانعكست صورته على سطح الماء ، فلما رآها أعجبه شكله فخلق الانسان على صورته ، وهنا يحار المرء فى فهم حقيقة هذا الاله الذى لا يعرف شيئاً عن نفسه ولا صورته قبل أن تنعكس بالصدفة على سطح هذا البحر الكثيف) .

ولهم رواية أخرى هى آية فى الروعة والتصوير تقول : كانت المادة فى بدء الخليقة موجوده ولكنها كانت تستريح تحت الماء فى أحضان اللانهائية . وكان براهما مهندس العالم يحوم زعيم الكون على ورقة من أوراق اللوتس تعوم على الماء فلم ير شيئا - على مدى بصره - غير الماء والظلام . فاستصوب أن يخلق بذرة كبيرة أو بيضة تحوى كل عناصر الوجود ، ولما كانت تقوى

... معنوية - حسب رأيهم - تعجز عن الظهور والقيام بعمل ما إلا إذا تجسدت فى ثوب المادة ، ... الإله الصانع براهما أن يتخذ شكلا ماديا ويتجسد باسم (باوش) الذكر الأول ، ... خرج من قوته الالهية فانفصلت هذه وتجسدت هى الأخرى فى شكل أنثى سماها براهما ...) أو الأم الطبيعة . واتصل الذكر بالأنثى . فكان من اتصالها بيضة . وجمع براهما ... الأولية وأصول الوجود (التى تفرعت من جسد براهما لتصير بذرة لعوالم الجديدة ... ستتكون من بيضة الوجود) ووضعها فى البيضة . وهنا زال الذكر والأنثى من الوجود ... ورجعا إلى الحالة الروحية الأولى اللاجسدية . ودخل الاله براهما (الكائن بنفسه) ... بيضة تحت اسم وشكل جديدين فصار براهما . وهناك مكث ينفخ الروح فى المادة ... عناصر سنة خلقية كاملة (وهى تعادل بحسابنا نحو ٤٣٠٠ مليون سنة شمسية) .

وكانت البيضة العجيبة طول هذه المدة تطفو على سطح الوجود كالفقاعة فى المياه اللانهائية ، ... عناصر تتصل وتندمج وتنتقل من الفوضى المطلقة إلى بوادر النظام ، وجعلت تنمو ... بالتدريج حتى بلغت شدة ضوئها قوة ألف شمس . وهنا شاءت إرادة (براهما) القوى ... أن يخرج من البيضة فحطم قشرتها وبرز منها فى شكل جديد له ألف عين وألف رأس ... ع . وظهر معه جسم مادى آخر غير متناهى الأطراف . ذلك لأن العناصر الأولى ... نت ، تنظمت وتجمعت ثم انقسمت إلى مجموعات منتظمة وانتهى بها الأمر إلى وحدة كاملة ... تحالف إلى دنيا جميلة تامة التكوين بشمسها وقمرها وأرضها وكواكبها .

و... دنا رجال الدين شرحاً : أن الدنيا هى الصورة الظاهرة للاله الخفى ، وأن عالم الوجود ... رأسه السحب وجسده الارض ، وشعر بدنه أشجار الغابات ونباتاتها . وذقنه البرق ، ... رعد ، وعيناه الشمس والقمر ، وعروقه الأنهار ، وأظافره الصخور ، وعظامه الجبال ... ، وغير هذا مما يتمم الصورة الخيالية الرائعة .

أما أسطورة (مانو) فتتلخص فى أن السيد الخالق الموجود بنفسه (قبل كل وجود) ... أبدعه ولا ووضع فيها بذرة استحالت إلى بيضة من الذهب خرج هو بنفسه منها من ... تحت اسم براهما مبدع العوالم بعد أن تم خلق الدنيا ؛ وهى لا تختلف فى جوهرها عن ... وهناك أساطير أخرى خاصة بالكهنة يحفظونها لأنفسهم لكثرة ما فيها من التعقيد ... بحيث لا يفهمها إلا من كشف الله عنه ووصل إلى معرفة السر . وتجدها فى كتبهم ... وخاصة فى (ريج فيدا) . ويكفى أن نعلم أنها تبدأ بهذا الطلسم الفكرى والقضية ... (فى الأصل قبل خلق العالم لم يكن هناك وجود أو عدم - مادة أو غير مادة - ... أو لا شيء) .

وخلاصة القول أن الأساطير الهندية أضافت إلى تراث الأساطير الانسانية السابقة فكرة ... جديدة ، كانت نتيجة حتمية للتطور ، وهى خلق الدنيا بمشيئة الله تعالى وبمحض قدرته ... وجد الوقت المناسب لابرازها ، وأنها تمت فى فترة زمانية يعجز العقل عن تصور طولها إذا قيست بمقاييسنا نحن .

[للبحث بقية] محمد مظهر سعيد

صفحات فى الأدب الألمانى

مارتين لوثر

بقلم الدكتور على مظهر

ولد مارتين لوثر فى اليوم العاشر من شهر نوفمبر من عام ١٤٨٣ فى مدينة إيسلبن [illegible] . وتعلم بمدارس منسفلد ومجدبرج وإيسناخ . وبدأ دراسته فى سنة ١٥٠١ فى مدينة إرفورت . ودخل فى دير الأوغسطنيين سنة ١٥٠٥ . وصار أستاذاً سنة ١٥٠٨ فى مدينة فيتنبرج . وحصل على إجازة العالمية فى اللاهوت سنة ١٥١٢ بعد أن سافر إلى روما لأمور خاصة بطريقته الدينية . وفى آخر أكتوبر من سنة ١٥١٧ علق خمسا وتسعين رسالة على كنيسة القصر فى فيتنبرج ؛ ولما كانت سنة ١٥٢٠ حرق إعلان البابا بحرمانه ولعنه . و[illegible] فى السنة التالية لمجلس النواب فى فورمس اعترافا مملوءاً بالبطولة . ولما ألقى عصا التسيار [illegible] فارتبورج فى السنة عينها رغم إرادته ، بدأ ترجمة الإنجيل إلى الألمانية (من أبريل سنة ١٥٢١ [illegible] مارس سنة ١٥٢٢) . وكان ذلك جرأة منه وعملا لم يأته أحد من قبل . ثم إنه ترك الدير سنة ١٥٢٤ وبنى بكترينا فون بورا فى السنة التى تلتها . ولما كان عام ١٥٢٩ كتب قاعدتى [illegible] فى خطابا دينيا فى مدينة ماربورج ومعه آخر اسمه تسفنجلى . وكتب مقالة للمجمع [illegible] الذى انعقد سنة ١٥٣٧ ، ثم انتقل فى اليوم الثامن عشر من فبراير عام ١٥٤٦ إلى جوار ربه بمدينة إيسلبن التى ولد فيها .

لقد قدم لوثر للأدب الألمانى خدمات كبيرة بترجمته الإنجيل . وقد بدأ بذلك فى فارتبورج وأتم الترجمة فى مدينة فيتنبرج ؛ وقد تم طبع العهد الجديد فى سبتمبر سنة ١٥٢٢ . [illegible] العهد القديم فقد ظهر بعد عقد من الأعوام . وطبع الإنجيل كله (العهدان [illegible]) بمدينة فيتنبرج سنة ١٥٣٤ . وكانت هذه هى المرة الأولى التى ترجم فيها ذلك الكتاب المقدس من اللاتينية إلى لغة أخرى . وقد جاء من بعده من قام بنفس العمل ونقل الإنجيل إلى الألمانية ، وامتاز بعضهم بدقة الترجمة فى بعض التفاصيل لما دخل على اللغة من التحسين والتطور ، ولكن لوثر قد بزهم جميعا وفاقهم بما فى ترجمته من المتانة وما يعتقده فيها الناس من التقديس . فقد بذل لوثر كل ما أمده الله به من روح وعقل فى تلك السبيل . وبقدر ما كان للإنجيل من أثر فى أمور الخلق الدينية ، كذلك كان لترجمة لوثر من الأثر فى اللغة من تحوير فى شكلها والسيطرة عليها ، والتحكم فيها ؛ وقد كانت آثار لوثر الألمانية — من مؤلفات وخطابات وكتب ومواعظ وغيرها — نموذجاً لمعاصريه ولمن جاء بعده .

ومن أحسن ما كتب بعد ما ذكرناه رسالة أسماها « إلى أشراف الأمة الألمانية المسيحيين لتحسين الطبقات المسيحية » . وأخرى عنوانها « في الأسر البابلي للكنيسة » . [illegible] عنوانها « من حرية مسيحي » ؛ وقد ألف الثلاثة سنة ١٥٢٠ . وأظهر في السنة التالية [illegible] عنوانها « حواش وشروح كنسية » . وأخرى عنوانها « تحذير صادق موجه إلى كل المسيحيين لحمايتهم من الثورة والعصيان » . وأظهر بعد عامين من ذلك رسالة عنوانها « إلى [illegible] مجالس ومستشاري كل المدن الألمانية أن يشيدوا مدارس مسيحية ويدعموا أساسها » .

[illegible] اللغة التي اختارها في ترجمته ولرسائله الأخرى . فقد كانت لغة المنابر السكسونية [illegible] باسم اللغة العالية . وهي وسط بين لهجة الجنوب الجافة وطراوة الشمال ، وفي ذلك [illegible] نفسه في أحاديث المائدة (الفصل السبعين) : « لم تكن لي لغة خاصة في ألمانيتي بل [illegible] اللغة الألمانية المألوفة التي تمكن أن يفهمها كل سكان الشمال والجنوب . وإني [illegible] المنابر السكسونية خطى وهي اللغة التي يتكلمها كل الأمراء والملوك في ألمانيا » .

[illegible] أصبحت تلك اللغة هي لغة الطبقة المتوسطة وعرفت باسم « الألمانية العليا الحديثة » . ولقد [illegible] من ألمان الشمال والجنوب بلهجات مواطنيهم وبلادهم التي ولدوا فيها . ولاسيما رجال [illegible] في سويسرا . ولكن سرعان ما انتصرت عليهم تلك اللغة الألمانية العليا الحديدة [illegible] بها الإنجيل . ولقد خدم لوثر الشعر الألماني خدمة جليلة . إذ كان [illegible] للأغاني [illegible] الإنجيلية التي كانت تغني في الكنائس الألمانية زمن الإصلاح . وكانت [illegible] من الأغاني [illegible] تشابهتها : شكلا وبناء ومقطعات ونغما . كما كان وجه الشبه أكبر في التقسيم الثلاثي [illegible] الحب والغزل أثناء القرون الوسطى : فقسمان منها في الاستهلال قد تساويا بناء ونغما . [illegible] الختامي فقد حاد عن الطريق وأخذ مجرى آخر . وبجانب الوعظ يقوم جزء هام [illegible] عبادة الله على الطريقة الإنجيلية ، وعند ذكر الكلمة تغني العقيدة الإنجيلية . ولقد نظم [illegible] ستا وثلاثين أغنية للكنيسة ، كان أولها سنة ١٥٢٣ ومطلعها : « أبشروا يا معاشر [illegible] الأعزاء » وقد أنشد بعد ذلك بعامين نحو عشرين أغنية . وهو جل ما نظمه . كما [illegible] اللاتينية أحسن الأغاني الكنسية إلى الألمانية . من ذلك : « الحمد لك يارب » . وأغنية « [illegible] نؤمن بالله واحد » . وأخرى عنوانها : « بينا نحن في الحياة نرى الموت دنا [illegible] » . وأخرى اسمها : « تعال أيها الروح المقدس يا إلهي » . وقد أعاد لوثر نظم بعض [illegible] الألمانية التي سبقته وحذف منها ما لا يجمل بها من زيادات . كما أنه أضاف إليها [illegible] والأسطر . ونظم بعض آيات الإنجيل نظما محكما مطلقا من القيود . ولاسيما ما كان [illegible] المزامير . وقد ظهر أول كتبه في الأغاني سنة ١٥٢٤ . حوى ثماني أغنيات . [illegible] منها هو بنفسه . وقد كانت الطبعة الأخيرة التي عني بإصدارها بنفسه سنة ١٥٤٥ :

فقد كانت تحوى تسعاً وعشرين ومائة من الأغانى له منها سبع وثلاثون ؛ ولقد سار على نهجه في نظم الأغانى منه كثيرون لا نرى حاجة إلى ذكرهم .

ولقد كان لوثر محباً للأقاصيص . فقد ترجم عدة منها من قصص (إيروب) . ونظم بنفسه قصة «الثور والحمار» ، وقد تبعه بعض عشاق الاصلاح فى ذلك. فقد أصدر أراسموس ايروس (المتوفى سنة ١٥٥٣) كتابا فى الفضيلة والحكمة يحوى تسعاً وأربعين أقصوصة . وأصدر بورشارد فالدس أحد رعاة الكنيسة فى هسن (توفى سنة ١٥٥٧) مجموعة من الأقاصيص تحوى نحواً من أربعمائة ؛ وعنوان تلك المجموعة (إيروباس) ، وقد كان هذان الأخير ز ندوة لشعراء القصص أثناء القرن الثامن عشر . ومن ذلك شعر القصص عن لسان الحيوان . فذكر ما نظم جورج رولنهاجن . وكان مديراً لمدرسة فى مجدبرج . وتوفى سنة ١٦٠٩ . وكان عنوان مجموعته : « الضفادع والفيران وحديثها الملكى العجيب » ، والمرجع الذى اعتمد عليه فى تأليفه هذه المجموعة ما ينسب لهوميروس باسم « حرب الضفدع والفيران » . وكانت فى ثلاثمائة شطرة . فجعلها رولنهاجن عشرة آلاف ؛ ولم يأت على ذكر تلك الحرب بين الضفادع والفيران التى جعلها عنوان كتابه إلا فى النصف الثانى من الجزء الثالث ؛ وقد جعل الجزء الأول من النظم كمرآة لدنيا خاصاً بطبقة الخاصة . والثانى خاصاً بالحكومة الدينية و دنيوية . وجعل الثالث خاصاً بطبقة المحاربين .

على مظهر

عتب الحبيب

وأتى ليعترف الحبيب بذنبه	فتعثرت بلسانه الكلمات
وتعطلت ألفاظه وتخاطبت	عند اللقا بشفاهنا القبلات
وعدا العناق على العتاب ورجعت	عن شجونا بصدورنا الزفرات
وبكت بأعيننا السماء وأفصحت	عن قطرها بخدودنا الدمعات
وإذا العيون تقابلت نظراتها	يعيا اللسان وتفصح الحدقات

محمد الصاوى عمار

الفرق بين اللعب والعمل

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ التربية بدار العلوم العليا ، والأخلاق بالأزهر
وتاريخ الأدب المسرحى بقاعة المحاضرات

كل ما يصدر عن الكائن الحى من الحركات الارادية – جسميها ونفسيها – لا يخرج عن كونه لعباً أو عملا . وقد زودنا العرف وشعورنا الطبيعى بما نستطيع به التمييز عمليا بين هذين النوعين من الحركات ؛ فقلما عجز واحد منا عن الحكم فى الحالة المتلبس بها هو ، أو المتلبس بها غيره من حيث إنها حالة لعبية أو عملية . ولكنه من الصعب الاهتداء إلى الفروق التى بينهما نظرياً والعثور على الصفات الخاصة بكل منهما .

يزعم بعضهم أنهما يختلفان بالحالة النفسية التى تصحب كلا منهما ؛ فاللعب مصحوب بلذة وسرور ، على حين أن العمل يؤدى بملل وضجر ؛ ولكن هذه النظرية ليست صحيحة من جميع وجوهها . حقاً إن كل الألعاب يصحبها السرور واللذة ، وإن كثيراً من الأعمال يشعر مؤدوها بالملل والضجر ؛ ولكننا نجد أن طائفة كبيرة من الأعمال يشعر أصحابها أثناء أدائها بسرور يكاد لا يقل عن السرور الذى يشعر به اللاعب أثناء لعبه ؛ فالفنان العاشق لفنه ، والعالم المغرم بالبحث والتنقيب ، يجدان فى أعمالهما خير وسيلة للابتهاج والهناءة ؛ فالأخذ بهذه النظرية يدع أنواعاً كثيرة من الأعمال تدخل فى دائرة الألعاب .

ويدعى بعضهم أن الفارق هو المجهود ؛ فاللعب لا يتطلب مجهوداً ، أما العمل فبذل المجهود فيه ضربة لازب ؛ وهذه النظرية – كسابقتها – ليست مصيبة كل الاصابة . حقاً إن كل الأعمال تتطلب مجهوداً ، وإن بعض الألعاب (ألعاب الحواس مثلا (١)) تكاد تكون مجردة منه ،

---

(١) يأتى الأطفال – وخاصة فى الدور الأول من طفولتهم – بأمور لعبية الغرض منها مجرد الإحساس [illegible] . فتراهم يضعون على ألسنتهم كل ما تصل إليه أيديهم ليتذوقوا طعمه ، ويقذفون بعضهم على الأرض ، [illegible] بأصابعهم أو يقرعون بعضها ببعض .. ليسمعوا ما تحدثه من الأصوات ، ويحدقون فى الكرات ذات الألوان المختلفة ليروا بريقها ، ويمدون أيديهم إلى الأشياء ليدركوا ملمسها وما فيها من خشونة أو نعومة .. الخ . وقد سمى المربون هذه الطائفة من الألعاب بـ « ألعاب الحواس » لأن الطفل مدفوع فى الاتجاه نحوها لتدرب حواسه على القيام بوظائفها العامة .

ولكن معظم أنواع الألعاب تتطلب مجهوداً لا يقل عن المجهود الذي تتطلبه الأعمال. وقد [illegible]
يضطر اللاعب إلى أن يبذل فيه من المجهود ما لا يتطلب بذل مثله عمل من [illegible] المجهود العقلي الذي
يقوم به لاعب الشطرنج — مثلاً — لا يذكر بجانبه أي مجهود تحتاج إليه أعمالنا العقلية. و[illegible]
الجسمي الذي يؤديه لاعبو كرة القدم — مثلاً — قلما يحتاج لأداء مثله عمل جسمي آخر [illegible]
صدق (سيشور) حيث قال — مبيناً خطأ هذه النظرية — «قلما تضطرنا أعمالنا إلا [illegible]
على حين أن معظم ألعابنا تحتم علينا العدو». فالاعتماد على هذه النظرية يؤدي [illegible]
معظم أنواع الألعاب أعمالا.

وقد رأى كثير من العلماء أن القيمة الاقتصادية أصدق فارق بين اللعب والعمل [illegible]
عمل من شأنه أن ينتج قيمة اقتصادية. أما الألعاب فليس منها ما يؤتي هذه الثمرة. و[illegible]
في حاجة إلى الإطناب في بيان خطأ هذا الرأي، إذ لا يخفى أن طائفة كبيرة من [illegible]
لا تنتج أية قيمة اقتصادية. ما القيمة الاقتصادية لمعظم ما يقوم به الجندي من أعمال [illegible]
مثلا؟(١) على أن طائفة كبيرة من الألعاب من شأنها أن تنتج تلك القيمة. مثل ألعاب [illegible]
وألعاب الرسم، وألعاب البناء ... الخ). فالنظرية التي نحن بصدد الكلام فيها تدخل [illegible]
من الألعاب تدخل في الأعمال. وبعض أنواع عملية تدخل في دائرة الألعاب.

ويحاول بعضهم التفرقة بينهما بالإجبار والاختيار: فمبدأ اللعب الاختيار. [illegible]
يزاوله مختاراً لا مكرها أو مجبراً. أما العمل فمبدؤه الإلزام والإرغام. وليست هذه [illegible]
بأصدق قيلا من النظريات السابقة. فإن معظم ما نقوم به من الأعمال نؤديه بمحض
الاختيار والرغبة.

فما الفرق إذن بين اللعب والعمل، ذلك الفرق الذي يخيل لكل منا أنه من الوضوح
بمكان، فإذا ما حاول تحديده يكاد لا يجد إلى ذلك سبيلا؟

لم يبق علينا إلا أن نختبر ما يصح أن نسميه «نظرية الغاية» التي يرى قائلوها أن [illegible]
بين اللعب والعمل ينحصر في أن الأول غايته فيه. أما الثاني فله غاية خارجة عنه [illegible]
العامل ما يقوم به من الحركات الجسمية والنفسية، لا يريد أداء هذه الحركات، بل [illegible]
من ورائها إلى غاية أخرى جعلها نصب عينيه. فما يقوم به النجار أو المدرس أو ساعي البريد
أو الشرطي من الحركات الجسمية والنفسية ليس مقصوداً لذاته، وإنما يبغي مؤديه من [illegible]
كسب العيش، أو تزويد التلاميذ بالمعلومات، أو إيصال الرسائل إلى أهلها، أو تنظيم [illegible]
السير في الميادين واستتباب الأمن ... الخ: في حين أن الطفل عندما يقلد في لعبه [illegible]

(١) لا يقال إن هذه الأعمال قيمة اقتصادية آجلة وغير [illegible]
[illegible]
[illegible] سنة ١٩٣٢ من «[illegible]» ص ٣٢٣ [illegible]

مدرس أو ساعي البريد أو الشرطي لا يقصد مما يقوم به إلا مجرد أداء هذه الحركات التقليدية فليس ثمة مائدة حقيقية يريد إتمام صنعها ، أو تلاميذ حقيقيون يحاول إفهامهم ، أو خطاب حقيقي يريد إيصاله إلى صاحبه ، أو لص حقيقي يبغي القبض عليه ، فغاية لعبه هي اللعب نفسه لا أمر خارج عنه .

وعلى الرغم من ارتضاء كثير من مؤلفي التربية لهذه النظرية ، فإني أرى عدم صحتها على الوجه الذي سبق تقريره . — حقاً إن بعض أنواع الألعاب لا يقصد من ورائه الوصول إلى غاية ما ، ولكن هذه الألعاب قليلة جداً . ولا نكاد نعثر على أمثلة منها إلا في أول سني الطفولة . مثل (ألعاب الحواس مثلا : يذوق الطفل لمجرد الذوق . ويسمع لمجرد السمع . ويبصر لمجرد النظر . . . الخ) ، فإذا استثنينا هذه الألعاب القليلة وجدنا أن كل ما عداها يقصد منه الوصول إلى غاية معينة خارجة عن اللعب نفسه ، فألعاب الكرة . والشطرنج . والنرد . والمصارعة . يقصد منها التغلب على خصمه . وألعاب « البحث والاختفاء » يقصد منها العثور على غيره . وألعاب الصيد ، الحصول على الحشرات ، أو على الطيور أو على بيضها . وألعاب الأحاجي . الاهتداء إلى حل لغز عقلي ، و « الألعاب السؤالية [1] » ، الاهتداء إلى معرفة حقائق الأشياء وهلم جرا . على أن تحليلا دقيقا لما يقوم به الطفل حينما يقلد في لعبه : النجار . والمدرس . أو ساعي البريد . أو الشرطي . لا يدل دلالة واضحة على أنه لا يبغي من وراء أداء الحركات اللعبية فحسب ، كما يدعي قائلو هذه النظرية . بل الوصول إلى تشكيل قطعة من خشب بشكل يعتبره خياله مائدة . أو إلى تفهيم زملائه ـ الذين اصطلح على أن يكونوا تلاميذه ـ أموراً يعدها بمثابة الدرس . أو إلى إيصال ورقة تمثل الخطاب إلى طفل يمثل المرسل إليه . أو إلى القبض على أحد زملائه الذين قضت نظم اللعب عليه أن يمثل دور المجرمين . . . وما إلى ذلك .

فمعظم الألعاب لها غايات خارجة عنها ، كما أن للأعمال مقاصدها التالية لها ، غير أننا إذا أمعنا النظر في غايات الألعاب تبين لنا أنها تختلف اختلافا كبيراً عن غايات الأعمال . فالغاية في العمل غاية حقيقية مقصودة لذاتها . والوصول إليها هو أهم ما يرمي إليه العامل بأعماله . أما اللاعب فاهتمامه بألعابه لذاتها أكبر من اهتمامه بها للوصول إلى الغاية الخارجة عنها ـ إن كانت ثمة غاية ـ ولبيان ذلك نضرب الأمثلة الآتية :

١ — يقلد الطفل في لعبه ساعي البريد ، فيبدو لنا أن غايته إيصال ورقة تمثل خطابا إلى زميل له يمثل المرسل إليه ، ولكننا إذا حللنا نفسيته تحليلا دقيقا تبين لنا أن تلك الغاية

---

(١) [illegible] [illegible]

[illegible]

يسمي الأستاذ « جس ملي » هذه الأطوار بـ « الأطوار السائلة » .

المصطمعة ليس لها فى نظره إلا أهمية ثانوية لم يحملها نصب عينيه إلا ليشجعه ذلك على العمل (فان الطبيعة الانسانية تأبى القيام بعمل لا غاية من ورائه) ، وأن المقصود بالذات لديه إنما هو مجرد أداء الحركات اللعبية التى يقلد بها ما يعمله ساعى البريد، بخلاف ساعى البريد الحقيقى، فان إيصال الرسائل إلى أهلها هو أهم ما يعنيه من أعماله ؛ فالغاية فى مثل هذا اللعب هى إلى الوسيلة أقرب منها إلى الغاية . وفى هـذا الصنف من الألعاب يصح أن نقول : « لا يسعى الطفل للوصول إلى غاية حملها نصب عينيه، بل إنه لم يجعل هذه الغاية نصب عينيه إلا ليسعى »

٢ — يلعب الطفل « ألعاب الصيد » فيخيل إلينا أن أهم ما يعنيه الحصول على الحشرة التى يتتبعها ، أو على العصفور الذى يعدو وراءه ، ولـكننا إذا أنعمنا النظر ظهر لنا أن هذه الغاية ـ على الرغم من أهميتها فى نظره ـ أقل أهمية لديه من الوسائل نفسها ، أى من الحركات الجسمية والنفسية التى يؤديها محاكياً أعمال الصيادين . ولا أدل على ذلك من أنه قد يخطر بفكره ـ أثناء متابعته الحشرة، أو العصفور ـ نوع آخر من اللعب فينصرف إليه دون أن يعد نفسه مخفقا فى مشروعه . بخـلاف محترف الصيد فان أكبر ما يهمه هو الحصول على الصيد لطعامه ، أو للانتفاع بثمنه . ـ يلقى الطفل فى « عمره السائل (١) » سؤالا على أحد أبويه فيبدو لنا أن أهم غاية لديه هى معرفة الحقيقة التى يسأل عنها ، ولـكننا إذا تأملنا ملياً . يتبين أن هذه المعرفة ـ على الرغم من أهميتها فى نظره ـ أقل أهميـة لديه من إلقاء السؤال نفسه . ولا أدل على ذلك من أنه كثيراً ما يشتغل بصنف آخر من اللعب أو يلقى على المجيب سؤالا آخر ، قبل أن يتم له إجابته على السؤال الأول، دون أن ينقص تصرفه هذا من سروره اللعبى شروى نقير ، بخلاف التلميذ الذى يلقى على أستاذه سؤالا ، فان جل ما يهمه فهم المسألة التى يجهلها .

مما تقدم يمكننا أن نلخص الفرق بين اللعب والعمل فيما يلى :

يهم العامل فى أعماله الوصول إلى غاية خارجة عنها أكثر مما يهمه أداؤها لذاتها . (وقد لا يهمه بتاتا أداؤها لذاتها، وقد يهمه أهمية ثانوية، وقد يهمه أهمية أساسية أقل مما تهمه الغاية).

أما اللاعب فيهمه فى ألعابه أداؤها لذاتها أكثر مما يهمه أداؤها للوصول إلى غاية خارجة عنها .

(قد لا يكون للعب أية غاية خارجـة عنه ، وذلك كألعاب الحواس المتقدم ذكرها . وقد تكون له غاية ثانوية الأهمية . وذلك كألعاب من يحاكى ساعى البريد ، وقد تـكون له غاية أساسـية الأهمية ، ولـكنها لا تصل فى قوتها إلى درجة أهمية اللعب لذاته ، وذلك كألعاب الصيد و « الألعاب السؤالية » وهلم جرا) .

على عبد الواحد وافى
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) انظر معنى هذه الـكلمة فى التعليق السابق .

توماس هود وأغنية القميص

بقلم الاستاذ أحمد الشنتناوى

ليسانسيه فى التاريخ والاداب وليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

ولد «توماس هود» فى شهر مايو عام ١٧٩٩، وتوفى فى شهر مايو عام ١٨٤٥. واحتك إبان تلك الفترة التى عاشها بجمهرة من أدباء انجلترا وشعرائها، أمثال: اللورد بيرون، والشاعر تنيسون، والشاعر براوننج؛ وكانت له معهم عدة مساجلات ومناقشات أدبية شائقة. كذلك تعرف هود فى أواخر أيامه إلى الناثر الانجليزى الأشهر شارلس لامب. وهذا وصفه ـ فى إحدى رسائله ـ الشاعر والناقد الانجليزى الأشهر كوليردج ـ بقوله: « شاب صامت، بل مريض، قابلته ذات يوم فى اسلنجتن Islington »، ثم اختتم نفس الرسالة بقوله: « عاد اليوم وقد ترقرقت عيناه الناعستان ببريق الصحة والعافية عند ما قرأ مديحك وثناءك عليه ».

وكان «توماس هود» يجد لذة فائقة فى التحدث إلى الشاعرين: وردثورث وكوليردج. وكان يجتهد فى أن يتقابل معهما كثيراً، على الرغم من انزوائه فى عقر داره، وانغماسه فى أعماله الأدبية المتواصلة.

ثم تمكن كذلك ــ خلال حياته القصيرة ـ من التعرف إلى شارلس ديكنز الروائى الانجليزى الأشهر، بل عقدت أواصر المحبة بين الأديبين، وقد ذكر ولد هود وابنته فى مذكراتهما عن أبيهما الشيء الكثير عن العلائق الودية التى كانت قائمة بين والدهما وبين ديكنز. وكم كان هذا الأخير يزور والدهما إبان مرضه يواسيه ويسرى عن نفسه الكئيبة، لأن هود كان من زمرة الضعفاء المعتلى الصحة، وهؤلاء فى الغالب تكون نفوسهم متشائمة مريضة بمرض أجسامهم. ولقد ازدادت علة هود منذ زواجه. كذلك ساءت حاله المالية. فكانت الحاجة الملحة تسوقه سوقاً إلى الكتابة فى الصحف والمجلات كى يكسب قوته وقوت عياله، سواء أرضى عن ذلك القلم، أم وقف جامداً لا حياة فيه ولا حرارة. لهذا فقد كان هود يراسل عدة صحف أدبية، وينشر فيها قطعه الشعرية، ويريق عليها عصارة ذهنه وقلبه من بين شق اليراع.

وعند ما يكتب الأديب والروائى الانجليزى المعروف « ثاكيراى » عن هود، يجتهد فى أن يبين للملأ أن له ضلعاً كبيراً فى تكييف حياة الشاعر الأدبية، وأنه هو الذى يخط له خططه فى ميدان الأدب، وكم كان يغضب « ثاكيراى » عند ما يرى هود يحيد عن الخطة التى رسمها له، لأنه تناسى أن الشاعر إنما يكتب لأجل كسب قوته وقوت زوجه وعياله، ولو كان هود

يبغى فقط إرضاء لآلهة الشعر لمات هو وزوجه وبنوه من الطوى .

لم يكن هود يميل إلى اللهو والمجون – كما يميل إلى ذلك الكثيرون من الشعراء وأهل الأدب – إذ قلما كنت تراه ضاحكا أو منهمكا فى شىء من الشئون الاجتماعية ، فهو من هذه الناحية كان قليل المعشر . لم تتردد عليه إلا فئة قليلة من الأدباء والشعراء ممن عرفوا نفسه ، وما تكنه نفسه من شاعرية وعبقرية ، ولقد وصفه أحد هؤلاء الشعراء بقوله : « هو شاعر غنائى مجيد ، ذو أغراض جديدة » . ولعل أهم أسباب تلك الكآبة التى كانت تخيم على هود ، هو فقره واحتياجه للمال لحفظ كيان عائلته .

أما من حيث أشعاره ، فقد اتصفت بالسلاسة والعذوبة . يتألق فى سطورها وهج العبقرية والخيال العميق – وهذا ما اتفق عليه جميع نقاد هود – ؛ كذلك كان هود صحفياً ماهراً ، وقصصياً لبقاً ، ولقد وصفه تاكيراى بقوله : « هو شاعر له قوة على مس القلوب ، لا يجاريه فى ذلك أحد » ، ولقد أوصى هود أن يكتب على قبره هذه الجملة « هنا من غنى أغنية القميص » .. ولقد آثرنا أن ننقل تلك الأغنية الشعرية إلى اللغة العربية شعراً منثوراً ، كى نحافظ قدر الامكان على النص الانجليزى ، إذ أن للشعر المنظوم أحكامه وقيوده ، وقد يخرجنا هذا عن النص الانجليزى . ونحن قد آلينا على أنفسنا أن نكون أمناء فى تعريب فلا نجيز لأنفسنا حق التصرف الذى يلجأ إليه الكثيرون من المعربين .

ولقد تصور هود فى تلك القصيدة امرأة فقيرة تخيط منذ الصباح المبكر حتى المساء ، تخيط ثياب الناس فى حجرتها الوضيعة المعتمة نظير أجر ضئيل تتقاضاه لا يكاد يقوم بأودها رغم هذا العمل الشاق المضنى . وهى حال كثيراً ما نرى أمثالها بين ظهرانينا ؛ ولكن جلبة الحياة وضوضاءها قد ألهتنا عن سماع أمثال تلك الأنات الصادرة عن تلك النفوس البائسة الحزينة .

بأنامل واهنة كليلة
وأجفان مقروحة ثقيلة
جلست امرأة فى خلق بالية
تعمل بإبرتها وخيوطها
تلفق وترقع وترتق
فى فقر وطوى وقذارة
وبنغم حزين مكتئب
تغنى أغنية القميص

***

« أعمل وأكد وأكدح
إذا ما صاحت الديكة البعيدة
أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يلوح النجم من فرج الخباء
واهاً لنفسى كأنى عبد ذليل
فى أسر سيد عنيد من الأتراك الظالمين
روح النساء عندهم بدرهم لا تقاس
تأبى ذلك التوراة والانجيل »

***

« أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يصيب رأسى الدوار
أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يئن الجفن من الآلام
أرتق وأبطن ثم أعصب (١)
وأعصب وأبطن ثم أرتق
إلى أن أسقط فوق الأزرار
ولكنى أخيطها فى أحلامى »

***

« يا للرجال ذوى الأخوات العزيزة
ويا للرجال ذوى الأمهات والأزواج
ليست هذه أصوافاً تبلى
لكنها ذوب مخلوقات تعيسة
ألفق وأرقع وأرتق
فى فقر وطوى وقذارة
وفى آن واحد ، وبخيط مزدوج
أخيط كفنا كما أخيط قميصا..! »

***

« لكن عن الموت ما لى أفيض مقالى
وعن شبح العظام النخرة البوالى
إنى أهاب ذاك الخيال المعتم
ولكن ما أشد شبهه بى
لكن ما أشد شبهه بى
لشدة الطوى ، وشدة ما بى
يا إلهى ! ما أغلى ذلك الخبز
وأرخص هذا اللحم والدم ! »

***

« أعمل وأكد وأكدح
ليس لعملى آخر أو نهاية
وما جزاؤه ؟ فراش من القش
وكسرة من الخبز . وحلق بالية
وسقف مخروم ، وأرض عارية
وكرسى محطم وبجانبه خوان
وحائط باهت عليه خيالى
ينعكس فى أغلب الأحيان »

***

« أعمل وأكد وأكدح
عملا منهكا ليس له نهاية
أعمل وأكد وأكدح
كما يكد السجين تكفيراً عن جناية
أرتق وأبطن ثم أعصب
وأعصب وأبطن ثم أرتق
إلى أن يئن القلب ، وتدور رأسى
وتشكو الألم أعصاب اليدين »

***

« أعمل وأكد وأكدح
على ضوء شهر ديسمبر المعتم
أعمل وأكد وأكدح
عند ما يدفأ الطقس ويبرق
وعند ما تطل صغار الطير
من بين فروج أوكارها
تزهو بزهورها الذهبية
تعيرنى بقدوم الربيع المشرق »

***

« من لى باستنشاق النسيم العليل
المعطر بأرج أزهار الربيع ووروده
بينما السماء مشرقة فوق الهام
والأرض معشبة تحت الأقدام
ساعة واحدة قصيرة الأجل
أشعر فيها بعز مضى على عجل

---

(١) عصب الثوب : ضم ما تفرق منه .

قبل أن اعرف ذل الحاجة
وطول الكد نظير لقمة أتبلغها »

***

« من لى بساعة واحدة قصيرة
أو مهلة عاجلة وجيرة
ليست للحب أو لمناشدة الأمل
ولكنها للحزن وبث الهموم
فالبكاء سوى لقلبى المكلوم
وعلى الدمع فى محاجره المالحة
أن يجمد فلا تترقرق قطراته
فكل واحدة تميق الخيط والخياط(١) »

***

« أرتق وأبطن ثم أعصب
وأعصب وأبطن ثم أرتق
عمل وأكد وأكدح

كالآلة سيرها البخار
سداها الحديد ولحمتها النار
تعمل لصالح ذوى اليسار
دون عقل يفكر ، وكأن قلبها
قد قد من صلب الأحجار »

***

بأنامل واهنة كليلة
وأجفان مقروحة ثقيلة
جلست امرأة فى حلق بالية
تعمل بابرتها وخيوطها
تلفق وترفع وترتق
فى فقر وطوى وقذارة
وبنغم حزين مكتئب
(ويا ليته يصل إلى آذان الأغنياء)
تغنى أغنية القميص

أحمد الشنتناوى

(١) الخياط : الابرة

اليابان ونظمها التعليمية

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
وزير معارف حيدر آباد سابقا ونائب رئيس جامعة عليكرة حالا

تعريب الاستاذ احسان سامي حقي
أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند

[خاصة لمجلة المعرفة]

لا بد لنا قبل الخوض فى هذا الموضوع من أن نبحث قليلا عن بلاد اليابانيين ، وعاداتهم و... وأخلاقهم ومذاهبهم . لنعلم ما لاقى العلم فى الوصول إليهم من العثرات والحوائل فى سبيله . أو ما ناله من الاستحسان والرغبة . لأن قبول الشيء أو رده ينحصر دوماً فى ... نفس طالبه أو الراغب فيه من ميل أو نفور . ولذلك لا بد من هذا البحث لما له من التعلق العظيم بهذا الموضوع .

من ينظر فى مخطط العالم يرى أن اليابان أشبه برؤوس جبال ناتئة من البحر . وكلها بركان ... حيث يوجد فى هذه المملكة – التى تتألف من نحو ٣٠٠٠ جزيرة – نحو ٢٠٠ بركان منها . والزلازل لا تفارقها قط . وقد بلغت الزلازل ٣٠٦٨٠ زلزلة بين سنتى ١٨٨٤ — ١٩٠٤ . أى بمعدل أربع زلازل يومياً ، على أنه فى الأزمن الغابرة كانت أكثر من ذلك . ... اليابان إذاً عرضة دوماً للأخطار التى تنجم عن الانفجارات . وتبلغ مساحة هذه الجزر ١٤٢٠٠٠ ميلا مربعاً ، ونفوسها نحو ٦٠ مليونا . وهم بالنظر لبعدهم عن العالم . ولكونهم ... دوماً للأخطار من هجمات الأعداء وغير ذلك لم يعتنوا بشيء اعتناءهم بالجندية وأمرها ؛ ... أطفالهم على حب الوطن والسلطان الذى يعتبرونه إلهاً ومن سلالة الآلهة . ومن غريب ... سلالة السلطانية فى اليابان أنها هى السلالة الأولى التى حكمت اليابان . ولا يعرف فى تاريخ اليابان أن سلالة أخرى حكمت عليها غيرها . وذلك لأنهم – كما ذكرت آنفاً – يعدون ... إلهاً ، والخروج عليه يوجب غضب الآلهة آبائه وأجداده . ولذلك فمهما حصل من ... فى اليابان ، ومهما بلغت الأمور من الشدة أقصاها لا يكون الخلاف ضد السلطان و... قط . بل هو فى أمن وأمان من ذلك ، إذ لا يمكن لأحد أن يمسه بسوء ؛ وكل فرد من أفراد الشعب اليابانى يعد نفسه خادماً للوطن أولا . وللسلطان ثانياً ، وكل ما يسعى إليه هو أن يصون الاثنين من كل غارة ، ومن كل ما يسيء سمعتهما ، وكلهم يحسب سعادة الدنيا والآخرة فى أن يموت فداء لسلطانه ولو بالانتحار . واليابانيون يعدون أنفسهم جميعاً كعائلة واحدة كثيرة أفرادها ، وسلطانهم رئيس هذه العائلة . وقد بلغت درجة احترامهم وتعظيمهم

للسلطان درجة عظيمة ، حتى إنهم أصبحوا لا يجيزون معها أن ترسم صورة السلطان على الطوابع أو العملة . ولا أن تعلق في الأسواق والأندية عارية . إذ يعدون ذلك توهيناً بالدين وأينما علقت صورة السلطان — حتى ولو في الدكاكين والأندية — لا بد وأن تكون مستورة بغلاف من الورق — ولو كانت موضوعة لأجل البيع — . ومن عجيب ما روى في هذا الباب أن النار اشتعلت مرة في مدرسة فجأة فلم يستطيعوا إخراج ما فيها من المتاع . فنظر تلميذ — وهو خارج الإيوان — صورة السلطان معلقة في صدر الإيوان — كما هي الأصول في مدارس بلاد اليابان — فأخذته الحمية وأيقن أن النار ستأكل السلطان عن قريب . فاقتحم النيران مسرعة وانتزع الصورة من الحائط . وشق جوفه ووضعها فيه وهم بالخروج . ولكن روحه كانت قد فارقت جسده فخر على الأرض صريعاً . ولا يسمح اليابانيون بأن يقف أحد في الطبقة العليا من موقف السلطان . لذلك إذا ما مرت مركبة السلطان في الشوارع يغلق أصحاب المنازل عليهم الأبواب والنوافذ ، ويسبلون السجف عليها ؛ وكثيراً ما أوخذ الأوربيون فألقوا في السجون لمخالفتهم هذا الأمر ؛ حيث إنهم يكونون غير عالمين بذلك . فإذا ما سمعوا الخبر نظروا من نوافذهم فتقبض عليهم الشرطة .

ويحكى مرة : أن شيخ بلدة من البلدان سمى مولوداً باسم السلطان من غير أن يعلم أن هذا الاسم هو اسم السلطان . لأن اسم السلطان الأصلي لا يذكر على لسان أحد ، بل يسمى باسم فرضي — . فلما ذهب لتسجيل ذلك طلب إليه مأمور السجل أن يطلب السماح والعفو عن هذا الخطأ . ولكنه رأى أن طلب العفو لا يغفر له هذه الزلة العظيمة ، فلم ير بداً من الانتحار ، فانتحر في الحال .

أما أخلاقهم فهي في غاية الكمال . حيث يرون أن من أكبر واجبات الإنسان أن يكون عضواً مساعداً لأخيه في كل حال من حالاته ، وأن لا يفضل أحد نفسه على غيره . وهم متمسكون بالبشاشة والصبر ، وشعارهم : الحزم وتحمل المشاق ، وألا يقابل أحد أحداً إلا ضاحكاً ، حتى إنه إذا ما حدث حادث ؛ أو نزلت مصيبة بأم رءوم ودخل عليها أحد الأقرباء أو الأصدقاء ، تركت ولدها الميت على فراشه واستقبلت الضيف بكل طلاقة . ثم تقص عليه خطبها بكل صبر وثبات ورباطة جأش . وهم يأنفون أن يسمعوا أو يروا أحداً أرفع منهم قدراً أو أكرم أخلاقاً ، ومن ذلك أن أحد القسوس مرة فقد متاعه في إحدى المحطات . فأخبر دائرة الخط الحديدي . فأرسلت إليه ثلاثة من موظفيها تقول له : إن متاعه قد وجد ؛ ولكن عليه أن يدفع أجرة حمولته من المحطة إلى داره فتوصله إليه . فأجابهم القسيس : إني لو كنت في بلدة ووقعت مثل هذه الحادثة لكانت دائرة الخط الحديدي ترسل إلى متاعي على حسابها . فما أن سمع هؤلاء الموظفون هذا القول حتى انصرفوا عنه وأخذوا يتحاورون فيما بينهم . ثم عادوا

... كن مصمماً ، سيصل إليك متاعك بغير أجرة . وذلك لأنهم أخذوا بعض الحمية حين قال ... لو كنت في المدرسة ... الخ . ولم يرضهم أن يكونوا أقل من الانكليز . فدفعوا الأجرة ... عنه رغم فقره وقلة رواتبهم . وقال الدكتور سيدراس الذي نترجم عنه هذا الموضوع : ... مرة بتلميذ . فحاورته في أمره . وكيف يحصل العلم وليس لديه مال لذلك ؟ فقال له من غير ... أني فقير معدم جداً . وقص عليه قصته . وإنه يأكل في كل أربع وعشرين ساعة ... ويعمل بيده لاكتساب رزقه . ويأتي من بعد ٦ أميال يومياً إلى المدرسة . ... شفقته به . وأراد مساعدته بقليل من المال . فرفضه شاكراً هاشاً باشاً بقوله : إن ... الأحرار امدائيين من آبائي وأجدادي اليابانيين لا يزال يجري في عروقي . وإني ... كسبت منهم شيئاً . فقد كسبت منهم الصبر والتحمل والغيرة والحمية .

... حبهم للوطن وإطاعة الأمر . فهو عديم المثال في غيرهم . ومن ذلك : أن أرملتين ... أثناء الحرب التي كانت قائمة بين الروس واليابان ، وذلك لأن القانون الحربي الياباني ... أولاد الأرامل من الخدمة في الحرب . فانتحرتا ليتسنى لأولادهما الذهاب إلى ... والدفاع عن الوطن ؛ وإذا ما شعر جندي أن فعله قد ساء أمره . فلا يرى لذلك ... إلا أن ينتحر حالا إرضاء لأمره . ولذلك ترى الضباط والأمراء يسلكون دوماً مع ... مسلك الأخوة والحنو . ولا يبدون لهم العبوس . كي لا يظنوا أن ذلك عن غضب ... ؛ وإذا ما أذنب جندي وثبت جرمه فلا يعدم بأيدي الجلادين . ولا بالصلب . ولا ... ؛ بل يسمح له بالانتحار . فيعلن هو يوم انتحاره . فيحضر من قبل الحكومة ... ، ويجتمع الناس في ساحته والمجرم في وسطها . ثم يعلن انتحاره . ويأخذ المدية ... بطنه من غير أن يبدي آثاراً لغضب أو التأسف على الحياة أو الأهل والأصدقاء ... ، وليست هذه الجرأة محصورة في الرجال فقط ، بل هي أيضاً في النساء ، وانتحار ... يكون بأن تقطع رأسها بيدها ، لا أن تشق بطنها .

... يرون كفارة للاهانة إلا أن يعدم المهين بأيدي الحكام . وينتحر المهان لأنهم يرون ... عاراً مع الاهانة . ولذلك كثيراً ما يصادف الأجانب صعوبات في هذا الشأن .

... يربون أطفالهم من الصغر على هذه الأخلاق وعلى الشجاعة . ويغرسون في أدمغتهم أن ... هي أشرف عمل . وأن الموت في سبيلها نعم الموت . وهم بتربيتهم هذه أشبه بهم ... ، حيث إنهم يعلمونهم قبل كل شيء ألا يخافوا من أحد . ويأخذونهم إلى المقابر ... المخيفة . وحيث حصل قتل أو أريق دم إلى غير ذلك . حتى يصبح الطفل ... شيئاً حتى الموت ، وكثيراً ما يجربون الأطفال ويحملونهم على الانتحار ، فينتحرون ... ضاحكون .

أما مذهب اليابانيين فهو مذهب مدنى ، تغييره وتحريره بأيديهم ، وهم لا يرون حياة بعد الموت ، ولا نشوراً ، ولا بعثاً ، ولا قيامة ، ويقولون إنه إذا مات الميت لا تذهب روحه إلى النعيم ولا إلى الجحيم ، بل تبقى حائمة فوق قبره ؛ ولذلك يرون — من قبيل احترام الآباء والأجداد — أن احترام القبور واجب من الواجبات الدينية، ويسعون دوماً لارضاء أسلافهم بالسير على آثارهم ، لأنهم يعتقدون أن مخالفتهم توجب غضبهم عليهم ، ولذلك لما قصدهم المبشرون المسيحيون ودعوهم إلى النصرانية لبى كثير منهم الدعوة. وذلك لما كانوا يريدونه لهم من الأمور التي خدعوهم بظاهرها ، فظن هؤلاء المساكين أولئك المبشرين رسل رحمة إليهم ، ففتحوا لهم صدورهم ، وأقبلوا على اعتناق النصرانية أفواجاً ، إذ أنهم يحسبون أن النصرانية هي أيضاً كجمعية مدنية تدعو إلى الاخاء والمحبة ، فلا بأس من معاضدتها ومناصرتها ، ودخل فيهم هؤلاء المبشرون كما يدخل السوس في الخشب ، وكما هو الحال في البلاد ، إذ أنهم يأتون بالكتاب للتبليغ والسيف من ورائه ؛ ثم لم يلبثوا أن استولوا على تجارة البلاد بأجمعها ، وصاروا يبذرون بذور التفرقة بين الأب وابنه ، والأخ وأخيه ، فاستفحل أمرهم وكادوا يبتلعون اليابان لقمة سائغة ، لولا أن استيقظ اليابانيون وضربوا على أيدى هؤلاء الجواسيس ضربة قاضية ، وذلك أنهم قبضوا على كتب من هؤلاء القسس إلى حكوماتهم يبشرونهم بقرب بذر التفرقة بين الأقوام اليابانية .

وقبل أن أخوض في هذا البحث أرجع إلى ذكر أصل المذهب الياباني :

قلت أولا أن ليس لليابانيين مذهب كما لباقي الأقوام من مذاهب ؛ بل إن ما يرونه من الأمور متفقاً مع طباعهم يقبلونه. وأول مذهب يقال إن اليابانيين كانوا يعتقدونه هو مذهب (شنتو) أى الآلهة ، وليس هذا المذهب — كما يفهم من معنى المذاهب — مجموعة عقائد دينية، أو كتاباً موحى به من الله ؛ أو نظاماً أخلاقياً، بل هو عبادة الأسلاف والكائنات و ... وخلاصته هو : « أن الانسان في العالم الظاهر والباطن يسر الحى منه الميت بأفعاله ، كما أنه يستطيع أن يؤذيه بأفعاله » ، ومما يقال : إن اليابانيين — حتى القرن السادس المسيحى — لم يعلموا معنى للمذهب ، ولكن لما حدث العصيان أخيراً ضد الوزارة الموروثة — التى تسمى بلغتهم (شوكن) ؛ والتى كانت هى المسيطرة على البلاد طولها وعرضها ، وليس للسلطان من الحكم إلا الاسم — كانت نتيجة هذا العصيان أن رغب الناس في ترويج مذهب (شنتو) القديم مخالفة لمذهب (بدا) الذى كان مذهب أولئك الوزراء ، ولم يرغبوا في إحياء مذهبهم القديم لأغراض دينية — لأنهم بعيدون عنها كل البعد — بل لأغراض سياسية ، وكل ما كان في هذا المذهب هو أصلان : (١) احترام الجذبات الفطرية ومتابعتها، (٢) إطاعة السلطان فرض لازم.

ولكن لما تسنم كرسى الوزارة (أبى ياسو) مؤسس وزارة (توكوكاوا) أحد معاصرى

..ب (كونفوشيوس) — الذى بدأ ينتشر فى البلاد الصينية فى القرن الأول المسيحى —
.. لأول مرة كتب المذكور وأشاعها ، فلم يمض على إشاعتها إلا مدة قليلة حتى أصبح هذا
..ب مذهب اليابان كلها . ثم دخل مذهب (بدا) فى القرن السادس المسيحى اليابان، وانتشر
..ة لرق ، وذلك لأن دعاته كانوا يقولون : « إن إله مذهب شنتو هو نبى بدا » ؛ ولذلك
..عوا أن يزلوا مذهبهم من صدورهم ويحلوه محل المذهب الأول بكل سهولة . وخلاصة
..ب (بدا) هو : أن النجاة لا تكون إلا بالعلم أو نور القلب . وإيصال الانسان نفسه
.. منتهى الكمال هو عين النجاة ، وأن الخضوع والخشوع أمام الآلهة هو الغاية الحقيقية
..ة . وأن الفناء — حال الحاضر — هو آخر المنازل الروحانية . ويقولون : إن المجىء
..مه إلى الوجود أمر قبيح جداً . وسببه يرجع إلى أصلين : الجهل، والشهوات النفسانية.
ثم فى القرن السادس عشر دخلت المسيحية إليهم فاعتنقوها أو اعتنقوا بعض أصولها ،
..حت ديانة أهل اليابان إذن مجموعة مركبة من الأديان الأربعة تركيباً مزجياً ، وهى :
..ب (شنتو) ، ومذهب (كونفوشيوس) . ومذهب (بدا) ، والنصرانية . ولما كانت
..ب الثلاثة الأولى ليس فيها إيمان باله قادر مطلق قاهر ، والنصرانية هى فى كل مكان خلافها
..يره . أى أنها تسير سيراً سياسياً ، لأن غرض المبشرين هو احتلال البلاد لا نجاة العالم
.. لآخرة — كما يقولون — . ولذلك فانهم أينما ذهبوا وكيفما اتجهوا ، يظهرون بدينهم مظهراً
.. لذى يظهرون فيه فى البلاد الأخرى — لذلك إذا ما ذهب أحد السياح إلى اليابان ، وحمل
..و اسه ويصلى يسخرون منه ويعجبون من هذه الأفعال .

و.. كتب اليابان التاريخية فهى كتابان ، يرجع إليهما أصل التاريخ اليابانى القديم بأجمعه :
.. كتاب (كوجيكى) ، وهو عبارة عن مجموعة وقائع ، وقد ألف سنة ٧١١ م .
.. كتاب (نيهون شوكى) . وهو تاريخ اليابان ، وقد ألف سنة ٧٢٠ م . وأرى من
..ب ترويحاً للنفس أن أنقل ما جاء فى (كوجيكى) عن خلق العالم ، حتى تعلم — من هذا —
..لات المذهبية الأولى فى اليابان قبل أن يختلطوا بغيرهم . وهو : إن فى ابتداء خلق السموات
.. لأرض ظهر إلى عالم الوجود من أعلى السموات كامى [معنى كامى : هو الاله أو السلطان أو
.. شبه] اسمه [أمينو مينا كانوشى نوكامى]، ثم ظهر بعده كاميان: الأول [تاكاميمو سو بينو
..مى] . والثانى [ميمو سوبى نوكامى] خلقوا أنفسهم ، وهم جميعاً واحد وهو غائب [هذا
..و مذهب النصرانية الممثل فى الأب والابن وروح القدس ، فالثلاثة واحد والواحد ثلاثة]؛
..قولون : إن الأرض كانت كنقطة زيت سابحة فوق الماء ، وكانت الأشياء تتولد عليها
..تفرع منها كما تتفرع عيدان القصب من جذع القصبة . ومن هؤلاء الثلاثة وجد [كامى]
..ر اسمه [أوماشى اشى كابى هيكوجى نوكامى] . وبعده وجد [أمينو توكوجى نوكامى]

أو [كونيمو توكوجين نو كامى] . وكلهم خلقوا بأنفسهم . ثم ذكر فى نفس الكتاب - أى
كوجيكى - أن من [اميمو ميما كامو شيمو كامى] ولد السلطان والعائلة السلطانية . ومن
[تاكاميمو سوبى] و [كامى ميموسوبى] شرفاء اليابان ووجهاؤهم . وكذلك منهم ولد
(كامى السماء) أى الوجهاء أصحاب الدم الخالص ؛ و (كامى الأرض) أى الوجهاء [illegible]
الدم المزيج .

ومن غريب ما فى مذهب (شنتو) أن أتباعه خلاف أتباع كل المذاهب . لا يتضرعون
إلى آلهتهم عند الحاجة . ويجب على كل من يريد اتباع هذا المذهب أن يكون [illegible]
الفطرية . وأن يتمتع من محاسن الفطرة ؛ وعقائدهم هى : أن الطهارة تحصل إما بالنور أو
بالماء ، وأن الدم هو شىء نجس محض . وحيث إن (كامى) يستطيع أن يرى كل شىء فلذلك
من الواجب على كل شخص أن ينظف جسمه وروحه وقلبه من كل الكدورات . ومن جملة
آيات مذهب (شنتو) هو : كونوا طاهرين فى السماء . كونوا طاهرين فى الأرض . كونوا
طاهرى الباطن والظاهر . كونوا طاهرى الأصول الستة (وهى الحواس الخمسة والف[illegible])

بناء على هذه القواعد ما زال اليابانيون يعتنون بنظافة أجسامهم وثيابهم و[illegible]
وشرابهم وملابسهم ، إلى غير ذلك .

والخلاصة أن اليابانيين - منذ القديم وحتى الآن - لا يعرفون من المذهب شيئاً [illegible] . وكل
ما عندهم أن السلطان هو إلههم الحى . وأنه كفيل بأرزاقهم . وأن إطاعته فرض عليهم [illegible]
فكل ما فى صلاتهم هو دعاؤهم قائلين : « ليحى السلطان » . والسلطان يدعو لهم [illegible]
والخير ؛ ولكن مع كل هذا فإن عقلاء اليابانيين لا يرون بداً من المذهب . ومن أقوال
عقلائهم قول المستر (فوكو زاوا) - بانى جامعة (كى) ومحيى العلوم الحديثة فى اليابان - حيث
يقول : « لا جدال ولا نزاع فى أنه لا بد من مذهب تعتقد به العامة لقيام الأمن فى شئون
الحياة ، ولا فرق عندى فى المذاهب . فأى مذهب اعتنق يقوم بإيفاء هذه الغاية . ومع
أنى لست من المبالين إلى العقائد الدينية . ولا أومن بمذهب أو دين من الأديان فلا [illegible]
فى الحث على اعتناق المذاهب . لأن إيمانى لا يساعدنى أن ألبس لباساً لا يعتقد [illegible]
فائدته قلبى ... المذاهب كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولكنى مع ذلك لا أرى من [illegible] بها
قط إلا كما أرى من الفرق بين الشاى الأحمر والشاى الأسود . فاشربوا هذا أو اشربوا
ذاك فالاثنان سواء . وكل ما فى الأمر أنه يجب أن يجرع [illegible] من لم يذق الشاى حتى الآن
شيئاً منه ليعلم مذاقه . وأرى أن دعاة المذاهب لا يزيدون عن تجار الشاى شيئاً . وكلهم
منصرف فى ترويج سلعته . وليس من طريقة لترويج هذه السلعة إلا أن تمتدح كل واحد
ما لديه من المال ويذم مال الغير . فيجب على الانسان إذن أن ينتخب المال الجيد الرخيص

يعتقد اليابانيون أن الاله (إيرانا كى) وزوجه (إيرانامى) خلقا جزر اليابان [illegible]

... (أماتيراسو) أرسلت حفيدها من أعالي السموات إلى الأرض قائلة : « اذهب إلى تلك ... الحديقة ... واحكم نسلا يحكم حتى الأبد » . ففعل ذلك . وها إن ... اليابانية هي من نسله . وهذه العقيدة رائجة جداً . قال الدكتور سيدراس : سألت ... : لم هذه الخرافات التي تروجونها في أسواق الجهل ، وأنتم لا تعتقدون بصحتها ؟ ... بكل هدوء . إن هذه العقيدة ليست بأعجب من العقيدة النصرانيـة التي تدرس في ... أوربا المتمدنة وجامعاتها ، وهي : أن المسيح ابن الله الوحيد .

... اليابان منذ الخليقة حتى منتصف القرن الخامس عشر بعيدة كل البعد عن العالم — ... راضية في بلادها ، مطمئنة إلى حالها ، لا يعلم أحد بما فيها . ولا هم يعلمون بما ... غيرهم ، إلى أن عصفت العواصف مرة بإحدى السفن البرتغالية ، التي كانت ذاهبة إلى ... (مكاو) في الصين ، وألقتها على ساحل جزيرة من الجزر اليابانية . وهناك اضطر المسافرون ... النزول فيها . كانت هذه الصدفة هي الفاتحة لسبيل الأوربيين إلى اليابان . وهي المرة الأولى ... رأى فيها اليابانيون أناساً غيرهم في بلادهم .

... كاد الأوربيون يسمعون هذا الخبر ، ويعلمون أن في تلك البلاد متسعاً للتجارة ، حتى ... من كل حدب وصوب . ومن هؤلاء وجد القسس أيضاً متسعاً لهم في هذا العالم ... فيه بذور الشقاق بين أهله ، فقصدوه بخيلهم ورجلهم ، وأتوا إليـه أفواجاً . وأول ... ثم قصدت هذه البلاد هي الفرقة الفدائية ، التي ترى أن الموت في سبيل الدين هو ... المطلوبة . ولما كان اليابانيون — كما ذكرت آنفاً — لا يعبأون بالدين ، ولا يفقهونه إلا ... مدنية ، وسمعوا ما سمعوا من أقوال القسس الخلابة ، ظنوا أن السعادة كل السعادة في ... حيث إنهم جاءوهم بخبر جديد لم يكونوا يعلمون به من قبل ، وهو : الحياة بعد ... وما هنالك من النعيم والرفاهية والسعادة التي لا تنال إلا بهذا الاعتقاد ، فأقبلوا عليهم ... شوق ، واندمجوا فيهم ، وأصبحوا أحرص على النصرانية من النصارى أنفسهم ; ولكنهم ... العجب حينما رأوا سياسة القسوس قد تغيرت فجأة ، وأصبح أولئك الملائكة الأبرار ... المحبة والسلام ، شياطين خبث وخداع ، ورسل عذاب وتفرقة ، فخالجتهم من ذلك الريب ، ... ما ظهر لهم بعد ذلك من أن المسيحيين أنفسهم تكفر كل فرقة منهم الأخرى ، وتحكم ... اللعن الدائم .

وجد القسوس في البلاد اليابانية صدوراً رحبة ، وسهولة كبيرة للتبليغ ... حيث ... الحكومة سمحت لهم بإلقاء المحاضرات حتى في الشوارع وفي بناء البيع وغير ذلك . ولم تمض ... إلا ٣٣ سنة ، حتى كتب رئيس المبلغين في اليابان إلى روما خبر أنه قد بلغ عدد المعتنقين ... المسيحية ١٥٠٫٠٠٠ نسمة ; ولو ثابر المسيحيون على التبليغ بصورة سلمية ، لكانت ... اليوم بلاداً مسيحية لا يوجد فيها إلا التثليث ، ولا يسمع فيها إلا صوت الناقوس ;

ولكن اليابانيين — حيث إنهم يابانيون قبل كل شيء — لم ترقهم هذه التفرقة بين أحد القسوس . واستغنوا عن تلك الفوائد الدنيوية الجمة التي كانت خاصة لهم وعافوها . حيث علموا أن هؤلاء المبشرين لم يقصدوهم ليمحوا أرواحهم من العذاب — كما يقولون — بل ليسلبوا أوطانهم من أيديهم ، ويستبيحوا ديارهم . ورغم ما اتخذه القسوس من الأسباب والوسائل لنجاح دعوتهم . كارسال وفد مثلا من المتنصرين من أمراء البلاد إلى أوربا ليروا ما هي من عظمة وشأن . وكالتضييق على من لم يكن نصرانياً بأمر التجارة، وعدم إرساء أسطول ساحلهم وغير ذلك، بالرغم مما تقدم فإنهم لم يستفيدوا من كل هذه الأمور شيئاً . حيث علم الناس أن غاية النصرانية لا تزيد عن احتلال البلاد . وهناك بعد أن كان كثير من ملوك(١) اليابان قد اعتنقوا النصرانية ، وأصبحوا يدافعون عنها دفاع المستميت ، لم يجدوا بداً من ترك هذا المعتقد . وإجبار كل من اعتقد به على تركه . لأن البلاد أصبحت محوطة بالأخطار من كل جهة، وصدر أمر باخراج القسوس جميعاً من اليابان في مدة لا تزيد عن عشرين يوماً وإلا يكونوا عرضة للموت والعذاب . فخشي منهم البعض وارتحل حالا إلى الصين . ولكن بعضاً منهم لم ير بداً من المقام ولو أدى الأمر إلى الموت . وبعد أن كان ملوك اليابان يحرضون رعاياهم على اعتناق النصرانية أصبحوا يجبرونهم على تركها . والحكم بالاعدام على من يصر عليها .

صدر الحكم باخراج القسوس ، ولكن الحكومة لم تتعرض لمن لم يتخذ التبليغ مهنة له كالتجار وغيرهم من الأجانب، بل أبقت لهم مالهم، وسلكت معهم مسلكها المتقدم . ولكن لما رأت الحكومة أن بعض القسوس لم يعبأ بأمرها وبقي مصراً على المقام . لم تر من الأدب إهراق دمائهم ، بل أصدرت حكماً بهدم جميع البيع في اليابان — طولها وعرضها [illegible] ولكن مع ذلك لم تتخذ الشدة في التضييق على عمال النصرانية . فعاد من القسوس بعض من كان قد رحل مرة ثانية بحيلة احتالها لهم حاكم جزائر فيلبين ، وجعلوا يقومون بالتبشير، وبنوا الكنائس . ولكن لما كان قد آن وقت أفول سعدهم لم تعد تنفعهم الحيل . ولم يطل أمرهم، وذلك: أنه كان قد قبض مرة على ربان سفينة اسبانية تحطمت على سواحل اليابان، فسئل: كيف يطمع ملككم في احتلال بلاد هي أكبر من بلاده مرات ؟ أجابهم على الفور أن الأوربيين إذا ما أرادوا احتلال بلاد ما يرسلون أولا جيوش قسوسهم فيمهدون لهم السبيل ثم بعد ذلك التجار ، ومن ورائهم الجيوش والمدافع . فما كاد ملك اليابان يسمع هذا القول حتى بلغ منه الغضب منتهاه . وأمر حالا بالقبض على القسوس جميعاً ، وجدع أنوفهم . وقطع آذانهم . وتطويفهم في أسواق المدينة ، ثم صلبهم . وهذه الواقعة هي أول نازلة نزلت على هؤلاء القسوس . وجعل اليابانيون يحاربون النصرانية بكل نشاط ، وهدموا أكثر بيعهم

(١) نقول الملوك ، لأن اليابان لم يكن تحت ملك واحد [illegible] واحد ، كما كان الحال في آخر أيام العباسيين .

مرة ثانية . ولكن أخيراً بعد أن كانت البلاد قد رتقت نوعاً ما عن ذي قبل، ولم ير أهلها من ربط تجارتها مع الدول الأوروبية عادوا إلى الاتفاق معهم – بعد أن كانوا منعوا دخول في حمى في بلادهم مدة تزيد عن ١٠٠ سنة – وعقدوا اتفاقات ومعاهدات تجارية مع أمريكا ومع الانكليز ثم الفرنسيين وغيرهم، ومن ذلك العهد علموا أنه لم تطمع فيهم أوربا إلا لجهلهم، فقاموا لمقاومة الجهل، واتجهوا نحو العلم وتوحيد صفوفهم أمام هذا العدو القوي، واهتموا بإصلاح البلاد من الجهة العلمية . وحيث إن الهولانديين كانوا أكثر الناس تجارة في اليابان، وكانت معاملاتهم متسعة مع اليابانيين . لذلك اضطر اليابانيون لتعلم لغتهم للاستفادة منهم . فقدموا عريضة إلى الحكومة يطلبون فيها السماح لهم بتعلم هذه اللغة . فسمحت لهم الحكومة بذلك، بعد أن كان جزاء من يتعلمها الموت .

ثم كاد هذا الخبر يشاع في البلاد وينتشر، حتى أقبل اليابانيون بشوق لا مزيد عليه لتعلم هذه اللغة . وظهروا من الاجتهاد بالإعجاز . وكانت باكورة أعمالهم في هذا الأمر أن جمعوا المعاجم الموضوعة في اللغة الهولاندية ونقلوها إلى لغتهم . ثم إن أحدهم برع في هذه اللغة حتى قرأ كتاباً في علم التشريح وعلمه نحو ٦٠٠ تلميذ ياباني، وبرع آخر حتى إنه ترجم كتاباً في علم النباتات إلى اليابانية، وهو أول كتاب ترجم من العلوم الأوروبية . واهتم الجميع في تحصيل العلوم بهمة عجيبة وغريبة جداً . وأقدموا عليها كما يرد العطاش الماء، حتى إن تعلمهم لم يكن محصوراً في صغار السن، بل رفاقه الكبار منهم، حتى من لم يكن يملك قوت يومه – وجدوا بقسط وفير من العلوم . ويعرف مما كانت عليه اليابان من الجهل من هذه الواقعة التي حصلت لبعض الأطباء، وهي: أنهم أخذوا كتاباً في فن التشريح وقرأوه، ثم أرادوا تطبيق ما قرأوه . فذهبوا وشرحوا جثة مجرم كان قد أعدم . فكانت دهشتهم وحيرتهم لا تقدر حينما وجدوا أن صوره هي طبق الحقيقة . وقرروا أن تركيب أهل الصين الداخلي غير تركيب العالم . لأن كتبهم يختلف تشريحها عن هذه الصورة المطابقة للحقيقة . فإنهم نسبوا خطأ التشريح الصيني إلى أن تركيب أهل الصين مختلف لا إلى أنهم مخطئون في ذلك، لأنهم كانوا يعتقدون صحة تلك الكتب . فكانت حالهم كما جاء في الإنجيل: « حينما رأى يسوع لصاً فقال له: أتسرق؟ فقال لا، لست أسرق، فقال يسوع: صدقت وكذبت عيني » . هكذا كان حال هؤلاء الأطباء قبل مدة قليلة . وقد ظهروا الآن أمام العالم باكتشافات طبية عجيبة بفضل اجتهادهم . وكذلك في الكيمياء والعلوم الطبيعية وغير ذلك . أما ما لاقاه اليابانيون من المشقة في أمر الترجمة فهو شيء يفوق التصور، ولكنهم باجتهادهم ذللوا كل عقبة . وامتطوا كل صهوة، وخلقوا من لغتهم ألفاظاً لكل المصطلحات الحديثة . وأسسوا في بلادهم أول مدرسة للطب في مدينة (ييدو) . وقام بعد ذلك دعاة العلم في البلاد يحثون على تحصيل العلوم، وفي مقدمتهم الأستاذ (فوكوزاوا) الذي أسس في اليابان أول جامعة .

وسنذكر بعض أعمال هذا الأستاذ والمربي الأعظم مع شذرة من تاريخ حياته في عدد آخر إن شاء الله ؟

إحسان سامي حقي

الزوج والزوجة

وواجبات كل منهما

بقلم الأستاذ مصطفى جاد أبو العلا

تكلمنا فى العدد الماضى عما يجب عمله لأعداد الفتاة للزواج . وأردفنا ذلك [illegible]
على المهر والجهاز ، ونتكلم الآن عما يجب على كل من الزوجين نحو الآخر :

إذا ما تم إعداد الفتاة إعداداً صحيحاً وحصلنا على تلك التى قضت بأيامها فى العفة و[illegible]
على الاستقامة والشهامة ، تلك الفتاة التى تجملت بأبهى زينة ، وتحلت بأجمل الحلى . و[illegible]
والآداب . فعلى الزوج ألا ينصرف عنها ويتلهى بما يحيط به من ملاذ وشهوات . فيقضى [illegible]
الطويلة خارج بيته ، ويعود إليه فلا يبصر امرأته إلا وهى نائمة ؛ وإذا ما التقى بها فى [illegible]
من النهار أكفهر وجهاً وعبس وتولى . وإذا كلمها كان كالمتكلف ينتزع الألفاظ من [illegible]
أن لم يكن يراها ؛ يبصر أمامه مخلوقة تهش إليه وتبش وتتقرب منه فيبتعد عنها و[illegible]
ويظن أنها خادم جاء بها لترأس خدمه وحشمه . تلك حال الكثيرات من الزوجات لا [illegible]
إليهن ما هن فيه من نعيم سروراً قلبياً . ويتساءل الناس عن سبب حزنهن مما يصبون إلى [illegible]
إنما يلحقونهن بالبطرات بالنعمة ، المنكرات فضل أزواجهن الجاحدات ، ولكنهم [illegible]
الحق مخطئون .

إن النساء لا تنعم بالا ولا تطمئن خاطراً حتى يكون نصيبهن من أزواجهن نصيباً عادلاً [illegible]
الكلمة الحلوة تخرج من فم الزوج فيتردد صداها فى أذن الزوجة فتصل إلى الوتر الحساس
من قلبها لتنعش فيه أملا كاد أن يموت ؛ إنما المرأة تحتاج إلى ما ينعش حبها ويتعهده [illegible]
والبقاء ، وما تبلغ المرأة ذلك حتى يكون لها من زوجها قلب حنون شفيق ، ولسان [illegible]
وضمير نقى ، فهى زوجه وهو زوجها ، وإنها لتسعد حياة فى ظل هذا الحب والا[illegible]
حين تلتقى بزوجها فرحاً مسروراً يبتسم لها « ابتسامة الزوج » فتقابلها « بابتسامة الزوجة »

وما أتعس المرأة التى تستيقظ من غفلة الشبيبة ، فتجد نفسها فى منزل رجل يغمرها [illegible]
وعطاياه ، ويسربلها بالتكريم ، ولكنه لا يقدر أن يشعل قلبها بشعلة الحب [illegible] .
وإنها لتتنازل عن كل ما يحيط بها من الخدم والحشم والملذات فى سبيل البشر والإيناس [illegible]

من خلال قلب زوجها على صفحة وجهه. وتراها فتغمر زوجها أنس من عينيه وفرح تكاد تطير به.

فجدير بالرجل أن يتقى الله فى تلك المخلوقة التى قدر القضاء لها أن تكون له زوجة، لا ليهينها ويحتقرها، بل ليعزها ويحترمها، فهو سياجها وسندها، فيجب أن يعمل لتوفير سعادتها، وينظر إليها بالعين التى ينظر بها إلى أحب الناس إليه، و[illegible] عليه، وأن يحسب ما يوفقه [illegible] بينهما. وينصحها إن خالفت إرادته. ويؤدبها حتى فعلها بالعطف واللين. لا بالخشونة والشدة والتعيير. ويأخذها بالمعروف، لا بالجبروت، ويشفق عليها. ولا يميل إلى غيرها [illegible]. ولا يضن بالمال لإصلاح حاليهما. ولا يقصر يده عما تطلب منه [illegible] من الحد الأوسط. فلا إسراف ولا تقتير. ولا يستبد بها. بل يكون بشا فى كل [illegible] مسرورا فى وجهها. وإن غضب تغشى الهدوء والاعتدال، يكون لها ناصحا وأخا كريما. فإنه بذلك يصير عضوا [illegible] فى هيئته الاجتماعية. يشعر شريكته فى الحياة حتى تشعر بسرور لم تكن تشعر به من قبل فى بيت والدها تضحى نفسها فى سبيل راحته وخدمته وسعادته.

واجبات الزوجة لزوجها:

وجب عليها حينئذ أن تخلص لزوجها. إن نعمت فى قضاء لوازمه وإن [illegible] بالملابس [illegible] تلفت إليها نظره، تسره بابتساماتها الطاهرة وتسعى جهدها فى مؤانسته وتفريج كربه إن [illegible] به حادث، ويكون ديدنها اليقظة المصحوبة بالعمل والإشراف على دقائق الأمور من المنزل. فلا تدع العمل للخادمين. فإنهم ليسوا من المخلصين مهما عظم [illegible] بالإخلاص [illegible]. ولا تكل أمرا للخادمات وهن فى مهن المتكلفات. تدفعهن [illegible] يوما ما فقدن وراءها النشاط.

يجب أن تكون راغبة فى أن يرفرف الهناء والسرور بجناحيه فوق بيت زوجها فتكون عاملة على النظام والنظافة والاقتصاد:

قد يقول قائل: إن الشئون المنزلية هى من واجبات الخدم. ولذلك فإن ربة البيت يكفى أن تطلب الشيء فيحضر لها كما تريد.

إن مثل هذا القول يستند إلى ما هو أوهى من خيط العنكبوت. لأن المركب الذى يجهل ربانه دقائق حركاته وتسييره يغرق ولو كان عامرا بالبحارة والنوتيين. كما أن القائد الذى ليس لديه دراية كافية يدبر بها جنده يخسر المعركة. ولو كانت جنوده تفوق جنود العدو [illegible]. وكذلك المنزل فإن كانت ربته غير ملمة بكل شيء فيه يتهدم وتتداعى أركانه ويسقط سقوطا مروعا مرهبا.

وقد جاء فى الأمثال «المرأة الحكيمة تبنى بيتها والسفيهة تهدمه بيدها» يريد بالحكيمة [illegible] المرأة التى تعرف كيف تدبر مسكان منزلها وكيف تقوم بواجباتها العائلية نحو زوجها وبنيها

فتسعدهم وتسعد هي أيضا معهم . فالاعتناء بادارة المنزل له أهميته .

« المنزل » هو ذاك السكن المقدس الذي ترفرف على جوانبه ملائكة الهناءة والسرور . هو الجنة الأرضية التي لا تسمع فيها إلا رنات سرور ، وابتسامات حبور ، ونغمات ملائكة . المنزل هو مقصد الزوجين ، ومأوى البنين والبنات ، المنزل مهبط الحب بكل أنواعه : الحب الأبوي . الحب البنوي ، الحب الزوجي ، حب الأقربين ، حب مساعدة الضعفاء ، حب مواساة المساكين . المنزل هو مدرسة الطفل الأولى ، مدرسة الأخلاق الكريمة ، هو المدرسة التي تقوم الزوجة فيها بدور الأستاذ الأول ، المنزل هو المكان الذي يهرع إليه الطفل إن كان خائفا مذعوراً . والزوج إن كان حزينا كئيبا ، حيث يجد كلاهما الملاك الذي يسرى عن نفسه . المنزل مهبط أيام الصبا الجميلة ، أيام السعادة المتتابعة ، أيام الأماني والأحلام ، أيام الاسترسال في المسرات . أيام النزاع الطفيف الذي لا يلبث أن يزول .

يجب أن تخلص لزوجها الحب وتحترمه ، مقدرة له ، راغبة في شخصه ، همها معه أن تعيش له ليعيش لها ، ثم لا يتحلل حبه وإخلاصها رهبة تتفرع عن سيء الظن . فما دنى السعادة بسوء الظن والريبة في العشرة ، وما يلتقي الحب بالحب الزوجي على بساط الغيرة .

وما أتعس الرجل الذي يحب فتاة من بين الفتيات ويتخذها رفيقة لحياته ويهرق على قدميها عرق جبينه ، ودم قلبه ، ويضع بين كفيها ثمار أتعابه ، وغلة اجتهاده ، ثم ينتبه فجأة فيجد قلبها ـ الذي حاول ابتياعه بمجاهدة الأيام وسهر الليالي ـ قد أعطى مجانا لرجل آخر يتمتع بمكنوناته ، ويسعد بسرائر محبته .

هذا ، أما واجبها نحو أولادها ـ الذين هم الغرض الأسمى من الزواج ـ فتربية جسمية وتربية نفسية يشترك معها في الأخيرة الأب . أما الأولى فرتعها الذي تنمو فيه وترتقي في أحضانه . وما قدر لغير الأم أن تقوم بهذه المهنة إلا إن كانت الأم ضعيفة البنية والتركيب .

يجب ألا تترك طفلها هدفا لسهام الأيام ، وعرضة لمخالب الدهر ، يجب أن تدبر مستقبله وتفكر في عاقبة أمره ، فلا تتركه لأيدي مرضع مهما قويت بنيتها واعتدلت صحتها ، فينطبع بطباعها ، ويتخلق بأخلاقها . وفوق ذلك فانها ـ وإن سهرت عليه ـ مأجورة ، ومرضعة ثمن فلا تقوم مقام أمه ، ولا تلقنه دروس الحنان البنوي ، وبذا تفقد عاطفة الحب لأمه . حيث يرضع صدر الأجنبية فيشب مضطرب الاحساس ، فلا يدري : أهذه أمه ـ وقد تناول ثدييها ، ورضع لبانها ـ أم تلك التي حملته تسعة أشهر وقاست آلام الحمل والوضع ؟ ولكني أعذره في ذلك فقد جفته أمه لجفاها ، وأطعمته ظئر فمال إليها .

يجب ألا تلقي به بين يدي الخادم فتقدمه فريسة لها بيدها تنشب مخالبها في مداركه . وتدس دسائسها في معتقداته لأن الخادم لم تتطوع لخدمته حباً فيه ، ولا شغفاً باصلاحه . بل رغبة في كثير من المال تتقاضاه ، وقلما تستطيع أن تدرك معنى التربية ، أو تذوق طعم

لأدب . فتسترضيه إذا غضب ولو لغير الحق . وتنهره إذا شاءت ولو بغير سبب . ولا تدرى معنى الذوق . ولا وضع الشيء في محله . ولا الحنو الصحيح . ولا الشفقة الخالصة . إن هذه الشفقة وهذا الحنو ثمنهما دراهم معدودة تتقاضاها في كل شهر . والطفل عندها حنو وإشفاق بقدر هذه الدراهم ، فإذا ما حرمت منها شهراً أو بعض شهر ذهب الحنو والاشفاق . إنما الطفل ينقصه حب الأم وشفقتها وحنوها ، وحب الأب وشفقته وحنوه لكي يعيش ويبقى . فإذا فقدهما عاش نكد العيش منقبض الصدر . فلا يسعد إلا بحبهما وإخلاصهما . وقيامهما بما فرض عليهما من الواجبات ، فليفكر كل منهما في ذلك .

ولتفكر الأم في أن تحنو عليه وتشفق به ، فلا يشغلها عنه شاغل . بل ليكن قبلتها التي تحج إليها وتغنى بها . وأنشودتها التي تتغنى بها ؛ فتكون بذلك قد أدت ما يجب عليها نحو هذا بعملها . بجدها واجتهادها في إنبات ذريتها نباتاً صالحاً حسناً يجيد العمل النافع ، ويكون سببا لرقيه وإعلاء شأنه . وتلك روحها التي تنبعث في خلال جوف طفلها فتصل إلى روحه فتعمل وتعلو : وهذا في مقدورها ؛ فلا تجعله عرضة للأمراض فتتهاون في أمره معتمدة في علاجه على الخرافات العامة . والوصفات الأهلية . منتظرة فائدة هذه أو نتيجة تلك ؛ فليس من أسباب التوكل على الله استعمال شيء في غير محله لا سيما وقد منحنا الله سبحانه وتعالى نعمة الطب .

حب ألا تتركه هدفا لسهام الإهمال فتجعله يلعب في الأزقة والشوارع فيختلط بالسفلة والرعاع ، يتخلق بأخلاقهم ويتطبع بطباعهم ؛ وتنتقل عدواهم إليه فضلا عن تعرضه لحرارة الشمس وقذارة الغبار .

حب أن تكون مثالا حسنا له يقتدى بها في كل حركة وسكون . فإنه كآلة التصوير الشمسية تنطبع في مخيلته كل المرئيات . وترتسم في ذاكرته كل الحركات .

فلا تعتاد الكسل أمامه بترك عملها ، ولا تتلفظ أمامه بالبذاءة وفحش القول ، ولا الغطرسة فتتعالى على أقرانها وتجافى زميلاتها ، ولا الكذب فتستعمل الأيمان في غير الحق ؛ ولا الشدة فتستضعف الصغير . ولا الذل فتخشى الجبار الكبير . ولا الاغتيال فتغتصب شيئا بغير حق ، ولا الدناءة فتمتد عيناها إلى ما يتمتع به غيرها . ولا السفالة فتسعى إلى غير مباح حتى تخرج عن دائرة الشرف والمبدأ .

وبهذه المناسبة أقول : إن كثيراً من الجاهلات يظنن أن الشرف والمبدأ هما في عدم استسلام المرأة للفحشاء فقط ؛ لأنهن لا يعلمن ما هو الشرف بمجمل معناه وفروعه .

الشرف ، هو اختيار الحسن واتباع المشكور ، الشرف هو معرفة الواجبات والقيام بها نحو الأفراد ؛ نحو العائلة ، نحو المجتمع ؛ ونحو كل ما يحيط بالشريف . الشرف هو الشعور ، هو الاحساس ، هو الوجدان . هو الضمير ، هو العطف ، هو التضحية . هو الاخلاص . هو الأمانة ، هو الصدق ؛ هو الطاعة لمن تجب له الطاعة ، هو مشاركة المتألم في آلامه . ومواساة الحزين

في حر[illegible] . هذا شعور [illegible] . وكم من فتاة عفيفة [illegible] بعد زفافها تتكبر على زوجها وعند [illegible] سماحة نفسه [illegible] حبيها قائلة لزوجها : يكفي أني شريفة . يجب أن تقدس لأني شريفة . وكم من عفيفات يملن للرجل . كأنه يجب أن يكون لك امرأة كهذه . لترى كيف حصلت على ما تريد عند ما لا ترى من زوجها اهتماماً بما تطلبه إليه !

فليعلم هؤلاء الجاهلات أن بين المومسات من لم يزلن شريفات في المبادئ، صادقات وفيات، حتى إن بينهن من لا حد من تضحيتها ووفاء بين السيدات الشريفات المصونات(١) .

يجب على الزوجة أن تعود نفسها فضيلة فتعترف بالحق وتؤمن به، والتأني فتتدبر في الأمر [illegible] فيه . والصبر فتتحمل المصيبة بالسكون . والشجاعة الأدبية فتعلن ما تخفي . وإنكار النفس فلا تتحمل [illegible] . والسكينة فتبتعد عن الاشتهار . ويجب عليها مراقبة [illegible] حتى لا يتسرع [illegible] مداراتها . ويتعود رسم خطط تحويه عليها . فإذا رأت منه [illegible] مخفية . وسلكت طرق التوجيه في إصلاحه . ولا تغفل عنه حتى [illegible] عيوبها . وتبتعد بقدر استطاعتها عن الشدة التي لا تستخدمها إلا إذا عيتها الحيل . ومن حسن طرق المراقبة التجربة . [illegible] عن قرب باستخدام من حسنت أخلاقهم وابتعدت عن الرذائل صفاتهم .

واجبات الزوجين :

ولا شك أن الزوج ملقى على عاتقه شطر تلك المسئولية نحو الأسرة . فيجب أن يعاون زوجته بالسهر الدائم على راحة أولادهما حتى يصلوا إلى سن الرجولة . فإذا ما وصلوا [illegible] نصب أعينهما رقيهما ورقي [illegible] ولا [illegible] فإنهما لا يسأمان المعاشرة . ولا يزداد رباطهما على مر الأيام إلا توثقاً . فهما يعملان ويجدان لزيادة نفسيهما وأولادهما صحة وذكاء ومالاً [illegible] . [illegible] الشعور بأن هذه الأشياء تزيد [illegible] يشعر القلب بالسعادة « التي هي نور ينبع من الخير [illegible] السرور . [illegible] هي جوهر يسهل الحصول عليه . ويصعب الاحتفاظ به . التي هي [illegible] كل اسمه مقرون بالحرية . فلا يبحث كثيراً في عشه . التي هي منبع فياض يهبه الله [illegible] . التي هي زهر لطيف سريع الذبول . التي هي حكم العقل على الهوى . التي هي [illegible] الأبدي » .

وليست السعادة في شيء يلقى أو شخص تمتلك بالزواج . بل هي جهد متواصل [illegible] و[illegible] حتى تكون في كهولتنا [illegible] كما في شبابنا . ويكون أولادنا خيراً منا . [illegible] بأننا حلقة في سلسلة تطور البشرية . وبما عشنا غير راكدين كماء البركة الآسن بل [illegible] حركة دائمة للرقي المطرد ؟

مصطفى جاد أبو العلا
دبلوم دار العلوم

---

(١) أسرف الكاتب في هذه العبارة وله رأيه ، ننشره على علاته عملا بحرية الرأي .

أدب الأمل والقوة والجمال

لا يزال قادة الأمم يعملون بكل ما أوتوا من حزم وعزم على إنهاض النفوس وملئها بحب [illegible] للثمر والإقدام والمثابرة، عالمين أن كل تقدم أو رقي لا يستمد وسائله وأسبابه من [illegible] الأمة سوف ينهار لدى أول عاصفة تلقاه، وأن كل نهوض لا تغذيه همم قوية وعزمات [illegible] متمكنة من الأفئدة سوف يبيد وتمحوه مر الأيام. وهم لذلك يبذلون جهدهم في غرس [illegible] والمثل العليا في النفوس لتسير قدماً إلى الأمام، ولا يزال الأديب يملك تلك القوة الكبرى [illegible] يستطيع بها أن يوجه الأهواء إلى ما يريد ويسير بالرغبات إلى حيث يشاء. فللأدب تأثير [illegible] وسلطان قوي على القلوب والأفئدة، تملك عنانها ويهديها. وقد تحدثنا في كلمة سالفة [illegible] تأثير شعر الزهد والتشاؤم (1)، وأهبنا بالمربين والنشء أن يعرضوا عنهما الإعراض كله. [illegible] يعود جل ما نشاهده في الشرق من تلك النظرة السوداوية، وهذا الخمول والكسل [illegible] لحو ويحول دون الإقدام. واليوم نتقدم بحديث آخر عن هذا اللون الجديد من [illegible]، هذا اللون الذي نحن في حاجة قصوى إليه، نستمد منه وسائل النهضة ونستلهمه [illegible] روح الجد والمثابرة ونسترشد به في الحياة ونعمل بهديه. وذلك اللون هو المفعم بالقوة المليء [illegible]. وكفانا ما أضعناه من أيام غالية عزيزة في دراسة تلك الآداب الميتة البالية التي تقتلنا [illegible] علا ناحوراً وضعفاً، إذ يرى الناشيء أول ما يرى ويسمع أول ما يسمع سخطاً على الوجود [illegible] تبرماً. فينشأ هو الآخر متأثراً بذلك كله، ناقماً على الحياة والأحياء، فلا يلبث أن [illegible] هذا الأثر في قلبه وينتج أسوأ النتائج. ولا يلبث أن يلقي بسلاحه في ميدان الجهاد المليء [illegible] والزحام. فإذا رمنا الرقي والنهوض فعلى قادة النهضة من كتاب ومربين أن ينزعوا [illegible] روح من نفوسهم، ويضعوا عوضاً منها تربية جديدة وأدباً جديداً.

[illegible] عن الناهضين في كل أمة وعن النابغين الذين حفظ التاريخ ذكراهم وأبقى عليها، [illegible] لهم أن أولئك الخالدين على مر الزمان لم ينالوا الخلود وهم كسالى نائمون، أو ضعاف [illegible]. بل رسموا لأنفسهم مثلاً عليا وجدوا في السير إليها من غير أن يلحقهم توان أو فتور، [illegible] عن الآمال الواسعة وكيف يمكن نيلها إن قويت همتنا ولم نيأس لدى الصعاب والعقبات، [illegible] نصب أعينهم أن سعادة المرء في الحياة منوطة بمقدار ما يبذله من جهد، وما يقوم [illegible] من عمل وجهاد. ذاكرين لهم أن الحظ لا يأتي عفواً، ولا يصيب إلا كل مثابر صبور.

(1) راجع «المعرفة» عدد يوليو سنة ١٩٣٢.

وما دمنا نبث فى أذهانهم ونلقى فى أفئدتهم أن المجد لا ينال من طرق الخيال أو مجرد الأمانى، بل بالتمنى المصحوب بالعمل والأمل المقرون بالمثابرة . فإنهم سوف يواجهون الحياة بثغور باسمة وآمال شهية وقلوب قوية وهمة متحفزة .

إن أدب الآمال هو هذا الأدب المشرق بالنور الصاخب أمام الصعاب هادىء بكل عنفه. ولعل الأمل طبيعة فى النفس الانسانية ، فهى تأمل ولكنها قل أن تعمل . ولقد فرق بعض الناس بعضاً بمقدار ما يبذله أحدهما من عمل فى سبيل نيل أمله . فليضع المفكرون نصب أعينهم أنا نقصد إلى الأدب الملىء بالتحفز والنشاط ولا نرمى إلى أدب خيالى وهمى يحلق بنشء فى سماء الأحلام ، ويتخطى سياج الحقائق والواقع . إلى حيث نعيش فى جو سحرى خلاب . ولكننا ندعو إلى خلق أدب تتضافر فيه كل وسائل الحياة من آمال بعيدة وأمان كبيرة ... لذتها فى تحدى الصعاب حين تعترضها ، وتخطى العقبات التى فى طريقها .

ويتصل بأدب الآمال اتصالا وثيقاً أدب القوة، ونقصد بالقوة هنا ألا يستسلم المرء لحكم الواقع إلا بعد أن تنفد كل وسيلة لاصلاحه وتحسينه . فإن كثيراً مما نشاهده فى حياتنا ... من تأخر وحبوط يرجع إلى رضى المرء بما هو فيه، واستسلامه إلى الحالة التى رأى نفسه ... غير مكلف نفسه مؤونة الجهاد والكفاح. وبذل قواه فى بين ذرى السعادة والرقى . ... من غير ريب نتيجة روح الزهد التى غمرت الشرقى وأرضته بالقليل . فأدب القوة ... إبادة تلك الروح التى ما أنتجت إلا شراً ، ولا أفادت إلا أذى وضراً . كما أننا نعنى ... هنا احتقار الضعف بكل معانيه . وكفانا ما مضى من ركون نام إلى ظلام الضعف ... فالعصر يصيح بالقوة ولا يستطيع أن يسمع لغير لسانها ، أو يطيع إلا ما توحى به ... بل إن الطبيعة ذاتها تتبع هذا القانون فلا تبقى إلا على الأصلح الأقوى. وتبيد كل من ... حظ من قوة تحفظه وسط تيارها المتدفق محتاج . فعلينا أن نسجح ... فى آدابنا ... ولنثق دائماً بأن كل أدب خال من روح القوة فهو أدب فان لا يستحق البقاء . فلنردد ... قول المتنبى شاعر القوة والآمال الكبيرة :

ذرينى أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين إدراك المعالى رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وقوله :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

وقوله :

يهون على مثلى إذا رام حاجة وقوع العوالى دونها والقواضب

وقوله :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم

وليدع كل أدب يحقر تلك الروح أو يغمطها داعيا إلى الكسل والخمول .

ولنتحدث قليلا عن أدب الجمال . ويكاد يكون هذا الأدب مفقودا فى آدابنا المصرية . وإذا نسينا بعضا من شعر الغزل واستثنينا شاعراً أو اثنين تحدثا إلينا عن جمال الطبيعة . فلن نعثر بعد ذلك إلا على القليل ... والأديب حين يحدثنا عن الجمال يلمس فيه لباب الحياة وسر الوجود . فالجمال هو المثل الأعلى لما أبدعته الطبيعة فى صفحة الكون . فإذا حدثنا الأدب عنه أنصتنا إلى تغريد الطيور . وهدير الحمام . وسجع البلابل . وغناء الكروان . ونرى بهجة الرياض الناضرة . وفيها الأغصان معتنقة متشابكة . والزهور تتوجها . والورد يبيح عبير فى كمائمه . ونبصر الشمس فى موكب جلالها مشرقة على الكون تهبه الحياة والنشاط . ونحس منظرها فى الشروق والغروب . وعمق أثرها فى النفس الرقيقة الحساسة ؛ ويصور لنا الليل بين نجومه الساهرة . وقمره الهادئ الوديع . يبعث فى النفس الرضى والاطمئنان .

ونحن لا نريد أن نسمع من الأديب وصفا حسيا تمده الآذان والعيون من غير أن يكون للنفس فيه حظ جزيل ؛ ولكننا نريد أن يتبع الأديب الطبيعة والواقع ؛ فنطلب إليه أن يصف ما يراه بعينيه ويحسه بقلبه . فالمرء حين يرى شروق الشمس مثلا يلذ لعينيه هذا المنظر ، وتبعث فيه إحساسات شتى تختلط بقلبه ووجدانه ؛ ومن الغريب أن بيئتنا وطبيعة أرضنا تغرى بأن توحى إلينا أسمى معانى الجمال وأدق آياته . ولكننا نجد قصوراً واضحا فى أدبنا نحو تلك الناحية الخصبة . ولا أدرى لذلك سببا إلا أنه جمود العاطفة التى لم تمتد فى طفولتها إلى هذا النوع من الجمال . ولكم نعجب حين نسمع شعر الغزل الذى يعتبر – بحق – روحياً أكثر منه حسياً ؛ فنرى الشاعر لا يحدثنا عن عواطفه وإحساسه ؛ ولكنه يمضى فيحدثنا عن محسوساته فحسب ، من غير أن يعرض للعاطفة أو يتكلم عنها . ولسنا نلومه على أوصافه الحسية . ولكنا نلومه على توجيه كل عنايته لهذا الضرب من الوصف .

إن الأدب المملوء بالجمال يبعث فى النفس قوة وحباً للحياة وابتساما لكل ما فيها من سمو وجمال . ولا يزال النجاح موقوفاً على تلك الذخيرة من السرور بالعمل والابتهاج للكفاح . ولن تجد نبوغا إلا وهو ثمرة شهية لحب الجهاد والانتاج . ولو أضفنا إلى ذلك ما يسديه أدب الجمال إلى النفوس اليائسة من سكون وطمأنينة وشغف جديد بما فى الوجود من بهجة وجلال — علمنا مقدار الأثر الكبير الذى يخلقه فى النفوس هذا النوع من الأدب وما تملأ به النفس من سرور واطمئنان ؛ وعلمنا أنه سيثير البائس الحزين يطيح ببؤسه وحزنه . وحديث الشعر عما فى الكون . الساخط على القدر يزيل عنه تبرمه وسخطه . وهو فوق ذلك أكبر باعث على نيل المجد والفلاح .

لا يستجيب الشعراء والكتاب لتلك الدعوة، فيقبلون على نسج ألوان جديدة هي في الحق خير ذخيرة يقدمونها لأمتهم المتطلعة إلى أمل متحفزة للوثوب؟ ولكن هذه الجرأة [illegible] في شغل عن تلك الألوان المشرقة المضيئة. لأنهم يطلعون باحثين دائماً عن أدب الزهد والتشاؤم يملأون به آذان شبابنا حتى قعدت بهم الهمم دون بلوغ الغايات ونيل المآرب [illegible] أن يسمعوا ما في الحياة من شقاء وخيبة آمال، حتى ليخيل إليهم أن كل ما في الوجود خيبة وشقاء. وإن أنس فلن أنسى حديثاً كتبه المرحوم الأستاذ «السباعي» في صفحات [illegible] يقول فيه: «ما افترق صديقان ثم اجتمعا بعد الافتراق إلا تحدثا عما لاقياه في حياتهما من صدمات وعقبات. وحبوط وإخفاق» فعجبت لهذا اللون الباهت من الأدب ينشره [illegible] الجمهور، ليغرس فيهم روح اليأس والخمول. وكم أخذ من المرارة والغصاصة لدى [illegible] الكلمة الأليمة التي كان أولى بصاحبها وأجدر أن يجعلها في صدره. لا يبوح بها [illegible] ومن الخير له ولمنه أن يترك الحديث عن النجاح والحبوط لأولئك الذين هم [illegible] ما يترفعون به عن التحدث بمثل هذا.

فرحمة بالشباب. لا تقوموا سداً بينه وبين آماله وجهوده، بما تبثونه في [illegible] من كسل وخمول. ورحمة بالنشء حين تخدعونه لا يرى الحياة إلا معيشة مخيفة. ومن [illegible] يحسب نفسه داعياً إلى المثل العليا أن يحدثنا دائماً بلسان القوة والعمل. فإذا [illegible] عما سنبلغه من رفعة ورقي. وعما سيصيبه الوطن من تقدم وعمران، فهيا يا دعاة [illegible] الطرق السديدة الناجحة، فالتربية الصحيحة المستمدة من الأدب الحي خير غذاء للنشء [illegible] وحسبنا ما قضيناه من أيام طويلة في الزهد والتشاؤم!

أحمد أحمد بدوي

أزمـــــــــة

بقلم لطفي عثمان

أحس إبراهيم بضيق شديد عندما استيقظ من النوم في صباح أحد أيام الصيف . ونظر حوله في الغرفة فألفى كل شيء في مكانه لم يتغير «بالله كيف قضيت ليلة أمس ؟ !» هاجس نفسه وهو ينزع رباط عنقه . ثم نظر إلى قدميه قائلا : «لقد نمت بالحذاء أيضاً ؟» وضحك ضحكة عصبية ، وبعد أن تم خلع ملابسه وجد أنه بدرت منه التفاتة إلى النافذة فرأى أشعة الشمس دخلتها وسقطت على الحائط المقابل لها . فعلم أن النهار قد طلع وإن كان لم يعرف الوقت بالضبط . إذ لم يكن يملك ساعة . «هذا غير مهم بالنسبة لي . فليس هناك ما يضطرني لشراء ساعة . .» ثم فرك عينيه وقفز من فراشه فأحس دواراً شديداً وصداعاً مؤلماً . فتمطى في فتور ويأس . ونفض عمته لمديدة وأشعل سيجارة . ثم خرج إلى سطح المنزل يستنشق هواء الصبح . وأخذ ينظر إلى الفضاء الواسع بعينيه السوداوين الجميلتين .

سكن إبراهيم هذه الغرفة منذ تسعة شهور . وهي غرفة صغيرة واطئة السقف . ليس بها سوى نافذة واحدة صغيرة مستطيلة لا يزيد عرضها عن متر . مرتفعة قليلا عن الأرض بقضبان من حديد بعضها غير مستقيم . وطليت جوانب الغرفة بطلاء أحمر باهت . جعل منظرها كريهاً يبعث على التقزز والاشمئزاز . ولا توجد في هذه الحجرة أمتعة ذات قيمة . ففي الركن الأيمن جوار الباب الفراش . وهو بلا غطاء ولا ستائر . وأمامه «كنبة» ممزقة قذرة اشتراها حديثاً وإحدى أرجلها مكسورة . وبجوار الفراش خوان عادي غير مدهون «بوية» يستعمله للكتابة بل عليه . وفوقه مصباح صغير يستضيء به . وتلقاء السرير من الناحية الأخرى دولاب قبيح الشكل يضع فيه ملابسه . وعدا هذا وذاك يوجد كرسيان مصنوعان من الخيزران أحدهما لا يصلح بالمرة . والثاني قديم لا لون له ... هذه كل محتويات الغرفة وهي تدل على التعس والفاقة .

انزوى إبراهيم في هذه الغرفة — أو بالأحرى هذا الكهف — منذ شهرين . وانقبض عن المجتمعات . وتجنب مقابلة أصدقائه ، وأحس بغضاً للناس واشمئزازاً من كل شيء يحيط به . وحتى صاحبة المنزل لم يرها منذ يومين فقد هددها بأنه سيبحث عن منزل آخر . ولم يكن

فى حالة تسمح له بتنفيذ تهديده إذ انقطع عن عمله. ولم يكن معه إلا بضع قروش تبلغ الثلاثين أو الأربعين قرشاً .

« ما فائدة كل هذا . ولماذا أعيش ؟ » . ونفخ دخان السيجارة فى الهواء وقال : إن حياة مملة فاترة . ذلك لأن حياتى كلها لم تكن سعيدة هادئة . بل حياة شقاء وشر وانحصار . ولم أعش على النحو الذى يروقنى . وهذا لأنى لم أعرف كيف أعيش . ولا لماذا . أو لمن أعيش ! آه ! إن السآمة مصيبة ، وإذا سئم المرء حياته فلماذا يحتملها ويتشبث بها ؟ إن من الحمق أن يسأل الانسان لماذا يعيش أو لماذا يموت ؟ إذ ما هى الحياة وما هو الموت : ليس فى مقدور أحد أن يعللهما . أو يدرك كنههما ؟ ! من العبث أن يتعب المرء نفسه فى معرفة سر الحياة والموت . على أنه مهما يكن من شىء فالحياة لا تستحق كل هذا الجهد . وهى لا تساوى جناح ذبابة . وما قيمة أن يعظم الشخص ويضخم فى عين نفسه وغيره ثم يصبح لا شىء ! . . . ذرات فى التراب . . جيفة نتنة ! . . . إذن فكل شىء باطل . المال ، والمجد ، والشهرة ، والبطولة . كل هذا كلام فارغ . ما دامت نهايته الموت . وجمود الحركة ، وفناء الجسم . لعمرى كيف غالى الناس فى تقدير الحياة وفرحوا بها وبما فيها من متع ومسرات ومتع . ثم إذا دهمهم الموت تأسوا وأسفوا لخروجهم من الحياة صفر الأيدى . وراحوا يمنون النفس بما ينتظرهم من نعيم خالد . وسعادة أبدية فيما بعد الموت . فى الحياة الثانية . . . الحياة الثانية ! . . . أليس من الخرف أن يفكر المرء فى الحياة الثانية ؟ ! لا لا . . بالموت ينتهى كل شىء . لماذا ؟ لست أدرى . ولكن الذى أدريه هو هذا . وهذه المرأة صاحبة المنزل — يجب أن أتخلص منها ، فقد أصبحت أمقتها . أواه كيف يأتينى الصبر حتى أحتمل سخافتها ومضايقتها ، إنها تهددنى وتصر على امتلاكى إلى النهاية . ولكنى مللتها . ما أبغضها . أرنى لها . لعمرى كيف يمنح الله مثل هذه الأم تلك الفتاة ؟ ! . . نعم بالتأكيد سأترك لها المنزل » . ثم دار بجسمه فوجد نفسه أمام صاحبة المنزل وجهاً لوجه . فأزاحها بيده عن طريقه . ودخل غرفته واستلقى على السرير . وحدق ببصره فى سقف الغرفة . ودخلت المرأة وراءه . وقد قطبت ما بين عينيها وبدا الغضب على وجهها . قائلة : « هل تريد مفارقتى ؟ » فأجابها إبراهيم بفتور : « ولم لا ؟ » ثم استوى جالساً وقال : « اصغى إلى ، إنى لا أحب أن أعيد ما سمعت ما قد قلت . يجب أن أترك المنزل . لم أعد أحتمل مضايقتك . وإنى أقول لك بصراحة إنى مللتك ، سأخرج الآن لأبحث عن غرفة » .

فجلست المرأة على السرير عند قدميه ووضعت يديها فى خاصرتها فوق ردفيها ونظرت إلى الفتى شزراً ، وزمت شفتيها وقالت — وقد جف ريقها من شدة الغضب — : « أنت تعلم ... مبلغ حبى لك . وأنى لا أقوى على مفارقتك . لماذا تهددنى ؟ كيف ضايقتك ؟ ! » فلا ...

...ب واستمر يحدق فى السقف وأحس ميلا إلى تقطيب وجهه . فغاظ صمته المرأة وصاحت ... تحسبنى قطة تلهو بها ! إننى لن أتركك تفلت من يدى هـذه — وهزت قبضة يدها ...وجهه — أيدور بخلدك أن خروجك من المنزل سهل ؟ » فهز إبراهيم كتفيه بهيئة ...موضه وارتسم الغضب على وجهه ، ثم قام إلى المرآة الباهتة ووقف يصلح شعره . وواصلت ... كلام . ولمح الشاب شعرة بيضاء فى رأسه فقال : يا الله ! كيف نبتت هذه الشعرة الممقوتة ، ... ؟ » ، ثم نزعها بقسوة وألقاها على الأرض بحركة عصبية . ودهب إلى النافذة ففتحها ...ن منها فشاهد المروج الخضراء المحيطة بالمنزل . ورأى البنات الفلاحات يبرزون يغنين أغانى ... ر دته وطرب لها . ولـكنه صاح متضايقاً : « وهكذا تنتهى الحياة » . ثم سمع المرأة تقول : ...ك تعبث بى وتخدعنى . ولم تحبنى لحظة واحدة » فولاها ظهره وعاد إلى النافذة ، ...يقول : « ما أسخفها وأغباها ! » . ثم لمح فتاة قروية تسير وحدها . وكانت جميلة . ونهداها ... وق صدرها أثناء سيرها « أى لذة يجدها المرء فى احتضان هذه الفتاة ! » تمتم إبراهيم ...دهش من نفسه . وعادت به الذكرى إلى الريف حيث كان يقيم هناك منذ سبع سنوات ... . أحب فيها فتاة ريفية جميلة هى مثال الأنوثة الكاملة ؛ كانت تذهب لمقابلته فى الغيط ، ...هناك بين أعواد القصب يصطجعان على الأرض ويحتضنها فينتابه إحساس غريب حينما يلاصق صدره نديها البارزين فيحس الدماء تجرى حارة فى عروقه .

و... ته يوماً أنها حملت . وأن الوليد لا شك سيأتى منه جميلا أبيض . فضحك الفتى من قولها ...شاح بوجهه . وحدث مرة أن زوجها كاد يفاجؤها وهى فى أحضان الفتى إبراهيم فى بناء ... به الغيط من الناحية الشرقية أقيم فيه وابور للمياه لرى الغيط حين تقل مياه النهر . وأحسا ...ـ فى نشوة الحب حركة ، ولم يعرف على وجه التحقيق — هل كانت حاسة السمع فيهما قوية ...ظروف التى كانا فيها ، أم أن الصوت كان محسوساً ؟ — وكان زوجها هو القادم ، فقام ...شب وعدا إلى آخر البناء وقفز من الحائط إلى الخلاء ، ودخل الزوج فى تلك اللحظة يحمل ...بندقيته — فتصنعت الفتاة النوم ، ولما هزها بطرف البندقية فتحت عينيها ببطء وبدأ الرعب ... « من هذا ؟ » ، ثم ابتسمت حين رأته زوجها « أهو أنت ؟ لقد أفزعتنى » . وضحكت ... سمعها إبراهيم وهو واقف يراقب . وهكذا لم تقع المأساة . وظن زوجها أنها أتت لتستريح فى ... المكان الهادئ . ثم اضطجع بجانبها وجذبته إلى صدرها . وسمع إبراهيم صوت قبلة فابتسم ... ر سه ومشى ، وشرع يغنى بصوت خافت . وقد بدت عضلاته القوية فى وهج الشمس .

عادت إلى إبراهيم هذه الذكرى عند ما مرت الفتاة الفلاحة أمام منزله ذاهبة إلى الغيط . ...طافت برأسه ذكرى علاقته بابنة صاحبة المنزل ، فقد أحبته منذ سكن هذه الغرفة . ولـكنها ... له بهذا الحب وبذلت جهدها فى إخفائه عنه ؛ ولم يكن إبراهيم يجهل ذلك . وإنما لم

يشأ أن توجد بينهما علاقة حب . لا لسبب . بل لأنه لم يرد أن يشغل نفسه بحب فتاة . ولم يكن يميل إلى الزواج . وكانت الفتاة تجيء اليه في غرفته كل يوم . ثم تجلس على مقربة من سريره . وتظل تحدثه وهي تحدق في وجهه بعينيها النجلاوين : ومن الغريب أن إبراهيم ستطاع أن يكبح جماح نفسه . حتى حين أنه كان يود لو يضم إلى صدره هذا الجسم الممتلىء صحة وشباباً . « لا لا . يجب أن أترفع عن هذا » . كان يردع نفسه كلما خطرت برأسه فكرة تقبيلها ؛ والحقيقة أنه بذل مجهوداً كبيراً دهش له هو نفسه — في ضبط عواطفه . ولكن الفتاة ضاقت ببروده وجمود قلبه . وأحست الخوف من نفسها . وكانت ثمة فكرة تعذبها فهل هو حبيب ؟ وآلمتها هذه . حتى إنها بكت في غرفتها . ولم تعد تدرى أتغضب أم تفرح ؟ وأخيراً ضعفت أمام قوته . ولم تعد تحتمل الكتمان . فاعترفت له بحبها وألقت بجسمها بين أحضانه . وألصقت صدره صدرها المكتنز . وأخذت تجهش بالبكاء ؛ وقد أخفت وجهها بين كفيها . ولم يعد إبراهيم قادراً على ضبط عواطفه وأحس حرارة جسمها فاحتضنها ورفع رأسها وحدق في عينيها النجلاوين وهمس في أذنها « ما أحلاك ! » . ثم قبلها قبلة تنبىء عن جموح عاطفته وحرمانه .

وفي الحق ان إبراهيم كان يشتهي الفتاة منذ رآها . وكان يخدع نفسه حين تظاهر بعدم المبالاة . وأخذ يلتمس المعاذير لنفسه مردداً « وهل كنت أستطيع أن أرفض حبها ؟ وما كان يجب أن أفعل ؟ أردعها أم أشتمها ؟ أيليق هذا ؟ إنها فتاة بديعة فاتنة . وماذا يهمني لو قبلتها حتى ولو أحببتها ؟ » .

إن الفتاة ظلت تجيء اليه في غرفته كلما سمحت لها الفرصة ، وكانت تعجب به وترى في شخصيته شيئاً جديداً بارزاً لم تكن تعهده من قبل . وهي فتاة هادئة الأخلاق . وقد نضجت نضوجاً تاماً وكان يعجبك أن ترى في وجهها الأسمر الهادىء . وعينيها الصافيتين البراقتين ما يكمن قلبها من الأحساسات المختلفة ؛ وفوق هذا فهي فتاة متصفة بصفات حسنة ، وهي من الفتيات — أو جلهن — اللائي يعشن في جو من الخيال ... وقد أعارها ابراهيم بعض الكتب الحديثة فشغفت بقراءتها ; وكانت تشاركه في بعض آرائه وأفكاره وتعارضه في بعضها فيتناقشان ويحتدم الجدل بينهما فتجيء أمها وتجلس قبالة ابنتها وتقول : « إنكم دائماً في شجار . دعوا الجدل والمناقشة؟ » . فيضحك الفتى ويقول : إنها تقول إن ثوبها حديث وأنا أصر على أنه قديم .

أما أمها فهي ضخمة الجسم تجاوزت سن الشباب . ومع ذلك فهي لا تزال تعد من النساء اللواتي تتدفق صحة وشباباً . وإن الناظر اليها لأول وهلة ليلاحظ أنها غير جميلة . ولكن إذا أمعن النظر اليها يجد في وجهها بعض مميزات تجعلها جميلة . ولعل هذه المميزات أثر من آثار جمالها الغابر وكان يضايقها أحياناً بعض شعرات بيضاء في رأسها فيعتريها الحزن والألم قلبها لشبابها الضائع . وتروح في لهجة الأسيف تحدثك عن الذين افتتنوا بها في أيام صباها . وكيف أثرت فيهم

من الاعتراف بأنها امرأة ذكية الفؤاد. وهي من أولئك السيدات اللائي يحرصن على الظهور
[illegible] مستمعات تظهر المرأة محتفظة بكرامتها وعزتها. وعلى العموم فهي امرأة عاقلة تحب
[illegible] وتحرص على سعادتهم وتحب زوجها وتوفق بينهما بهذا الحب. ويخضع لها خضوعا
[illegible]. ولا يجرؤ على مجادلتها في شيء. فهي السكن في السكن بالنسبة للجميع.

[illegible] إبراهيم في حيرة من أمر هذه المرأة. هي تعلم بلا شك أن بيني وبين ابنتها علاقة. فهل
[illegible] عن هذه العلاقة؟! ألم يكن عنده أقل شك في ذلك. وإلا فما كان أمرها بأن تمنع
[illegible] هاب إليه في غرفته. «ولكن ما النتيجة؟ هل تبغى أن تزوج الفتاة؟» يكن
[illegible] خرج بهذا التعليل ولكنه يذكر حديثا عن الزواج. فقد قالت له يوما «لو كنت موظف
في الحكومة لزوجتك سعاد»، فينفي عن خاطره هذه الفكرة..

[illegible] للاحظ أن صاحبة المنزل كانت تهتم بإبراهيم اهتماما فائقا. وتعنى بشئونه الخاصة.
[illegible] مرة فقضى أسبوعا كاملا ساهرة على خدمته وتمريضه حتى شفي تماما. ولشد ما كان
[illegible] منها هذا الاهتمام. إنه ليس طفلا وليس في حاجة إلى عطف أحد. أو لم يقاطع
[illegible] أبي حنانها وشفقتها... فماذا إذن يحتمل الآن صاحبة المنزل؟ ولماذا تتعب نفسها
[illegible]؟!...

[illegible] برأسه بغتة خاطر غريب وسأل نفسه «هل هي تحبني؟». ولكنه لم يلبث أن
[illegible] الخاطر من رأسه وقال «لو كانت تحبني فماذا تظهر بهيئة المرأة الشريفة؟».

[illegible] إبراهيم في فهم كنه هذه المرأة وغمضه ولم يستطع تحليل نفسها وتساءل وقد ضايقه
[illegible] ما كنه هذه المرأة ومن أي نوع هي؟...»

[illegible] إلى المنزل ليلة فرآها واقفة على رأس السلم فابتسمت مجيبة ورد تحيتها وهم بالذهاب
[illegible] فنادته «تعال. لكن سهرت معنا». فأجابها: «حسنا! ماذا أعددت؟» ودخل
[illegible] مبتسما وأخذته إلى «الفراندة» فألفاها قد نصبت خوانا كبيرا ووجد أطباق الحلوى
[illegible] والفاكهة واللحم وزجاجات الخمر وجلس حولها أولادها الثلاثة فبدرت منه آهة دهشة. وقال
[illegible]؟ أوليمة عرس؟!» ثم خاطب نفسه متحيرا «ترى ما معنى هذا. ولماذا لم تدع
الأولاد يسمرون؟» وأخذ مجلسه بالقرب من المرأة فابتسمت وقالت «إنك ضيف عزيز»
[illegible] شرب الاثنان زجاجتين من النبيذ. وأكل الأولاد بعض الحلوى والفاكهة. ثم لم يلبث
[illegible] سمرهم وقفا أثره أخوه الأكبر. وبقيت سعاد فأخذوا يسمرون حتى انتصف الليل؛
[illegible] النيل رائع الجمال والهواء مترددا قليلا. والقمر مرسلا نوره الفضي الجميل. فبدا منظر
[illegible] يغمرها ضوء القمر والحديقة والفضاء الواسع فاتنا بديعا. وكان السكون مخيما إلا من
[illegible] الليل الغريبة المبهمة وصوت الجوال يتردد من حين لحين؛ وكانت فراشة كبيرة من

الحديقة وظلت تحوم حول النور المضاء فى الفراندة . وتصطدم رأسها بالحائط فلا تلبث أن تعود إلى النور . فحدق إبراهيم بعينيه إلى الفراشة وقال بحزن : « وهكذا نحن كالفراشة نحوم حول الحياة فإذا رغبنا فى الابتعاد عنها تجذبنا إليها قوة خفية . . » . واقترحت سعاد « إطفاء النور » . فقال إبراهيم « لو أطفأنا النور لاختفت الفراشة وغاصت فى أعماق الظلام ولن تعود ثانيا . وكذلك الحياة إذا انطفأت خضعنا فى أعماق العدم ثم لا نعود ثانيا . . » فقالت [illegible] متحدية إبراهيم : « ولكن لماذا نطفئ حياتنا بأيدينا ؟ أليس هذا ظلما شنيعا ؟ ! » فأطرق [illegible] وقال : « لماذا يكون ظلما ؟ إذا مل المرء النور فماذا يمنعه من فصله ؟ ! » فأجابت « ليس ثمة شئ يدعو إلى الملل » . فنظر إبراهيم إلى عينيها ولاحظ لأول مرة أن فى عينيها سحراً فاتناً وأحس قوة تجذبه إليها وأيقن أن هذه الفتاة ليست شقية وأن القدر لا يسعه إلا أن يمنحها السعادة . ثم [illegible] النور واختفى القمر وراء سحابة كثيفة فبدا الليل أشد ما يكون جهامة ووحشة . وبرزت النجوم وكان بعضها خابيا وبعضها يتوهج نوراً وتألقاً . وأخذت المرأة تمرح مع إبراهيم بكيفية [illegible] شكوكه نحوها مرة أخرى . وكانت سكرى بحسب الظاهر . وقال إبراهيم لنفسه « يجب أن [illegible] لنفسى . لن أترك لها أى فرصة . وسأحتفظ بقواى العقلية وبوعيى . . . » . وكانت المرأة تتكلم كثيراً فى أشياء تافهة وتأتى بحركات سخيفة وتحرك يدها بهيئة مخصوصة فأحس [illegible] الغيظ واعترته السآمة والضجر . ولم يدر لذلك سبباً . وعزم على القيام فسألته المرأة [illegible] أن تنام هنا ؟ » فأجابها وهو يتظاهر بالسكر « لا ! يجب أن أنام فى غرفتى » وانجابت [illegible] فى تلك اللحظة فسطع القمر مرة أخرى أشد ما يكون وضاءة وجلالا . فقام إبراهيم [illegible] فى مشيته . والحقيقة أنه شرب كثيراً . وشعر بترنح فى مفاصله . وخور فى عضلاته . . [illegible] بذل مجهوداً كبيراً لكى يحفظ توازنه .

ودخل إبراهيم غرفته وألقى بجسمه على السرير . وتبعته المرأة بعد قليل ، وجلست على « الكنبة » . فقام إبراهيم وجلس بجانبها . وأسندت رأسها إلى الوراء . وأغمضت [illegible] فبدت جميلة فاتنة . واحمرت وجنتاها من تأثير الخمر فلم يملك الشاب نفسه ومال نحوها [illegible] وقبل شفتيها . فأتت بحركة كأنها لا تدرك ما يحدث . وحدقت فى عينيه البراقتين . ثم احتضنته وقبلته وتمتمت « ما أبهاك ! » فضمها إلى صدره وأطال التصاقه بها وشعرت أنها تريد التملص من بين ذراعيه . وأخيراً سقطت على « الكنبة » . وزاد الفتى الضغط على جسمها فتراخت [illegible] وهمست تقول : « اتركنى ربك ! ماذا ؟ ماذا تريد ؟ » وأحست حرارة جسمه ف[illegible] نفسها لرغبته . . .

كان السكون حولهما عميقا والجو معتدلا . وقد اضطجعا على « الكنبة » . وهى [illegible] عارية ، ومضت فترة طويلة . ثم بزغ الفجر وارتفعت أغاريد العصافير . وعلا صوت [illegible] فقامت المرأة وأصلحت ثيابها وشعرها وقبلته . ثم غادرت الغرفة مسرعة . .

***

ـرك إبراهيم أن المرأة كانت تشتهيه وتريده لنفسها . وهي تعلم أنه شخص مهول ضجر ؛
ـدف أن يتضايق ويفلت من يدها . ولذا تركته يلهو بالفتاة . ولم تترفع عن اللعب بعواطف
ـتهاى سبيل تحقيق غرضها . وهي امرأة ماكرة لم تشأ أن ينالها بمحض رغبتها . وفضلت أن
ـعتقد أنه نالها اغتصاباً وهي سكرى لا تعي شيئاً مما يحدث . وصيرته كطفل لا يفهم كيف
ـن يعز . وقال لنفسه « ما أشد دهاء هذه المرأة ! إنها شخصية عجيبة مضحكة » لم أر مثلها
ـها ولكنه مع ذلك لم يسعه إلا الغضب والاشمئزاز .

وفكر في سعاد « ماذا صنع بها ؟ أعني زوجها !! » إنه يرى أن الزواج أمر مبتذل شنيع .
وكيف يستطيع من كان مثله معكر المزاج أن يحتمل الحياة الزوجية وكل ما فيها من نوع
ـميات . كلا ! إن هذا مستحيل . أتزوج وأكون رب أسرة ؟ هـذا جنون . ولماذا
ـفي على نفسي ؟ ! قال ذلك متشنجاً وساوره حزن عميق . ومن الغريب أنه في هذه اللحظة
ـس مقتاً شديداً نحو صاحبة المنزل وود لو يصفعها ويبصق في وجهها إمعاناً لاحتقاره لها .
ـستحسن هذه الفكرة . حتى إنه صمم على تنفيذها بيد أنه لم يرتكب هذه الحماقة . .

لم يكن التغيير الذي طرأ على أطوار إبراهيم وأخلاقه نتيجة مصيبة أو نكبة نزلت به .
ولكنه لأن آراءه تغيرت في الحياة وفي الناس . وفي المرأة وفي كل شيء في الأعوام الثلاثة
الأخيرة . كره الحياة . وأصبح يراها تافهة ضئيلة لا تستحق مجرد التفكير فيها . ونشأت
في نفسه في المدة الأخيرة فكرة . وصمم على تنفيذها وإن كان لا يجرؤ على تصورها ويراها
كأنها مستحيلة التنفيذ . ومن الغريب في أمره أنه — برغم بغضه للحياة وآلامه النفسية
كان حاول أن يبعد هذه الفكرة عن رأسه . وأن يخدع نفسه بأنه سعيد مغتبط بحياته

لم تكن حياته تسير على وتيرة واحدة . فأحياناً يكون حزيناً منقبض الصدر . ويدور
في وهمه أن الناس أعداؤه وأنهم يتآمرون عليه . ويخالجه خوف مبهم ويزيده ثقل إحساسه
بمستقبله والطريقة التي يعيش بها اكتئاباً وهماً . ويشعر بملل الحياة وخلوها من بواعث السرور
والحبور . فيأخذه القلق أينما أخذ ويثور غضبه لأقل شيء ويصبح لا يطيق النظر أو التحدث
إلى أحد . ويجنح إلى العزلة والانفراد بنفسه في غرفته . وأحياناً يكون فرحاً جذلاً متفائلاً
مستبشراً مغتبطاً بحياته وبكل ما يحيط به . ويخطر في رأسه عدة مشروعات جليلة سوف تدر
عليه ربحاً كبيراً . وأحياناً يصبح شخصاً هادئاً يتقبل الحياة كما هي غير مكترث لشيء . لا يفرح
ـداً . ولا يألم لشر ، ولا يغضب ، ولا يثور . وينظر إلى الحياة نظرة المستهتر الهازيء المقتنع
بأن كل شيء في الدنيا باطل . مآله الفناء والعدم . وما دام المرء له عمر محدود فلم لا يستمتع
بملذات الحياة ومناعمها بقدر ما يستطيع ؟ ومن الغريب أنه لم يكن يتصور لحظة — بالرغم

من كل هذه الحالات العصبية المختلفة والاحساسات المتناقضة [illegible] بدنه وشعوره [illegible]
مركزه — أنه مريض، وأصاب عقله. بل كان يعزو هذه الخلال الى شدة بؤسه و[illegible]

لهذا آثر ابراهيم الوحدة وانزوى في هذه الغرفة الحقيرة في [illegible] لم [illegible] الى [illegible]
والحديقة الموحشة [illegible] الى آخر [illegible]، وليس فيها سوى بعض شجر التين والزيتون و[illegible]
القرنفل وكرمة عنب لا تثمر إلا الحصرم [illegible] ولم يعد يقابل أحداً من [illegible]
حتى صديقه القديم فؤاداً الذي خصص له الحب والصداقة والوفاء. وكان يفهمه ويتألم لحالته [illegible]
ولما رآه يتحاشاه ويتجنب مقابلته تركه ولم يشأ مضايقته.

وبلغ الملل والضجر بابراهيم مبلغاً كبيراً، وبدت له الحياة حقيرة وضيعة، وعجز [illegible]
[illegible] احتمالها وساءت نظرته للناس، وساء ظنه بكل شيء. وضعف عليه [illegible]
شوش فكره وزادت نفسه اسوداداً. وانحبس من قلبه عاطفة الانسانية وتجرد من كل [illegible]
وحب وضعف إيمانه بالله، وكان يعيش بكامل حريته [illegible]. ويعتقد أنه شخص [illegible]
شخص كامل لا يتقيد بما يتقيد به الناس. ويسخر من المعتقدات الدينية والمثل العليا [illegible]
الناس في الأديان، وخاطب نفسه:

«ما أحقر كل هذا. هل في الدنيا خير وشر، وفضيلة ورذيلة؟ [illegible] إن مقياس [illegible]
والشر والفضيلة والرذيلة كمقياس [illegible] [illegible] قبيحة [illegible]
الأعمى للجمال: إن هذا واضح، ومن [illegible] خبيث لا [illegible] إلى نفسه [illegible]
الخير والشر والفضيلة والرذيلة. ولكن لماذا تقيد الناس [illegible] وآرائهم و[illegible]
من الضروري أن ما يعتبره الناس [illegible] أن [illegible]؟ [illegible]
والشر، و[illegible] ما أحبه [illegible] كونه خيراً أو شراً. أليس هذا مضحكاً. [illegible]
هكذا؟!». وخطر له [illegible] خاطر [illegible] أفلا [illegible]؟ لم يهتد [illegible]
نفسه المعذبة وآلمه هذا [illegible]. لماذا أفكر في هذه الأشياء التافهة؟ يجب أن [illegible]
هذا، وعذبته فكرة الجنون عذاباً مراً [illegible]. ثم صاح [illegible]

«يجب ألا أعتمد إلا على نفسي. إن الحياة [illegible] وكفاح. و[illegible] لمن يعمل [illegible]
في الميدان [illegible] القوي. ومن ثم يداس بالأقدام. وهكذا تنتهي حياته المرء [illegible]
في هاوية العدم، [illegible] أن هناك حياة أخرى. وهناك قصاص [illegible] هذا، و[illegible]
تحميه الآلهة من تعذيب [illegible] ارتكبوا [illegible] عاشوا [illegible]؟ [illegible]
كذلك أن العالم [illegible]. و[illegible] على الأرض. و[illegible]
لا ريب فيها. فهل تبقى الآلهة بلا عمل؟ [illegible] أن [illegible] دنيا جديدة في [illegible]
وبطريقة مبتكرة. فتطلع الشمس مثلاً من الغرب وتغرب في الشرق. و[illegible] و[illegible]

الناس ويمشي الإنسان على أربع والحيوان على اثنين . ويكون [illegible] يحبون و[illegible] أنت [illegible] تودي بحرالك ؟ لعمري لست أرى كل هذا إلا سخفا و[illegible] ما [illegible] الدنيا شيء كما هي الآن . يموت الناس و[illegible] يحيون . وأما [illegible] تبقى وحينئذ [illegible] كل شيء . ولا تقوم لها قائمة . . »

[illegible] ابراهيم إلى وجومه وتفكيره . وغرق في بحار من التأملات . وجعل [illegible] في الغرفة جيئة وذهوبا ويداه مشبكتان وراء ظهره [illegible] أدار [illegible] نحو [illegible] النافذة [illegible] نفسه وفتح [illegible] الكبير . وابتسم ابتسامة مرة [illegible] مرت [illegible] وحزينة . ووقع [illegible] مرة ومرتين على المرأة [illegible] صاحبة المنزل — فلاحظ أنها تتبع حركاته [illegible] . ثم يكترث لها ، وعاد يطل من النافذة .

[illegible] يستطع ابراهيم إدراك علة آلامه وهمومه . ولم يكن لها في الحقيقة سبب [illegible] وحس [illegible] الألم [illegible] تصوره أنه شخص تافه لا [illegible] في وجوده بالمرة . وشعر [illegible] مرة [illegible] إلى أمه التي قاطعها منذ عام . وتاق إلى رؤيتها و[illegible] بين أحضانها . كما كان يفعل وهو [illegible] . وملأه هذا الإحساس الرقيق شعورا بالرضى والارتياح . وبدا في عينيه [illegible] [illegible] لطيف [illegible] وجهه الأبيض وصفاءه . وارتعشت شفته [illegible] قليلا . و[illegible] على [illegible] [illegible] هادئة صادقة . وخيل [illegible] فاتحة ذراعيها كأنها تقول : تعال يا بني [illegible] [illegible] هذه الدنيا صدر ترتمي عليه في ساعة محنتك وآلامك [illegible] صدري . فتعال [illegible] معا [illegible] [illegible] يسود بيننا وكن شفيقا بي كما كنت [illegible] طفل ساذج .

[illegible] وجه ابراهيم [illegible] [illegible] في خاطره وفكر في الذهاب إليها . وكان [illegible] رقيق [illegible] . دقيق الحس . نبيل العواطف . وكانت أمه ترى فيه — منذ طفولته — شخصا غريبا . [illegible] قاطعها وذهب يعيش وحده آلمها ذلك في بادىء الأمر . ولكنها لم [illegible] تضايقه . [illegible] إحساس غريب بأن ابنها جدير بالإشفاق عليه بالنظر إلى حالته و[illegible] [illegible] بحكم البيئة التي نشأت فيها — تقائص لا يحس بالرضى [illegible] . وكان [illegible] [illegible] وينغص عيشها ضعف إيمانه بالله . و[illegible] كان [illegible] كانت تبذل جهدها في [illegible] الصلاة والصوم وقراءة القرآن . فكان يتظاهر [illegible] . بالصوم [illegible] كل [illegible] . أما الصلاة فكانت من أشق الأمور عليه . وكان يتكلفها . وأحيانا يصلي دون [illegible] . أو يقرأ شيئا . ويهمهم بصوت خافت كأنه يقرأ . ويرفع صوته [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم . [illegible] لا تسمع والدته شيئا بعد ذلك . [illegible] القرآن فكان [illegible] له قراءته . وأحيانا [illegible] في الفجر ويجلس ليقرأ سورة « الكهف » ويفعل ذلك دون [illegible] . [illegible] [illegible] ويداخلها الفرح . ثم تقوم وتتوضأ وتدعو الله [illegible] ابنها من [illegible]

فيغتبط ابراهيم ، لا لأنها دعت له . ولكن لأنه فعل شيئا راقها وأعجبها .

ولما كبر ترك الصلاة والصوم واستكان إلى التصنع والتظاهر بالايمان ، ورأى أن كل هذا محض هراء لا طائل تحته .

ذكر ابراهيم كل هذا فضحك ساخراً من أعماق قلبه واستحسن فكرة الذهاب إلى مه وعاوده الاكتئاب فقال : « لماذا أنا حزين مكروب ؟ إنني لا أزال في بداءة العمر ومبعه الشباب ، وأمامي الحياة قوية زاخرة ، وضوء الشمس ونجوم الليل الوضاءة.وكل ما في حيه من مباهج ومسرات تثير في النفس اللذة والحب ، وعدا هذا فهنا أم وابنتها تحباني فضلا عن بعض فتيات حقيرات عرفتهن في الطريق . فماذا طرأ على وغير حياتي وجعلها قاتمة سوداء ؟! » .

مرت كل هذه الأفكار بخاطر ابراهيم في سرعة، وأخيراً مل التطلع من النافذة وأخذ منه التعب مأخذاً كبيراً وأحس كرباً شديداً فعاد إلى حيث كانت المرأة جالسة فهالها شحوب وجهه وسألته « ما بك ؟ » فلم يجب واستلقى على فراشه وأدار وجهه إلى الحائط فاستقر بصره على ورقة حمراء بها بعض رسوم فأخذ يتأملها . وساد في الغرفة سكون ممل . ولم تجد المرأة موضوعاً تتكلم فيه فعولت على الانصراف وقالت وهي تغادر الغرفة « سأعود بعد قليل » .

ومضت فترة قصيرة ، ثم سمع نقراً على الباب ، وفتح الباب بهدوء ودخلت فريدة الخادمة قائلة : « لا تزال نائماً ؟ فهاهي الساعة قد بلغت الحادية عشرة . ما هذا ؟ أليس لك عمل ؟ لقد أحضرت لك الشاي وقطعة من الجبن ورغيفاً . هل تأكل ؟! » .

فدفع ابراهيم الطعام بيده ولم يحس ميلا للأكل مع أنه لم يأكل منذ البارحة وعافت نفسه حتى إلى الطعام .

« ضعيه على المائدة » قال ذلك بصوت هادىء . وهو يحدق في عيني الخادمة الغريبة التي أرعبتها . وقد علم عنها أنها ابنة ضابط كبير أحبت فتى وعدها بالزواج . وقد حملت منه ووضعت طفلا وخشيت الفضيحة فألقته في مرحاض ، ولكن الجريمة اكتشفت وقبض عليها وزج بها في السجن ، ولما خرجت تنكرها أهلها وهجرها الفتى فاشتغلت في هذا المنزل . وهي فتاة طيبة بلهاء يخالها المرء أنها أصغر من سنها إذ لم تكن قد بلغت التاسعة عشرة . وكانت تبدو طفلة صغيرة ، دقيقة الأنف مستطيلة الذقن منفرجة الأسنان قليلا . في خدها الأيمن أثر جرح قديم ، نحيفة جداً . وفي عينيها الصافيتين بريق ينبىء عن سذاجتها وطهارة سريرتها ، وعلى العموم فلا يقال عنها جميلة .

« هذه الفتاة ليست أسعد مني . وقد خدعها رجل نذل وغدر بها ، ثم تركها ولم يبال بالدموع التي سكبتها حين فقدت طهارتها . إن هؤلاء الرجال من أحط أنواع الأنذال في الدنيا .

وحدج الفتاة بنظره متألماً . وقد أدركه شعور شديد لم يدر سببه . وقال لنفسه : إن هذه الفتاة ليس لها من الدعارة . فماذا تنتظر ؟ ! » وسألها فجأة « لماذا تعيشين ؟ إنك لم تنالى من الحياة إلا العار ، ولم يمنحك الله شيئاً ؟ »

فدهشت الفتاة وارتبكت وأجابته وهى ترتجف من فرعها إلى قدمها .

« ولكن الله موجود وعادل » .

« وهل تعتقدين بالله ؟ »

« أعتقد » . وتجهم وجهها الصغير الأبيض ؛ وشاع الألم والحزن فى نفسها وسمعت ابراهيم يقول « إذن خير لك أن تنتظرى ألف عام حتى ينالك عدل الله ! » . ثم قفز من فراشه ووقف أمام الفتاة بحيث لامس جسمه جسمها فارتعدت وتراجعت قليلا فأمسك بذراعيها وقبل عينيها .

فسألته الفتاة وهى دهشة « ما هذا ! ماذا تصنع ؟ ! » .

« إنك بائسة مثلى » ثم تركها واضطجع ثانيا وغرق فى بحار من التفكير .

فقالت الفتاة وهى مرتبكة : « إنك شخص مخيف غريب الأطوار » فنظر إلى عينيها الحزينتين فغادرت الغرفة وهى وجلة دهشة .

وحالما خرجت فريدة قام ابراهيم وطوقيا كل فشرب فنجاناً من الشاى وأكل قطعة من الخبز بدون شهية وكأنه يأكل بطريقة ميكانيكية . وشعر بتحسن فى حالته ، ولما فرغ من هذه الأكلة البسيطة اضطجع على السرير وأخفى وجهه فى الوسادة وبقى كذلك صامتا شارد الفكر يحاول أن يجمع أفكاره ويحصرها فى شىء واحد . ثم سمع وقع أقدام فتحقق أن القادم صاحبة البيت إذ سمع صوتها .

سألته المرأة وهى داخلة الغرفة بصوت خيل إليه أنه كصوت الساقية التى تدور دون أن تخرج ماء : « ألا تزال سابحا فى أفكارك ؟ » .

« ماذا تريدين ياسيدتى ؟ » وجلس على السرير وواصل كلامه « إنى قلت لك ألف مرة يجب أن أترك المنزل . إن ظروفى الخاصة تضطرنى إلى ذلك ، وستكون أصدقاء بلا شك . على كل حال . إن كلينا لم يخسر شيئا . فلم الالحاح ؟ إنى أعلم أنك تحبينني . ولكنى أصرح لك أن حبك يضايقنى ، هل تظنين أنى أقضى حياتى فى منزلك ؟ هذا محال . هذا محال ، أفاهمة أنت ؟ هذا محال » نطق ابراهيم الكلمة الأخيرة « هذا محال » بصوت عال ، وبلغ به الهياج مبلغا كبيراً . واشتد به الغضب شيئا فشيئا ، واستمر يتكلم باذلا جهده فى تفريج كربه « إنى ياسيدتى شاب فقير ومريض . وعدا هذا فأنا أفكر فى أمور أخرى أجل من التفكير فيك . لماذا تنظرين إلى هكذا ؟ لا تعتبرينى سىء الخلق . إنى لا أحبك ولا أريد أن يهتم بى أحد .

لقد بلغت السابعة والعشرين [illegible] ولم [illegible] من [illegible] شيئاً . فهذا أرجو بعد ذلك ومهدا [illegible]
[illegible] ثائرة متمردة تريد حرية أوسع من حرية نفوسكم
[illegible] قيودها [illegible] في أعلاها مع نفوسكم .

[illegible] وقد [illegible] من شدة [illegible] وأخذ صدره يعلو ويهبط وهو يلهث [illegible]
[illegible] وحين إن المرأة [illegible] كبرتا عما كانتا عليه . [illegible]
[illegible] من [illegible] حالته وحسب عليه وسألته : [illegible]
إنك تهذي » .

وسأل [illegible] في [illegible] الدور ؟ [illegible] متى [illegible] المرأة ؟ »
[illegible] عينيه . [illegible] المرأة [illegible] وهي ترمقه [illegible]
[illegible] تركه الآن . لا فائدة من [illegible]
[illegible] وربما كان [illegible] من [illegible]

* * *

لم يعرف [illegible] الوقت الذي [illegible] . استيقظ [illegible]
[illegible] كل شيء [illegible] هادئاً [illegible] هذا حدث [illegible]
[illegible] الظلام [illegible] على [illegible] من شدة الظلام [illegible]
[illegible] على [illegible] من [illegible]
[illegible] وشاهد ضوء مصابيح خابية

لم [illegible] الوقت [illegible] . ولكن [illegible] من سكون وظلام [illegible] الليل [illegible]
وشتى الأشياء . لا [illegible] هذا [illegible] . [illegible] سأخرج . ولكن [illegible] ؟
الحقيقة أنه لم يكن [illegible] على شيء . [illegible] لبس ملابسه ووقف على [illegible]
[illegible] يسمع صوتاً ولا [illegible] فأيقن [illegible] . ثم مشى [illegible] أطراف قدميه وفتح [illegible]
[illegible] وجهه هواء الليل . وكان [illegible] حرارة [illegible] . وسار على غير هدى . ومن [illegible]
[illegible] في حالة [illegible] يساوره الخوف [illegible] في مكان موحش [illegible] الظلام . [illegible]
[illegible] على [illegible] ثلاثمائة [illegible] حلوة [illegible] على حافتها [illegible]
وأخفى وجهه بيده .

هل [illegible] الانتحار [illegible] ؟ كلا . [illegible] الحياة غريزة في كل إنسان .
[illegible] من [illegible] على هذه [illegible] هذا [illegible] عيش للتساؤل عن [illegible]
[illegible] إن المسألة ليست مسألة موت أو حياة بل هي مسألة [illegible]
[illegible] غاية [illegible] في سبيلها . ولكن ما هذه الغاية التي [illegible] إليها ؟ »

[illegible] سحقته [illegible] أي شخص [illegible] وسوف لا يحس العالم بموتي. وهل [illegible] شهرة [illegible] على كل هذا ؟ [illegible] مات لا محالة . إن [illegible] يوم [illegible] في الأرض [illegible] ويتعفن جسدي ويفنى كل [illegible] العالم كما هو . ويمر الناس على القبر الذي [illegible] جسدي [illegible] يعجزهم [illegible] .
[illegible] ذكر [illegible] بها [illegible] محرومة فقدت [illegible] ذات [illegible] تنقطر [illegible] إليها صورتها . [illegible] مثات من الآلاف [illegible] الأعمال [illegible] حواجبهم [illegible] . ماذا ؟ كلام فارغ ... » .

[illegible] نفسه [illegible] دون [illegible] حتى [illegible] كأنه [illegible] سؤال [illegible] ماذا [illegible] ؟ . ثم [illegible] إلى [illegible] وحدق [illegible] شبك لشدة الظلام

* * *

[illegible] في اليوم [illegible] متأخراً . [illegible] عينيه وجد [illegible] تنظر إليه وقد [illegible] لا تحدث حركة خوفاً من [illegible] . [illegible] عينيه ثانياً وتظاهر بالنوم . [illegible] المرأة [illegible] تنظر إليه . [illegible] في [illegible] مرة [illegible] . وكان [illegible] من الأفكار [illegible] الليلة السابقة . [illegible] كثيراً . [illegible] هدأت تماماً و [illegible] راحة نفسية .

[illegible] السكون [illegible] في [illegible] ولم يسمع سوى [illegible] وقتئذاك [illegible] . ففتح عينيه وقال [illegible] وماذا بعد ؟ [illegible] المرأة وقالت [illegible] هل كنت [illegible] النوم ؟ إنك عدت متأخراً [illegible] ؟ » فأجابها الفتى مبتسماً [illegible] إلى [illegible] » [illegible] المرأة [illegible] كلها [illegible] قلبها [illegible] الابتسامة من شفتيها [illegible] ؟ » فلم تفارق [illegible] شفتيه . [illegible] وماذا حدى عليك [illegible] ؟ » وصمت [illegible] السكون [illegible] في الغرفة . [illegible] وقبلت شفتيه فأمسك يدها وجذبها إليه ثم قبلها . و [illegible] ذلك بلا شعور ولا إدراك [illegible] يؤدي عملاً [illegible] إليه [illegible] . ثم [illegible] ذراعيه إلى [illegible] ونظر إلى السقف [illegible] كشخص حكم عليه بالموت . ثم صدر [illegible] العفو عنه . وقال [illegible]
« ما أشقى الانسان !!! » .

لطفي عثمان

طرق التناسل المختلفة

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد

مدرس العلوم بالمدارس الأميرية

التناسل اللاجنسي – التناسل الجنسي – حيوانات تتناسل ...

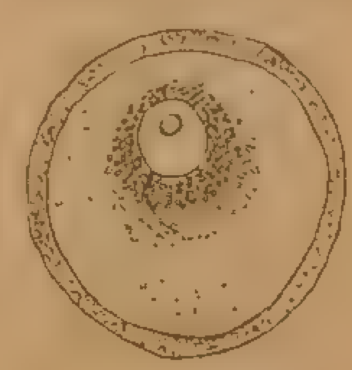
صار من الأشياء العادية التي لا تستلفت انتباهنا أن نرى الأرنب الأنثى مثلا تضع خمسة صغار أو ستة. ومن استهوتك غريزة حب الاستطلاع للبحث عن كيف تم ذلك.

تمت مقدمات هذه العملية قبل الوضع بأسابيع عندما يلقح ذكر الأرنب الأنثى. فتتحد بويضة صغيرة في الأنثى بخلية صغيرة جدا من الذكر تصل إليها من سائل التلقيح، ويتكون من اتحادهما معاً خلية واحدة كاملة ملقحة، تتغذى وتنقسم، وتنمو مكونة الجنين.

وهنا يتم التناسل بواسطة اتحاد خليتين مختلفتين شكلا وحجماً واحدة من الذكر، وتعرف بالحيوان المنوي (شكل ١) تتكون في الخصية، والثانية من الأنثى وتعرف بالبويضة (شكل ٢)، تنفصل من نسيج خاصة في الأنثى تعرف بالمبيض. وباندماج هاتين الخليتين معاً، وبالغذاء والوسط الملائمين يتكون حيواناً شبيهاً بالوالدين. وتعرف هذه الطريقة في التناسل باسم «التناسل الجنسي» تمييزاً لها عن طريقة أخرى تختلف عنها، تعرف باسم «التناسل اللاجنسي».

التناسل اللاجنسي: يتم بانفصال جزء من الحيوان نفسه، تنمو وتصير حيوانا كاملا بدون أن تتحد بأجزاء أخرى (خلاف ما يحدث في التناسل الجنسي)، ويمكننا أن نقسم التناسل اللاجنسي إلى قسمين: (١) تناسل بالانقسام؛ (٢) تناسل بالأزرار.

(١) التناسل بالانقسام: يحدث ذلك في الكائنات الدنيئة كالحيوانات الوحيدة الخلية، وسنأخذ الأميبا مثالا لذلك:



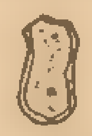
(شكل ٢) (شكل ١)

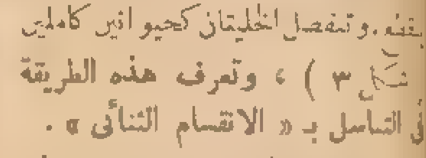
البويضة والحيوان المنوي ... الانسان مكبرين بنفس النسبة

الأميبا كائن صغير يوجد فى البرك العذبة . وهو صغير . ولا يكاد يرى بالعين المجردة . ويمكن رؤيته تحت الميكرسكوب .

يتغذى هذا الحيوان بجزئيات الغذاء الصغيرة فى الماء وينمو . فاذا ما وصل إلى حد معين من النمو ؛ نرى النواة تنقسم إلى قسمين . ثم تنقسم البروتوبلاسم إلى نصفين . يختص كل منهما بنواة . وتتصل الخليتان بجزء قليل من البروتوبلاسم يضيق شيئا فشيئا حتى يقطع . وتنفصل الخليتان كحيوانين كاملين (شكل ٣) . وتعرف هذه الطريقة فى التناسل بـ « الانقسام الثنائى » .







(شكل ٣) [illegible] لانقسام الأميبا

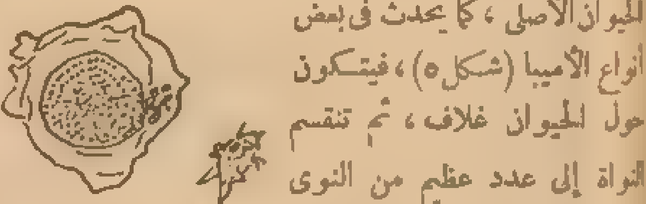
وفى بعض الحيوانات لا ينفصل الجزءان إلا عند ما يتكرر الانقسام ؛ ويسمى ذلك بـ « الانقسام المتكرر » . كما يحدث فى الحيوان المعروف باسم « البوليتوما » (شكل ٤) ، وهو حيوان ميكرسكوبى سوطى ، له سوطان .

يتم التوالد فى هذا الحيوان بانقسام النواة إلى قسمين ، ثم يتكرر الانقسام فتصير أربع نوى مكونة أربعة حيوانات داخل الحيوان الأصلى . تنفصل عن بعضها ، وتصير أربعة حيوانات مستقلة .



(شكل ٤)
بوليتوما [illegible] ([illegible])
[illegible] دوار فى الانقسام [illegible]

وقد يؤدى الانقسام المتكرر فى بعض الحيوانات إلى تكون ما يعرف بالبذور داخل الحيوان الأصلى ، كما يحدث فى بعض أنواع الأميبا (شكل ٥) ، فيتكون حول الحيوان غلاف ، ثم تنقسم النواة إلى عدد عظيم من النوى (٦٠٠ تقريبا) . وهذه تمر إلى السطح الخارجى للسيتوبلاسما ،

[illegible] تكون [illegible] النواة منقسمة [illegible]
(شكل ٥)
الأميبا تتناسل بالانقسام المتكرر مكونة بذيرات

حيث يتجمع حول كل نواة مقدار منه . ثم يذوب الغلاف الخارجى وتخرج كائنات صغيرة تعرف بـ « البذيرات » . لها أرجل كاذبة صغيرة كأرجل الأميبا الكاملة . ويبقى جزء من السيتوبلاسما غير مستعمل . وتنمو البذيرات حتى تصير كل منها أميبا كاملة .

وفى بعض أنواع الأميبا تتكون البذيرات بدون تغلف الحيوان الأصلى .

يمكننا إذن أن نميز التناسل بالانقسام الثنائى عن التناسل بالانقسام المتكرر عن التناسل بتكوين البذيرات .

(ب) التناسل بالأزرار : إن بعض الحيوانات – كالدودة الأرضية ، ونجم البحر – إذا قطعت

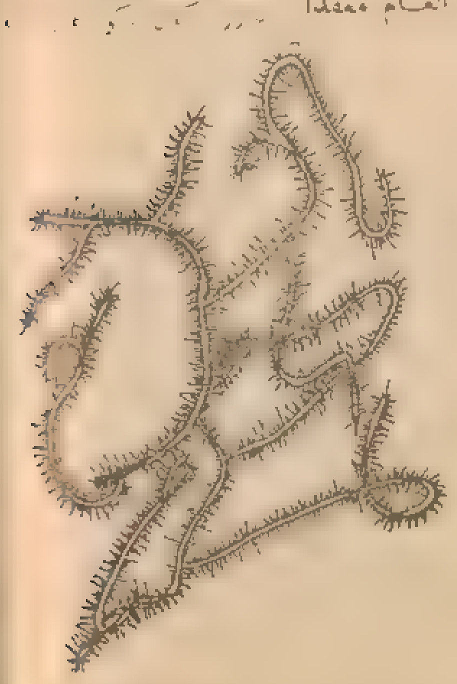
إلى أجزاء . ينمو كل جزء منها في الظروف الملائمة، إلى أن يصير حيوانا كاملا يشبه الأصل الذى انفصل منه. ولكن ذلك قاصر فقط على الحيوانات التي حد خلاياها المكونة لها غير متخصصة تماما.

والتناسل بالأزرار يتم بانتفاخ في جزء من الحيوان الأصلى . ويظل هذا الانتفاخ ينمو حتى يصير حيوانا كاملا كالأم . وقد يظل لاصقاً بها و ينفصل عنها ليعيش مستقلا. ويحدث هـذا في حيوانات دنيئة : كالهدرا والدحار . وفي بعض الديدان ; وقد نجده في حيوانات أرقى من قبيل ذوات النخاع الشوكى .



ففي الهدرا (شكل ٦) – مثلا – يبدأ التناسل اللاجنسى بتكون أزرار كثيرة في وقت واحد . حادثة عن انتفاخ في الطبقة الخارجية من خلايا الجسم. ثم تنمو أذرع لتلك الأزرار، فتصير كل منها حيوانا كاملا يشبه أمه . وقد ينفصل عنها ليعيش في مكان آخر مستقلا . وقد يتوالد الابن مكونا زرا آخر أو أكثر قبـل أن ينفصل عن أمه .

ومن أمثلة الديدان التى تتوالد بالأزرار الدودة البحرية المعروفة باسم « سيلس رامورا » (شكل ٧) . فان الأزرار النامية تظل متشعبة . وتسبب أفراداً جديدة . وقد تنفصل أو تظل عالقة بالحيوان الأصلى حتى يصبح الشكل العام معقداً شبيه بالشبكة .



(شكل ٧) سيلس رامورا ...

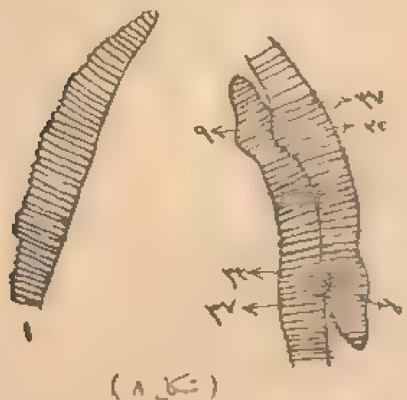
التناسل الجنسى : في التناسل الجنسى لا يقتصر الأمر على انفصال جزء من الحيوان ليصير بنموه حيوانا كاملا ، بل لا بد من اتحاد هذا الجزء المنفصل بجزء آخر ، يكون غالباً من حيوان آخر ، حتى ينتج اتحادهما حيوانا جديداً .

فهنا نجد عنصرين مختلفين ، ينفصل أحدهما من مبيض الأنثى ، وهو البويض ، وينفصـل الآخر من خصية الذكر ، وهو الحيوان المنوى ؛ ويتحدان معاً ، ويكونان بويضة ملقحة تسمى « الزيجوت » ، وهذه تنمو في الوسط المناسب حتى تكون حيوانا كاملا .

١ – إن التناسل الجنسى يستلزم وجود حيوانين مختلفين يفرز أحدهما البويضات. ويفرز الثانى الحيوانات المنوية. وهذا ما نجده في كل الحيوانات الراقية كالأرانب . فالفرد الواحد

لا ينتج إلا نوعا واحداً من جراثيم التلقيح .

٢ ـ ولكن في بعض الحيوانات الدنيا نجد ظاهرة تعرف بالتخنث. وهي إفراز البويضات والحيوانات المنوية بواسطة نفس الحيوان . فالدودة الأرضية تفرز بويضات وحيوانات منوية . بها أنسجة ذكرية لافراز جراثيم التلقيح الذكرية . وأنسجة أنثية لافراز جراثيم التلقيح الأنثية .



(شكل ٨)

(١) الدودة الأرضية ... بعض حلقاتها الكثيرة

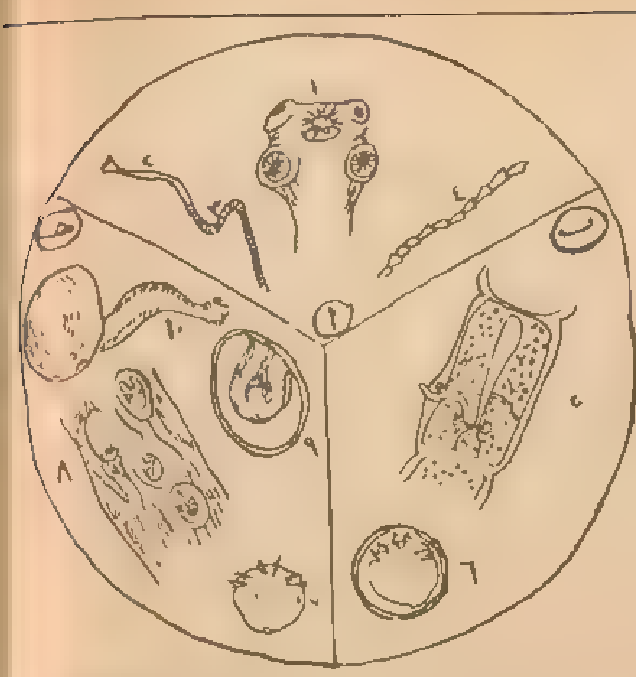
(٢) ... في حالة تزاوج

لو فحصنا جسم الدودة الأرضية (انظر شكل ٨) المذكورة . لوجدناه مكونا من نحو ١٥٠ حلقة . وتوجد أعضاء تناسل الذكرية والأنثية منفصلة عن بعضها في حلقات قريبة من الرأس ، والحيوان لا يلقح نفسه . بل لا بد أن يلقح بواسطة حيوان آخر . وعند التلقيح ـ عادة عند ما يكون الجو رطبا حاراً ـ يحدث تزاوج بين دودتين أرضيتين ، فيمدان جسميهما من مخابئهما ، ويتلاصقان بأسطحهما السفلية ، رأس الواحدة في اتجاه مخالف لرأس الأخرى . والجسمان متلاصقان عادة لوجه تفرز لهذا الغرض . ويمر السائل المنوى من كل من الدودتين ـ خلال شق ـ إلى الأخرى حيث يلقح بويضاتها .

ومثل هذا يوجد أيضا في بعض القواقع والأصداف وفي الاسفنج . فيفرز الحيوان في وقت ما ـ من أنسجة خاصة ـ بويضات ، ثم يفرز في وقت آخر ـ ومن أنسجة أخرى ـ حيوانات منوية تمر إلى الماء فتحملها التيارات البحرية . فاذا التقت ببويضات حيوان آخر ـ من نفس النوع طبعاً ـ لقحتها .

ويقرر داروين في كتابه « أصل الأنواع » بأنه لم يعثر على حيوان يلقح نفسه باستمرار ، بل لا بد أن يوجد تلقيح متبادل . وفي حالة الحيوانات البحرية كالمحار وغيرها . نجد التيارات المائية من أهم العوامل الوسيطة في حمل جراثيم التلقيح من حيوان لآخر .

وليس معنى ذلك أن التلقيح الذاتي لا يتم بتاتا . بل بالعكس نجد حيوانات يرجح حدوث التلقيح الذاتي فيها . فجسم الدودة الوحيدة (شكل ٩) يتكون من عدد كبير من حلقات . ورأس ذي خطاطيف تثبت بها نفسها في أمعاء مضيفها ـ إذ هي من الديدان الطفيلية . وفي هذه الدودة لا نجد جنسا منفصلا ، فلا توجد دودة ذكراً وأخرى أنثى . بل نجد في كل من الحلقات التامة النمو ـ وهي البعيدة عن الرأس . أعضاء تذكير وأعضاء تأنيث كاملة ، وكل حلقة تنتج بويضاتها وتلقحها بنفسها .



شكل ٩ الدودة الوحيدة (أ) [illegible] (ب) [illegible] (ح) [illegible]
[illegible]



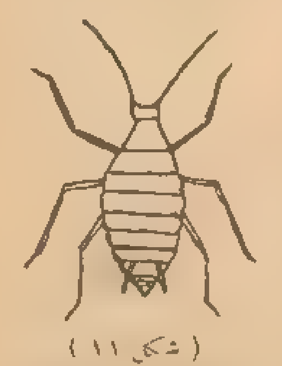
شكل ١٠ الدودة الكبدية [illegible]
[illegible]

والدودة الكبدية أيضا (شكل ١٠) من الديدان الخنثى ، فهى تحتوى على أعضاء تذكير وتأنيث معاً ، ومن المحتمل جداً أن يكون التلقيح فى هذه الدودة ذاتياً داخل جسم المضيف .

٣- فى بعض الحيوانات الراقية - وخاصة فى الحشرات - نجد نوعا فريداً من التناسل يعرف بالتناسل البكرى ، فيه يتم الانتاج بدون اتحاد البويضات بحيوانات منوية.

مثل ذلك يحدث فى النحل . فأنثى النحل تطير فى موسم معين ، ويلقحها الذكر ، وهى تخزن السائل المنوى فى كيس داخلى تلقح منه البيض الذى تضعه حسب إرادتها ، وقد تضع بيضا غير ملقح ينمو ويصير ذكوراً ، فاذا فرغ السائل المنوى أو أزيل الكيس المخزون فيه - بطريقة ما - فان البيض الذى تضعه الأنثى يكون غير ملقح ، وهو رغم ذلك ينمو ويفقس عن ذكور أيضا . ولا يصير غير ذلك .

وقد وجد بعض الطبيعيين أن إناث بعض الفراش إذا أبعدت ـ من ساعة خروجها من الشرنقة ـ عن الذكور ولم تلقح، تضع أحيانا بيضا (غير ملقح طبعا). وهذا البيض عند الفقس تخرج منه يرقات تتم دورتها وتصير لا ذكوراً فقط — كالنحل — بل البعض ذكوراً والبعض إناثا حتى بدون تلقيح ، فإذا حيل بين الإناث والذكور . وضعت الإناث أيضا ـ بدون تلقيح ـ بيضا . وهذا البيض يفقس عن يرقات تتم دورتها وتصير ذكوراً وإناثا أيضا، وهكذا . ويلاحظ هنا في هذه التجارب . أن التناسل البكرى ليس هو الطريقة الطبيعية للتناسل . ولكنه وسيلة لإنتاج الجنس المفقود . وذلك لإتمام عملية التلقيح . إذا حال عامل خارجي دون ذلك .

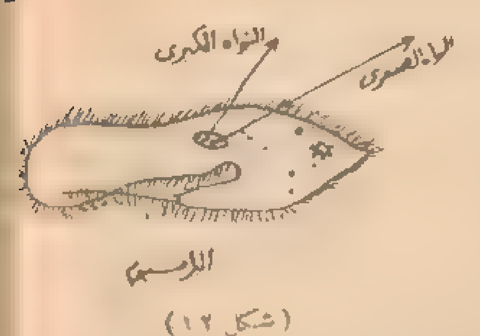

(شكل ١١)
حشرة المن (أمي السنت)

في حشرة المن (شكل ١١) نجد مثلا ثالثا للتناسل البكرى . هذه الحشرة التي تعيش على شجرة القطن . وعلى أشجار الفواكه وغيرها ، تتوالد في الصيف بسرعة هائلة ، فتنتج الأنثى الواحدة ـ وكلها في هذا الفصل إناث ـ نحو ٤٠ صغيراً في بضع ساعات إذا كان الجو ملائما والغذاء متوافراً ، وكل نسلها إناث . وهذه الإناث تلد بدورها، إذ أنها تضع صغارها أحياء على هذه السرعة والكثرة دون تلقيح أو وجود أي عنصر ذكرى ، ولكن عند ما يحل الشتاء تنتج الأنثى نوعين من الصغار : ذكوراً وإناثا . وهذه الذكور والإناث تختلف عن أمها بوجود أجنحة لها ، إذ أن الأمهات تكون عديمة الأجنحة في الغالب .

ويتم تلقيح الإناث الجديدة بواسطة الذكور ؛ وبعد إتمام عملية التلقيح تضع الأنثى بيضة ملقحة واحدة ذات قشرة صلبة في مكان أمين تتخيره ، خصوصاً في شق في إحدى الأشجار ، وهذه البيضة تفقس في أوائل الربيع عن أنثى صغيرة عديمة الأجنحة ، تظل تتغذى حتى تكبر حجما ، ثم تضع بطريق التناسل البكرى صغاراً بكثرة هائلة ، وتعيد الدورة السابقة. وتسمى هذه الأم الجديدة بـ « الأم البكرية » .

والتناسل البكرى يوجد في بعض الحيوانات القشرية ؛ فأحد أنواع جمبرى الماء العذب يتكاثر ـ ربما لمدة سنين ـ مكونا إناثا باستمرار بدون تلقيح . ولكن قد نجد في أحد الأيام أنثى من هذه الإناث تضع ذكراً واحداً .

ومن المؤكد أن هذه الحيوانات كانت ـ في وقت ما ـ تتناسل تناسلا جنسيا بانتظام بالطرق العادية . وكانت فيها الذكور والإناث ، ولكن بعض الظروف ألجأتها إلى طريق التناسل البكرى ؛ ولو أن التلقيح لا ينعدم بذلك بتاتا ، فالجنس المفقود يظهر من وقت لآخر حيوانات تتوالد جنسيا ولاجنسيا .



(شكل ١٢)

البارامسيوم (شكل ١٢) حيوان هدبي يمكن رؤيته بالعين المجردة كنقطة بيضاء صغيرة جداً ، تتحرك بسرعة في الماء الموجودة به بقايا عضوية متعفنة ، وله أهداب كثيرة تغطي الجسم .

ولو أن جسم هذا الحيوان عبارة عن خلية واحدة ، إلا أن له نواتين : واحدة تسمى « النواة الكبرى » ، والثانية تسمى « النواة الصغرى » ، وهي موجودة في شق من النواة الكبرى .

يتناسل هذا الحيوان لاجنسيا بالانقسام الثنائي . ويتم الانقسام مرتين و ثلاثاً يوميا في المحلول الكثير الغذاء . وتقل عدد مرات الانقسام بقلة الغذاء .

فاذا قل الغذاء بعد كثرة غير عادية . ابتدأ هذا الحيوان يتناسل جنسياً . فنجد فردين من البرامسيوم يلتصقان معا . و بواسطة انقسام النواة الصغرى في كل منهما تتكون جرثومتان من جراثيم التلقيح . في كل حيوان منهما جرثومه ذكريه . والأخرى أنثية ، وتنتقل الجرثومه الذكرية من كل من الحيوانين إلى الحيوان الثاني وتلقح الجرثومه الأنثى . ويتكون من التلقيح في كل منهما (زيجوت) . ثم ينفصل الحيوانان . وتحدث انقسامات أخرى في كل منهما مكونة أفراداً جديدة .

<u>في بلاسموديوم الملاريا</u> : بلاسموديوم الملاريا (شكل ١٣) يعطينا مثلا آخر فهذا الحيوان الطفيلي الذي يسبب في الانسان حمى الملاريا ينتمي إلى قسم الجذرية في بروتوزوا . وهو ينتقل للانسان بواسطة عضة بعوض خاص يزور السليم بعد زيارته لمصاب بالملاريا .

هذه الطفيليات توجد في دم المصاب بالملاريا . وهي تهاجم كريات الدم الحمراء بواسطة طرف مدبب ، فاذا صارت داخل الكرية الحمراء تغذت من مادتها ، وانقسمت نواتها إلى نواتين ، ثم إلى أربع ، ثم إلى ثمان ، ثم إلى ١٦ نواة . وتتجمع البروتوبلازما حول كل منها . ثم تنفجر قشرة الكرية الحمراء ، تاركة الأنسجة تسبح في سائل الدم ، حيث تهاجم كل واحدة منها كرية حمراء جديدة ؛ وتعيد هذه الدورة اللاجنسية . وهي تستغرق من الزمن نحو يومين أو ثلاثة أو أكثر حسب نوع الطفيلي ؛ ولذا نجد الحمى تنتاب المصاب في فترات متقطعة ، وربما كان ذلك نتيجة خروج مواد سامة تفرزها الطفيليات مع الأنسجة عند انفجار الكريات الحمراء .

تستمر الطفيليات تتكاثر لاجنسياً لمدة عشرة أيام ، ويسمى هذا الدور بـ دور التفريخ ، وبعد مرور هذا الدور . إذا زار البعوض المصاب وامتص من الدم ؛ فانه تمتص معه

كريات حمراء مصابة بالطفيليات تنقل إلى معدة البعوضة ، وهناك تبدأ فى تكوين نوعين من جراثيم اللقاح (الجامتات) ذكرية وأنثية ، وبالتلقيح يتكون ريحوت ذى طرف مدبب يخترق الجدار الداخلى لمعدة البعوضة ، ويظل فى الجدار الخارجى لها مكوناً قشرة رفيعة ، ويستمر فى الانقسام داخل هذه القشرة ، وينمو حجماً ، وتبرز الأكياس المحتوية على الطفيليات فى شكل فقاقيع من جدران المعدة ، ثم تنفجر تلك الفقاقيع ، فتنتشر الطفيليات فى جسم البعوضة ، وتصل إلى الغدد اللعابية وتخرج مع اللعاب الذى تفرزه تلك الغدد عند عض شخص ما ، وتمر إلى دم الفريسة ، وتشق طريقها إلى كريات الدم الحمراء فيه ، وتبدأ عدوى جديدة .

فالطفيلى المذكور يتوالد لاجنسياً فى جسم الانسان ، ويتوالد جنسياً فى جسم البعوضة التى تنقل العدوى من المريض للسليم .

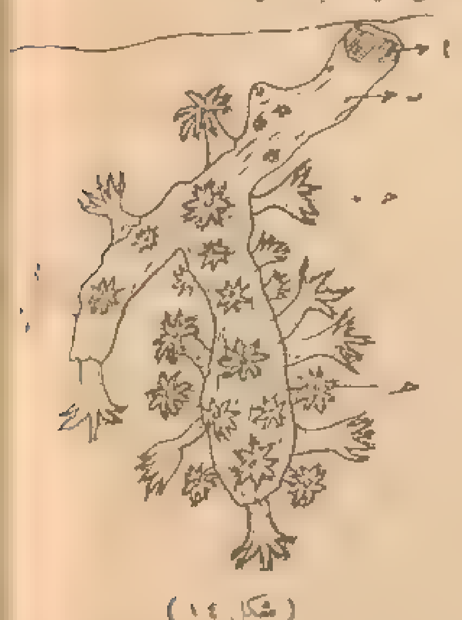
فى الهدرا : أشرنا سابقاً إلى أن الهدرا (شكل ٥) تتوالد



[illegible] على الطفيلى
(شكل ١٠٣) [illegible] الاسموديوم الملاريا

بالإزرار . فهى تتوالد لاجنسياً ، ولكنها أحياناً تتناسل جنسيا . فتتكون خصية واحدة وأكثر فى الجزء العلوى من الجسم ؛ وهذه تفرز حيوانات منوية تسبح فى الماء . وقد تكون

مبيض واحد فى الجزء الأسفل ، فيه تتكون بويضة واحدة تنمو وتنتفخ ، وتتلقح بواسطة أحد الحيوانات المنوية الموجودة فى المياه المحيطة بالهدرا . ثم تنمو بعد التلقيح ، وتنفصل عن جسم الأم ، وتتكون لها أذرع وفم . وقد يحملها التيار حتى تتخلص من القشرة الخارجية ، وتثبت نفسها — كأمها — فى الحشائش حيث تبدأ حياة مستقلة .



(شكل ١٤)

جزء من شجيرة مرجان وترى [illegible] الثمان زوائد ، وهى بيضاء اللون بارزة (ح) من طبقة لحمية خارجية (ب) وفى الداخل نجد المادة الصلبة الحمراء (أ) [illegible]

فى المرجان : تتكون شجيرة المرجان (شكل ١٤) من ساق صلبة محاطة بطبقة لحمية حمراء تبرز من سطحها افراد صغيرة بيضاء اللون تشبه الأزهار ، لها ثمانى زوائد ، وتتكون الأفراد لاجنسيا من المادة اللحمية ، كما تتناسل الهدرا بالأزرار .

وتتكون أيضاً فى الشجيرة بويضات وحيوانات منوية داخل الأفراد نفسها ، وتلقح الثانية الأولى ، ثم تذهب البويضات الملقحة إلى قنوات داخلية موجودة فى المادة اللحمية ، وتنقسم مرات مكونة حيوانات تشبه الديدان ، وتخرج عن طريق القناة الهضمية المسترسلة للشجيرة إلى الماء وتلتصق بالصخور ، وينمو كل منها مكوناً مستعمرة جديدة .

ويلاحظ أن الانتاج الجنسى يتم غالباً فى أمثال هذه الحيوانات لنشر النوع فى أماكن لا يتيسر نشره فيها بواسطة الانتاج اللاجنسى .



(شكل ١٥) الأسـ[illegible]

فى الأسفديا : (شكل ١٥) هذه حيوانات نخاعية ، وهى أقرب الحيوانات شبهاً بالحيوانات الفقرية إلا أنها ينقصها العمود الفقرى ، وبعضها يقضى حياته لاصقاً بصخرة ، ويتناسل بالأزرار كأبسط الحيوانات الدنيئة ، مكونة مستعمرات أو أفراداً جديدة فى المستعمرة ، وأحياناً يتناسل جنسيا بواسطة البيض . ؟

محمد محمد السيد

بلاد المجر كما عرفتها

للدكتور فيليب شدقق
وترجمها من الألمانية إلى العربية الدكتور طه دنانة
خريج جامعتي ليبزج وبرلين

إذا كان الشاعر الانجليزي كبلنج قد قال كلمته المشهورة : « الشرق شرق ، والغرب غرب، ولن يلتقيا » ، فاني على يقين أنه لم يكن قد زار بلاد المجر حينما قالها .

إنني في رحلتي إلى برلين لم أسافر عن طريق غرب أوربا ، بل عن طريق اليونان ، حيث زرت أثينا وآثارها ، وأمتعت النظر بسلانيك ومآذنها البيضاء ، واخترقت يوجوسلافيا ، وحدت بخصب تربتها ، وعرجت على « أسكوب وبلغراد » ، ودلفت إلى « المجر » ، وقضيت حقبة سوية في عاصمتها الرائعة « بودابست » ، ورأيت — وأنا أعجب من تصرف الحدثان — من جمود الحركة بـ « فينا » ما يقرب إلى الشلل التام ، وزرت « براج » ، وشاهدت جنوب ألمانيا وما فيه من دور الصناعة الكبرى الساكنة الحركة في الآونة الحاضرة من الكساد العام ، ورأيت الشيء الكثير من الفاقة والشقاء .

ولكنني لم يسترع نظري ، ولم يدهشني في رحلتي الطويلة — في المدن والقرى — أكثر من المجر وعاصمتها بودابست ، فهذه المملكة وأهلها قد غيرت رأيي كل التغيير في كلمة « كبلنج » .

إن رحلة بودابست قد ساعدتني فيها الحد الصاعد ، فقد أوصى بي صديق بالقاهرة أصدقاءه هناك ، فاستقبلني في المحطة الكاتب المجري المشهور الدكتور كورنيليوس تابوري ، وزارني كثير من الأفاضل بفندق سانت أولرث المشهور بحماته المعدنيـة . وقد قدموا لي كل مساعدة تمكنه لدراسة بلادهم وشعبهم في ماضيه وحاضره ، وكم كانت دهشتي وإعجابي بهذا الشعب يزيدان كلما استغرقت في تعرف أحواله . ذلك الشعب الذي يفخر — حتى اليوم — بأنسابه المغولية ، وبالرغم من ذلك لا تجد بينه وبين شعوب غرب أوربا فرقاً ما في أي ناحيـة من نواحي الحياة في الحضارة والمدنية والعلم .

وقد تكره شعوب أوربا الأخرى أن تسمع أو تقرأ أنها ترجع بأصولها إلى أنساب آسيوية ، وأن سكان أوربا الأصليين ليسوا سوى الكلت في إرلندا وسكان لنـدن ، وأن شعوب غرب أوربا لم تصل إلى درجة رقيها في الحضارة والثروة إلا بعد تأثرها بالبيئة ، وأنها كانت من قبل شعوباً آسيوية ؛ مواردها الزراعة ورعي الماشية . ولكن الشعب المجري لا يستنكف من ذلك ، بل يحرص كل الحرص في المحافظة على ذكراه .



(منظر عام لمدينة بودابست عاصمة بلاد المجر)

في سنة ٨٦٩ م. – بعد مضي ٣٠٠ سنة على موقعة "نيلا" الشهيرة – هاجر أرباد شعب المجريين من المعمور إلى بلاد المجر الحالية التي لم تكن – حتى ذلك العهد – سوى مستعمرة رومانية. ففتح هذا الشعب البلاد. وتغلب على أهلها الذين كانوا ينتمون إلى جنس السلاف. وأفنى بحد السيف – من لم يخضع له ويندمج فيه. وقد احتفل المجريون سنة ١٨٩٦ بصورة فنية كبيرة تغطي داخل قبة سعتها مائة متر. تمثل دخولهم البلاد وهجرتهم إليها. فترى الرجال في ثياب من الفراء. وعربات تقل النساء والأطفال تجرها الثيران. وترى من ذلك كيف كانوا يعتنون بذويهم ويوفرون وسائل الراحة لهم في الرحيل. وقد قام المجريون بغزوات كثيرة في ألمانيا وفرنسا. ولكنهم ارتدوا أخيراً وقبعوا في المجر. وقد عبد أرباد وشعبه حينا مدة (إله الحرب) هودور. وكانوا يقدمون له الضحايا في ذلك العهد من الخيول المطهمة خوفاً من غضبه، ورجاء لمعونته.

ودخلت المسيحية في عهد القديس ستيفانوس الذي حكم من سنة ٩٩٥ إلى سنة ١٠٣٥. فقد حببت إليه المسيحية وهو صغير. وعمده إليها القديس جيراردس. ونستطيع أن نرى كيف قوبلت المسيحية بالعنف. إذا عرفنا أن عباد الخيول – وقد عبدت في الفترة السابقة – قد قبضوا على القديس جيراردس حياً وقذفوا به في «الدانوب».

وهنغاريا: بلد زراعي أكثر منه صناعي. وفي وسعنا أن نقدر ثروتها الزراعية من غلال وفاكهة وغيرها إذا زرنا المعرض الزراعي. ورأينا ما فيه من شتى المحاصيل.

وأما عن الطب فأريد أن أتحدث إليك عنه بنزاهة. فإنه ليس في تلك البلاد ناشئاً ولا أحط مستوى منه في جاراتها. وقد زرت كثيراً من مستشفياتها ومصحاتها في بودابست وضواحيها. فوجدتها في نظامها واستكمال أدواتها مثلها في بقية عواصم أوربا الغربية. وأشير على الخصوص إلى معهد الأستاذ بارون كوراني في كلية الطب، فلست ترى فيه وسائل التشخيص والعلاج فحسب. بل فيه قسم خاص بالأبحاث العلمية الكيماوية وفحص كل جديد. وقد صدر عنه كثير من الطرق المستحدثة للعلاج. وكان له فضل المشاركة في تقدم اسس.

وطالما اشتد عجبي حين رأيت كثرة المصابين بالسل في بلاد المجر. فإنها – وإن كان جوها جميلا. وهواؤها طيباً. وماؤها سائغاً لذيذاً مما يجعلها بمثابة مصيف لجاراتها – فإن السل قد نشب أظفاره فيها إلى مدى بعيد، وكل مصحاتها ومستشفياتها ملأى بصرعاه. وقد زرت فيما زرت مصحة (إليزابت) في بودا كسي – ضاحية لبودابست – واستقبلتني الدكتورة لويزه إربت بارات التي تشغل وظيفة مدير ثان للمصحة. وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها. وعلى مستوى عال من التربية. وجد ماهرة في مهنتها. وقد قادتني إلى كل (عنبر) مرضى، ورأيت كيف يعنى بهؤلاء المساكين. وكيف توفر لهم أسباب التسلية، حتى إنه لا ينقصهم الاستمتاع بالراديوم في مراقدهم.

وقد لفت نظرى قلة العناية بالأصحاء . ولكن هناك العناية بصحة المرضى و لوقاية من شر المرض المستطير على أعمها ؛ ولهذا يدخلون المصحات أولئك الذين هم فى حالات متأخرة حتى لا تنتشر بهم العدوى . تاركين غيرهم من الأخف مرضاً لعناية الأطباء الخصوصيين .

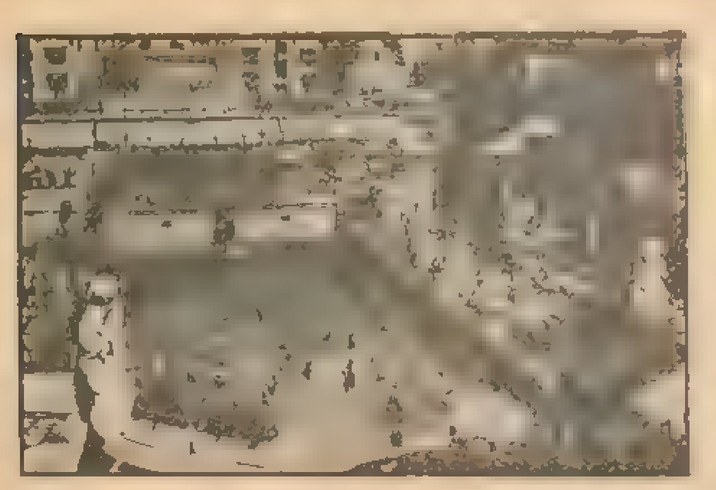
وفى سنة ١٨٩٦ أقام المجريون بناء دار برلمانهم وهى تقع على « الدانوب » وتشبه فى عظمتها وفن بنائها دار البرلمان الانجليزى على « التيمس » وقد زرتها فى صحبة المستشار سلطان سفير بى . وقد تفضل بالافضاء إلى بكل ما أردت من معلومات ؛ وهو رجل وجيه فاضل . واسمه يدل على تغلغل الشرقية فى هذا الشعب .

(دار برلمان بلاد المجر [illegible])

وقد رأيت فى الصالات (المتاحف) كثيراً من الآثار والماديات الثمينة والصور الزيتية الفاخرة ، وقد سحرت مما رأيت من النقوش العربية النحاسية و الذهبية والبلاط المجرى البديع

أما بودابست فهى مدينة رائعة ممتدة على جانبى الدانوب . والجزيرة الواقعة بين الشطين تكون جزءاً من البلد ، ويصل بين شطرى البلد عدة جسور جميلة . وفى الجزيرة كثير من الينابيع المعدنية الطبيعية الصالحة لأمراض الروماتزم والمعدة وفقر الدم ، وقد تنبه الأتراك بين سنتى ١٥٢٦ — ١٦٧٦ إلى الانتفاع بهذه الينابيع فبنوا عليها الحمامات وعنوا بتنظيمها ، وبقى كثير منها قائما حتى اليوم ، وأجلها حمام الحاكم سليمان .

(جسر (كوبرى) بودابست المعلق)


(حمام سانت جلرت فى أحد فنادق بودابست)

ومما يستحق الذكر المسرح المسمى مسرح فننج الذى عزف فيه بيتهوفن سنة ١٨٠٠ ؛ ويرى فيه تمثال للموسيقار العظيم ؛ والمسرح يقع بالقرب من القلعة .

والقلعة تقع على قمة جبل ، وإليها قصر ملك ، وإلى جانبه كنيسة فى خط المغوطى ، بنيت سنة ١٢٢٧ ، وقد حولها الأتراك سنة ١٥٤١ إلى مسجد ؛ ويحكى: أن درويشاً يدعى بلبابا حر صريعاً فى حفلة ذكر ، فبنى له ضريح جميل لا يزال حتى اليوم فى بودابست .

وكان المجريون – قبل هجرتهم إلى بلاد المجر – يكتبون ويتكلمون بلغة تشبه الصينية ، ولما استقروا فى المجر استبدلوا الحروف اللاتينية بحروفهم .

وبودابست مكونة من بلدين كانتا منفصلتين : إحداهما تسمى بودا . والأخرى بست ، واندمجتا سنة ١٨٨٣ . وبودا يرجع اسمها إلى الاله الهندى المعروف .

وقد أسهبت فى وصف بلاد المجر الجميلة وعاصمتها حتى أقوم بتصويرها – على قدر الامكان – لشعوب الشرق الأوسط . وإذا زاروها رأوا أكثر مما سمعوا عنها ، وأكثر مما يسعنى أن أصور لهم .

والمجريون ظلوا تحت حكم الأتراك نحو قرن ونصف قرن ؛ وتحت آل هابسبرج نحو ثلاثة قرون . ولكنهم طيلة هذه المدة وما بعدها لم ينسوا أصولهم . ولم يغفلوا أنسابهم، ولم يتركوا دراسة تاريخهم ؛ ومع هذا فقد ساهموا فى تقدم الحضارة والفن والعلم والصناعة .

وأخيراً : أقول إنه لو كان « كبلنج » زار بلاد المجر ،ودرس حال هذا الشعب دراسة استقصاء واستكناه ، بدلا من تقلبه بين انجلترا والهند ، والهند وانجلترا ، لغير رأيه ، ولقال معى :

« الشرق شرق ، والغرب غرب ، وسيلتقيان »

طه دنانة

بين المتناظرين

في قصيدة الأستاذ الزهاوي

ورد في ص ١٥٩ من سنة ١٩٣٢ من مجلتكم المباركة قول الأستاذ الزهاوي .

كوكب يرسل الأشعة بيضاء من الشرق في الليالي الطوال

جعل « بيضاء » حالا من الأشعة وهو مفرد، وهذا غير جائز في أساليب العرب، فالقاعدة تقتضي جمع « بيضاء » لأنه على وزن « فعلاء » . ولكونه حالا من الجمع وهو الأشعة، ونحن، هذه قاعدة العربية التي خفيت على الأستاذ الكريم واستعصت على قريحته الفياضة: أن أفعل ومؤنثه فعلاء يجب جمعهما إذا كانا حالا من جمع أو نعتا له، سواء في ذلك العاقل وغيره، وجمع التكسير وجمع التصحيح . وليس هذا من باب « أيام معدودات ومعدودة » الذي جوز العلماء فيه وجهين اعتمادا على ما ورد في التنزيل وكلام العرب من نوعه ; وليس من شذوذ اللغة ، ولا من تمويه أساليب العرب حقها . إن نقول هذا القول خوفا من الشواهد . فشاهد الحال من جمع العاقل قوله تعالى « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » . وشاهد الحال من جمع غير العاقل قول الشاعر :

بأنا نورد الرايات بيضا   ونصدرهن حمراً قد روينا

وشاهد النعت قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » جمع بيضاء وسوداء . أما « سود » في الآية . فيدل على اطراد القاعدة اطرادا تاما ، سواء أعد بدلا أم عد نعتا لغرابيب . وقوله تعالى « ثياب سندس خضر » و « يلبسون ثيابا خضراً » و « زيتونا ونخلا وحدائق غلبا » .

فعسى أن يرضى الأستاذ الكريم بهذا التنبيه المبني على المعرفة بأساليب العرب ، ويجتنب في قصائده الخروج على تلك القاعدة .

[بغداد]   مصطفى جواد

حول أول مؤتمر في الاسلام

ذكر أحد كتاب « المعرفة »(١) الغراء أن اتفاقاً ثلاثياً حصل بين الصديق والفاروق وأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم في اجماع عقدوه على ولاية الخلافة بالترتيب دون المسلمين .

(١) راجع عدد أغسطس سنة ١٩٣٢ .

..منهم أنهم أولى الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع أن هذا الرأى لم ..حق به التاريخ فانه قادح فى قدر هؤلاء الجلة الأعلام .

ذلك أن المروى فى هذا المقام ، أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دهش الصحابة رضوان الله عليهم وهالهم موته ، وتفرقت آراؤهم فيه ، فمن قائل إنه حى وسيرفع كما رفع عيسى عليه السلام ، ومن قائل : إنه مات وموته قادح فى نبوته ، ومن حيران لا يدرى ماذا يقول ، حتى أدركهم أبو بكر رضى الله عنه ، ففى الصحيحين : بلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج ، فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما كان الله ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ، قال الله تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» الآية ، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ . ومن المأثور أنه عند ما تحقق الأنصار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعوا فى الحال إلى سقيفتهم يتشاورون فى أمر الخلافة ، فترك الصديق الصحابة ومضى هو وصاحباه تواً إلى هذا الاجتماع والرسول لم يغسل بعد ولم يدفن .

هنا يحسن بنا أن نورد أن أكابر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى المدة الأخيرة من حياة الرسول ، كانوا قد فطنوا لوفاته مما كان يطالعهم به الوحى من حين لآخر من تمام النعمة ، وكمال المنة ، وقرب اللقاء ، ودنو الجلاء ؛ وأن المعانى كانت تتداعى عليهم بالقيام على سياسة الأمر والاستخلاف على منصب النبوة ؛ فلا يخفى أن فكرة الخلافة كانت قد نبتت فى رءوسهم وسكنت موضعها من نفوسهم ، حتى إنك حين تقرأ إشارة العباس عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ابن أخيه على كرم الله وجهه ، بسؤال النبى الخلافة فى مرض موته عليه الصلاة والسلام : تعلم أن هذا أمر خالج الضمائر ، ومشى فى السرائر قبل انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

ولكن إذا سلمنا بهذا ، فان من العسير جداً أن نسلم بأن مصابا جللا كموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كاد يذهب بعقول أصحابه شعاعا ومفاجأة تبغتهم — وهم ينعونه إلى أنفسهم — يعرفون خطرها هى اجتماع الأنصار لتولية إمام منهم ، ثم يجتمع هؤلاء الحيارى المبغوتون لتزكية أنفسهم بأنفسهم والاتفاق على تولية الخلافة فى ما بينهم ، ولا يقال إن الاتفاق كان مبرماً قبل ذلك ، فان منصب الخلافة العظمى ليس نهباً يقتسمه الأفراد ويتوارثه الأنداد ، وإنما هو حق الأمة ، والأمة وحدها هى صاحبة الرأى والتصويت ، وبأى سلطان كان يؤمر هؤلاء أنفسهم فيما بينهم على الأحمر والأسود ، ويفرضون التملك على العامرة

والعامرة . والرئاسة لا تنال إلا بأعمال السيف وإرهاق الجنود ؟ وبأى وجه كانوا يجرحون في رأى المسلمين وما حولهم مهمن حق المشورة وانتخاب الصالحين ؟ وبأى قلب كان يزكى أبو بكر نفسه : وهو الذى كان يشم من فمه رائحة الكبد المشوى من الخوف . وعمر الذى كان يشك في نفسه أهو من المنافقين . أم من المؤمنين؟ وأبو عبيدة القائل: وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى ؟ أم بأى كفالة ضمنوا حياتهم وبقاءهم وشعارهم :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله ...؟

أما تولية أبى بكر — رضى الله عنه — عمر الخلافة تنفيذاً للخطة الموهومة فهو غير الواقع . والمأثور فى هذا الصدد أن الصديق لما حضرته الوفاة طلب إليه المسلمون أن يستخلف عليهم فاستخلف عمر رضى الله عنه نزولا على إرادتهم ، لا تحكما فيهم واستبداداً بأمرهم .

وأما توليه عمر — رضى الله عنه — أبا عبيدة قيادة الجيوش تمهيداً لتنفيذ البند الثالث المزعوم، فهو غير صحيح أيضا، لأن فكرة الفاروق — رضى الله عنه — فى تنحية خالد بن الوليد — رضى الله عنه — عن القيادة، فلأن خالداً لم يحضر موقعة إلا انتصر فيها . فتخوف الفاروق من اتكال الناس على تلك الشهرة وقعودهم عن الأخذ بأسباب الانتصار، ولم يرو أن عمر — رضى الله عنه — ذكر فى وفاته أبا عبيدة ، حتى يقال إنه تذكر البند الثالث عند حلول أوانه .

تلك صفحة لتاريخ ناصعة تخبرنا بأن ما حدث فى أمر الخليفتين الأولين لم يكن مدبراً بينهما ، وإنما خلقته ظروفه وهيأته أسبابه ؟ ،

متولى أحمد كيوان

الأدب تصوير الحياة

بين يدى الآن العدد الرابع عشر من «المعرفة»(١)، وفيه مقال تحت عنوان «الأدب الميت» . ذهب فيه صاحبه الأديب إلى أن الأدب يجب أن يكون باعثاً على حب الحياة والتشبث بها وألا يعرض لنا منها إلا جانبها المزدهر ، أما الأدب الذى يذهب غير هذا المذهب فيجب أن يطوى ويرمى به فى زوايا النسيان . والذى قرأ ما كتبه الأديب الناشىء تحت عنوان أدب الضعف والاستسلام تارة . وأدب الكهول طوراً . وأدب التشاؤم تارة أخرى ، مما لا يكاد يخرج فى معناه عما كتبه أخيراً تحت هذا العنوان ، يخيل إليه أن صاحبنا يحمل رسالة إلى الأدباء وجماعة المشتغلين بالأدب يدعوهم إلى الأخذ بها والعمل بمقتضاها . ولكن محاولته هذه — على نبل مقصدها وتوفر سلامة نية كاتبها — لن تغير من حقيقة الواقع الملموس

(١) يونيو سنة ١٩٣٢ .

ـ. وليس هو بقادر على أن يجعل الكاتب أو الشاعر يعبر عن غير ما يجيش به صدره من
ـلام . وما تطمح إليه نفسه من مثل عليا ، أو ما تضيق به من التبرم بالحياة والسخط عليها .
ـا الأدب إلا تصوير للحياة عامة . والنفس الانسانية خاصة ، فأنت لا ترى شاعراً أو
ـا يقبل على الحياة بكل ما فيه من قوة كى يستمتع بلذائذها وينعم بخيراتها . إلا لأن
ـؤس التى أحاطت به ومظاهر النعمة التى اكتنفته لم تطبع نفسه بغير طابع السرور . فهو
ـد كتب أو نظم فإنما يصور ما هو فيه من رخاء ونعيم . ولا ينظر إلى الحياة إلا بعين
ـا والغبطة ، فالمثل الأعلى عنده اللهو واللعب . إن كان لاهيا لعوبا . أو الجد والعمل
ـكان متقفا مهذبا .

ـيس نرى ذلك كذلك . إذ ترى الكاتب أو الشاعر الذى نشأ فقيراً معدماً أو يتيما لا يجد من
ـف عليه ويبسم له ، أو من أصابته مصيبة ولم يجد من يحنو عليه ويرحم ـ قد برم بالحياة
ـخط عليها ، ولا ينظر إليها إلا بمنظار أسود . وليت الأمر يقف به عند هذا الحد . بل
ـأن يثأر لنفسه من القدر ومن البيئة التى يعيش فيها . تراه وقد عزف عن الحياة متسائلا
ـسر فى وجودى . وما لذة العيش . ومالى أرى الناس يكدحون ويعملون ؟ !

وهذا لا يرى المثل الأعلى إلا فى التقشف والزهد . أو القناعة والرضا . وهذه الحال لن
ـ. ما دام البؤس والشقاء يمشى إلى جانب أفراح الحياة ، وقد يغير الشاعر أو الكاتب رأيه
ـحياة ، إذا ما زال المؤثر . وأصبح ينظر إليها بعين غير العين التى كان ينظر بها فى حالته
الأولى ، سواء أكانت هذه الحال بؤسا أم نعيما .

كذلك الشاب وهو فى ريعان شبابه وميعة صباه يرى ويعمل غير الذى يراه ويعمله الكهل
ـشيخ . فالشعور والعاطفة والحس كثيراً ما تطغى على عقل الأول وتفكيره ، لذا تجده
ـلا إلى الطبيعة وما فيها من جمال . وإلى الحياة وما فيها من لذة ومتعة . أما الثانى ـ وقد ضعفت
ـيه وشهواته ـ ، فترى نظرته إلى الحياة نظرة فلسفية . تجده يكثر من ذكر القضاء والقدر
ـوجود والعدم ، والموت والبعث . والجنة والنار . وهذه الحال أيضا لن تزول ما دام
ـسان فى البدء يكون طفلا ، ثم كهلا ثم شيخا . وفى كل طور من هذه الأطوار له ميوله
ـانه . من هنا يظهر لنا جليا أن الأديب إنما يصور لنا حالته النفسية ويشرح نظرته إلى
ـحياة والبيئة التى يعيش فيها . لذلك نعود فنقول : إن الأدب ما هو إلا تصوير للحياة عامة
والنفس الانسانية خاصة .

ـا ما ذكره حضرة الكاتب من أن السبب فى إخفاق الشرق وجوده وقعوده عن النهوض ،
ـما هو اللون من الأدب الميت ، أو أدب التشاؤم ، أو ما شئت فسمه ، فقول ليس فيه ظل

من البرهان أو عليه مسحة من الحق . ولكن السبب الوحيد وعلة العلل فى تأخر الشرق عن الغرب هو انتشار الأمية فى ربوعه وتكاثف سحب الجهالة فى سمائه ، مما لا يكاد يختلف فى تصويره اثنان. ولا سبيل إلى نهوض تلك الشعوب ، وفكها من ربقة الأسر ، وتخليصها من رق الاستعباد بغير التعليم المنتج المثمر بكل ما فى هذه الكلمة من قوة ومعنى . فأنت ترى العامل الشرقى قوياً جلداً وأكثر عملا من العامل العربى بخلاف ما يذهب إليه حضرة الكاتب من أنه يخلد إلى الكسل ويميل إلى الراحة . بفعل هذه الألوان من الأدب التى يسميها لنا . فاما نرى فى الغرب كثيراً من الفلاسفة المتشائمين الساخطين والأدباء الهاربين الساخرين . ومع لعلم أنهم كانوا فى يوم ما عقبة فى سبيل الحضارة والمدنية .

وهنا أمسك القول خوف الاسراف . فأنا ما أردت بكلمتى هذه إلا بيان حقيقة الأدب بياناً موجزاً من غير تعرض لضرب الأمثال ، أو شرح وتحليل لحياة بعض الأدباء والشعراء . فليس هذا ما قصدت إليه اليوم .

المنصورة — كفر بدواى　　　　　　　　محمد السيد وادى

تهنئة

نجح صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمد أحمد عمارة المحرر بزميلتنا « الجهاد » فى شهادة العالمية هذا العام ، وقد كان فضيلته موضع تقدير ممتحنيه ، كما كان فى مقدمة الناجحين . فنهنئه ونرجو له مستقبلا زاهراً .

أيها المشـــــترك !!

إن « المعرفة » تفخر كل الفخر ، وتتيه على غيرها ، بأنها مجلة المثقفين والعظماء ، وبأن مشتركيها من خاصة العلماء والأدباء فى جميع أنحاء الشرق العربى .

لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية . وما نبذل فى سبيل « المعرفة » من مال وجهد .

فهل أديت واجبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلا ، وتفضل مشكوراً بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .


ابواب المعرفة

العلوم والفنون



(الدنيا الجديدة تعرف للمسلمين في سنة ١٥١٣): هذه الخريطة من عمل المصور الجغرافي التركي الشهير بيري ريس في القرن السادس عشر ، وقد وصفها رئيس جمعية الأبحاث الجغرافية التاريخية وصفاً دقيقاً وقال إن مصورها كان أحد بحارة المستكشف كولومبس ، وقد وجدت في أحد القصور التركية (وقد تحولت إلى متحف) ، وكتب المصور مذكرات على حواشي الخريطة تثبت أنه رسمها في سنة ١٥١٣ ، أي بعد رحلة كولومبس بعشر سنين ، وأن أسماء السواحل والجزر مأخوذ من خريطته.

مكتبة المعرفة

« إسلامى دنيا »

للأستاذ الهندى الأديب السيد « محمود أحمد عرفانى » آمال وأطماع تنطوى على الخير . فهو يرجو أن يوثق عرى الاخاء بين مصر والهند ، وأن يقيم بين الأمتين العظيمتين رابطة قوية من المودة والمعرفة والصفاء .

ولقد عمل لهذه الغاية جهده . فأنشأ من بضعة أعوام مجلته الراقية « إسلامى دنيا » ، وكان يحررها باللغة الهندية، على أنه رأى أن يخطو بأمنيته خطوة حاسمة تحور من لغة المجلة وأصدرها باللغة العربية فى ثوب قشيب .

وليس من شك فى أننا حين نحث القراء على قراءة « إسلامى دنيا » إنما نحثهم على أن يتعرفوا إلى إخوانهم فى الهند ويدرسوا حياتهم على ضوء هذه الفصول القيمة التى تذيعها عنهم هذه الصحيفة الغراء ، وهذا وحده كسب لهم وأى كسب .

صور من الحياة

كتاب من القطع الصغير فى ١١٢ صحيفة — وضع أقاصيصه
الأديب حسن أحمد أبو الذهب

من حق الأقصوصة الصغيرة أن يكون طريقها معبداً سهلا إلى أيدى القراء ، فهى تروح عن نفوسهم ، وتدفع السأم عنها ، وهى — إلى ذلك — تظهرهم على مواضع العبرة والعظة فى سهولة ويسر ، ولقد فطن إلى هـذه الحقيقة جمع من القصاصين فعمدوا إلى إخراج بضعة كتب تضم بين دفتيها قصصاً صغيرة بعضها مترجم وبعضها موضوع .

على أن الترجمة وحدها لا يمكن أن تكون نتاجاً لجهد جهيد يبذله من يريد إخراج الأقاصيص، ذلك أن الأفكار التى يرتضيها جمهور الغرب قلما يستطيبها الجمهور فى الشرق، وهذا ما بعث فكرة التأليف إلى جماعة من الشبان الناهضين .

و « المعرفة » الآن بصدد مجموعة من الأقاصيص أنتجها قلم الأديب القاص « حسين أحمد أبو الذهب » سكرتير مدرسة الفنون الجميلة المصرية بالاسكندرية. وهذه المجموعة تبشر منتجها بمستقبل باهر فى كتابة الأقاصيص ، لأنه يعنى بموضوعه ويقدمه فى لغة سهلة وسياق موفق ، وفى ذلك ما يدعونا إلى حث القراء على الاقبال عليها إقبالا يشجع مؤلفها الأديب على متابعة جهوده والبلوغ بها إلى ما يأمل ويريد .

عدد ممتاز عن مولد رسول الله
أصدرته « الصراط المستقيم »
وهى صحيفة أسبوعية تصدرها جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد

فى ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم ما يحفز الأقلام إلى التجوال فى حلبة القول ، وما يحفز الأفهام إلى المضى فى مراحل التمجيد ، فمولد النبى كان حادثاً رائعاً جليل الأثر باقى الذكر . وحياته ما تزال هى الحياة الداعية إلى الاستقصاء والتبصر ، لأن رسالته الحافلة بالخير قد هيأت للبشر انقلاباً منقطع النظير ، وأتاحت للعالم أن يتحرر من جموده إلى حركة فيها غذاء للنفس ، وفيها غذاء للشعور .

وإذا كانت حياة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد مهدت للكاتبين فى كل عصر مضى إثر رسالته أن يبحثوها ، وأن يذكروا صاحبها بالثناء الجم ، والمديح الوافر ، فإن هنالك صحيفة عربية هى « الصراط المستقيم » التى تصدر فى « بغداد » قد تفردت ـ فيما نحسب ـ من بين الصحافة العربية باصدار عدد ممتاز عن حياة الرسول فى مناسبة مولده الكريم .

ولقد استطاع الأستاذ العالم الأديب كمال الدين الطائى ـ رئيس تحرير « الصراط » أن يبلو النجاح فيما اضطلع به من عبء إصدار هذا العدد الممتاز . فاذا به فى الحق سرحة تجتمع فيها ألوان من الأقلام الطيبة التى تحملها شخصيات كبيرة ، وإذا بهذه السرحة تضم إليها حياة الرسول من جوانبها بحثاً ودراسة وتحليلا وتقريظا .

وهذا من دون ريب عمل نشكر عليه « الصراط المستقيم » ونحمد من أجله جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد .

وحبذا لو تأثرت الصحافة الاسلامية زميلتها البغدادية الكبيرة ، فترقبت أشباه هذه المناسبات ، وهيأت لها أعداداً كهذا العدد الممتاز .

الرق من الوجهة الاجتماعية

رسالة قدمها الباحث المفضال الدكتور على عبد الواحد وافى الأستاذ بمدرسة دار العلوم ، إلى جامعة باريس لنيل إجازة الدكتوراه فى الاداب ، وهى رسالة مكتوبة بالفرنسية فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، ومعها فهارس ومراجع على غاية من الأهمية ، ومعها مقدمة بقلم المسيو (فوكونيه) الأستاذ بالسوربون ؛ وتمتاز هذه الرسالة بأنها مظهر مشرف لنشاط الشبان المصريين الذين رفعوا رأس مصر فى باريس ؛ ومؤلفها الفاضل يعد بحق من أنشط الشبان المجددين الذين جمعوا بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية ، وقد أعجبنا ـ بوجه خاص ـ بالفصل الذى كتبه عن الرق فى الاسلام ؛ فقد أفاض القول فى هذه النقطة ، وقدم لأهل الغرب لمحة عن الحياة الاجتماعية عند المسلمين فى هذه الناحية ، ونحن نثنى على المؤلف أطيب

...ناء ، ويرجو أن يحقق المشروعات التي عرض لها في رسالته ونوه بها المسيو فوكونيه، وننتظر أن تنقل هذه الرسالة إلى العربية بعد زمن قليل . لأن مثل هذه الموضوعات تهم جهود الشرقيين ، وخاصة المولعين بالدراسات الاجتماعية .

والكتاب يطلب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

المطالعة الابتدائية

الجزء الأول في ٩٦ صفحة من القطع الصغير

لمؤلفه الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم

نحن في حاجة إلى تغذية الناشىء تغذية توفر له في مستقبله حياة كلها تطلع إلى المجد . وكلها أمل في السؤدد ، وكلها عمل لما يكون خيراً ، وكلها عرفان لما في الحياة من مباهج وفنون ، وآيات وصنائع ، ودول وآراء ومبتكرات . ولقد كانت هذه التغذية صعب ما يلابسه الأساتذة من عمل . لأنهم يريدون تسجيل الآراء الطيبة في هذه الأذهان الجديدة على التفكير والاستقصاء والاستقراء . وإذا كانت الكتب التي صدرت — حتى الآن — لمطالعة الناشئة وتهذيبهم حملت طائفة منها أثقالا من الغثاثة ، كما حملت طائفة أخرى لواماً من التوفيق ، فإن كتاب «المطالعة الابتدائية» من هذه الطائفة الأخيرة التي ضمت إليها جانب السداد ضماً ، فهو مجموع دراسات سهلة دبجها مؤلفها الفاضل الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم في أسلوب سهل ، وعبارة محكمة الوضع رائعة الأداء . وقد شاء المؤلف الفاضل أن يزيد في رونقه . ويضيف إليه صورة من البهجة ، فزينه بالطبعة الأنيقة . والصور الرشيقة ، وفي هذا كل ما يحبب إلينا أن ندعو لهذا السفر النفيس — الذي صدر منه جزؤه الأول — بالرواج والذيوع .

المحادثة المصورة

كتاب من جزءين : يقع الجزء الأول منهما في ٨٠ صفحة

ويقع الجزء الثاني في ٨٨ صفحة من القطع الصغير

وما دمنا قد تحدثنا عن الأستاذ الأديب «مصطفى محمد ابراهيم» في صدد كتابه الذي سماه «المطالعة الابتدائية» . فمن حقه علينا أن نعاود الحديث عنه في صدد كتابه الأخير «المحادثة المصورة» لأنه عرف بتأليفه إياه كيف يقضي على أولئك المشعوذين الذين يتاجرون بنفسهم سواهم ويقدمون إلى الأطفال نتاجاً غثاً لا قيمة له ولا شأن .

و «المحادثة المصورة» تعطي التلميذ فكرة طيبة عن طريقة الجدل الصحيح : وهي كما قال مؤلفها بحق : جماع من حكايات تهذيبية ، ومحاورات ومحادثات عامة ، وملخصات سهلة جامعة ، وتمرينات متنوعة ، وهي كجميع ما ينتج الأستاذ جميلة التبويب رشيقة الوضع . وقل أن لا يستطيبها تلميذ معنى بثقافته ثقافة تحقق له أسباب الفلاح .

المسرح الجديد

مجموعة من الأقاصيص المسرحية لجمهرة من مؤلفي المسرحيات في الغرب

مترجمة بقلم الصحفي الأستاذ محمود كامل المحامي

للروايات المسرحية مغزى آخر غير تفكهة النظارة . أو اختلاس الدمع من مآقيهم ، هو توجيه النظريات التي تؤدي إلى خير المجتمع ، وتبلغ به موطن النفع والرشاد، وكثيراً ما كانت القصة المسرحية دفاعاً حاراً عن فضيلة مقهورة ، أو بوقاً قويا لاذاعة مبدأ اجتماعي طريف ، أو سوطاً هائلا يوفر القلق والألم على حشود الرذائل التي تقضي على كل ما في القلوب من طمع في اجتناب الشر واجترام الآثام .

ولقد استطاعت القصة المسرحيــة أن تبلغ النجاح في ما خلقت له، كما استطاعت أن تتعهد لاذاعتها أدمغة كبيرة فيها آراء محشودة بالامتاع والاقناع .

وإذا كانت قراءة « المسرحية » الأجنبية غير ميسورة لآلاف من الشرقيين الذين لا يلمون بواحدة من لغات الغرب ، وإذا كان شهود هذه المسرحيات في المسارح التي تمثل فيها غير ميسور للملايين من الشرقيين الذين لا يستطيعون النزوح إلى « لندن » أو « باريس » ، فإن الأستاذ الأديب محمود كامل المحامي،قد قرب هذه المسرحيات ـ بمغزاها وصورها ـ إلى أولئك الذين ينشدون العظة الطيبة ، والعبرة الصادقة،حين عمل على ترجمة عشرات من هذه المسرحيات ترجمة تحليلية رائعة التوفيق.

حياة الشرق

كتاب من القطع المتوسط في ٣٨٤ صفحة

ألفه الأستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

وعضو المجمع العلمي العربي

يجاهد الأستاذ الكبير محمد لطفي جمعه المحامي، في سبيل الاسلام والشرق جهاد الأبطال المستميتين، وهو داعية من دعاة العرب الذين احتسبوا حياتهم لهذه الدعاية، باذلين في إذاعتها جهد ما تطيقه النفس البشرية من جهود ، وهو بحاثة تستشف جلال بحثه متى قرأت البحث الذي رحبه في أناة وصبر ، لأنه لا يترك ـ حين يبحث ـ مجالا للشك ، ولا موضعا يباعد القارئ عن موطن الاقتناع .

ولقد أصدر كتابه الأخير «حياة الشرق» فإذا هو جولة صادقة في ممالكه وبين طرفه وفي دخائل شعبه وشعوبه. وإذا هو سرحة تفيء إليها كل أمنية من أماني المصلحين. وإذا هو آخر الأمر صورة صادقة التعبير لوجوه الحياة التي جابهت الشرق من قرون.

وإذا كانت بحوث الأستاذ لطفي جمعة معروفة بين قراء العربية بما يفيض عليها من التجويد في الاستقصاء، والدقة في أداء الفكرة، والجودة في ملابسة التصوير - فإن كتاب «حياة الشرق» لا يقل في شيء عما أنتجه الأستاذ. وإنما يزيد عن كل ما أنتجه بوحدة موضوعه، وجدة الآراء التي ازدحمت بين دفتيه.

وما نشك في أن إقبال الناطقين بالضاد على اقتناء «حياة الشرق» سيكون الاقبال اللائق به هذا السفر النفيس.

نداء الجنس اللطيف

كتاب من القطع المتوسط في ١٢٤ صفحة

ألفه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار»

ترقب الأستاذ السيد محمد رشيد رضا فرصة اليوم الذي يحتفل فيه المسلمون بذكرى المولد النبوي الشريف هذا العام، فأصدر كتاباً فريداً في بابه هو «نداء إلى الجنس اللطيف» وقد دل عنوانه على مراميه. وأفصح عن صوره ومعانيه. فهو في الحق تاريخ شامل لحياة المرأة في العرب. وحياتها في غير العرب من شعوب. وهو سرد منطقي لعلاقتها بنفسها. وعلاقتها بالمجتمع، وقيمتها في الاسلام. وقد فند الأستاذ فيه مزاعم ما يزال أعداء الاسلام يتعهدون بها المرأة المسلمة. فكان موفقا في سياق حججه. وكان قويا في أداء أفكاره. شأنه في كل ما يزاول من بحوث، فنحمد إلى السيد رشيد هذا الجهد الذي يتوفر به على خدمة الاسلام في كل ناحية من نواحيه.

تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

الجزء الأول منه في ١١٣٤ صفحة

مؤلف بقلم السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار»

في حياة المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما يغري الكاتب على الاستقصاء في تصورها، وما يغري القارئ على استيعاب فصولها. لأنها كانت حياة تمثل وثبة هائلة من وثبات الاصلاح الحميد. فالمرحوم الشيخ محمد عبده لم يكن رجلا من رجال الدين المادرين فحسب. وإنما كان رجلا من أولئك الذين تختص كواهلهم أعباء الدنيا كلها. فله في الدينيات مثل ما له في الاجتماعيات، مثل ما له في السياسيات. مثل ما له في كل ضرب من ضروب الأفكار والآراء التي تتحدث عن شتات وشتات من ألوان الآداب والفنون والعلوم.

ولقد لابس الأستاذ الامام في حياته جمهرة من «الظروف» التي خلقت لهذه الحياة

العيدة حركة دائمة، ودوياً منقطع النظير ؛ وكانت أيامه مثلا للحكمة الدائعة القائلة بأن الدهر قلب، والأيام حول » ، فبينما تراه قد بلغ الصميم من تقدير « رجال الحل والعقد » ، إذا بك تراه في يوم آخر منفياً مشرداً . ذلك أنه كان من رجال العقيدة، الذين لا يرون في الدنيا إلا أنها داعية إلى العمل، وباعثة على بذل الجهود الجبارة في ذمة الاصلاح. ومن شأن رجال العقيدة أن تكون حياتهم حياة قلقة، وأن يكون مقامهم بين الناس مقاماً موزعاً، في أفهامهم لكل عقل فيه اتجاه خاص ... على أن أولئك الرجال البارزين قلما ينالون بعد مماتهم قسطاً من التمرد، وكثيراً ما فاضت إليهم من ألسنة الأحياء دعوات صالحات .

ولقد توفر السيد رشيد رضا على حياة الأستاذ الامام فأذاعها في ثلاثة أجزاء كبيرة، قدم منها جزءين، ثم أتبعهما بالجزء الأول الذى نحن في صدده .

وإذا نحن أردنا أن نقرظ جهود السيد رشيد، فلن يكون في ذلك التقريظ غنية ـ لكل من يعجب بالأستاذ الامام ـ عن تلاوة تاريخه المفصل الذى تسمى له الرواج والذيوع .

هدية السنة الاولى

الرسالة العذراء

« الرسالة العذراء » اسم لرسالة نفيسة، تعد إحدى ذخائر الأدب العربى النفيس : لابراهيم بن المدبر، حوت من جليل البحث، وطريف الفكر، ورقة الأسلوب، وسلاسة اللفظ، ما جعلها ـ بحق ـ كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية، تناول الكلام فيها عن فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث، الأستاذ البحاثة والعالم الفاضل الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى).

ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها، لنبعث بتلك الهدية إليهم .

بين المعرفة وقرائها

مميزات الأدب الروسى

(النجف . العراق) السيد سعى الحسى — ما هى مميزات الأدب الروسى ؟

(المعرفة) يمتاز الأدب الروسى على غيره بسرد حوادث القصة سرداً تقريرياً، متمشياً فى ذلك مع المذهب الواقعى (Realism) ، فلا أثر فيه للخيال غالباً ، وثمة ميزة أخرى لا تقل عن سابقتها شأناً ، تلك هى اعتماده على التحليل النفسى ، والاستقراء المنطقى ، ثم هناك بعد ذلك ميزات أخر كتب عنها الأستاذ ثابت الفندى فى الجزء الأول من السنة الثانية « للمعرفة » الصادر فى أول مايو سنة ١٩٣٢ فارجع إليه إن شئت .

السياحة حول العالم

(الكويت . خليج فارس) الحاج عامر بن على السامرى — لى رغبة قوية للسياحة حول العالم مشيا على الأقدام ، فهل فى مستطاعى ذلك دون اللجوء إلى ركوب البحر ؟ وهل هناك من يساعدنى ماليا على القيام بهذا العمل الجليل ؟ وهل تستطيعون ذكر أول سفينة طافت حول العالم ؟

(المعرفة) يقول نابليون « ليس فى العالم شىء اسمه المستحيل » ونزيد على هذه العبارة قولنا « إذا صدقت النية وصحت العزيمة ». فليس إذن من حائل يمنعك تحقيق رغبتك إن توفر لك صدق النية وصحة العزيمة ، ولكن لا بد من ركوب البحر ، فى أكثر بقاع العالم .

أما المساعدة المالية يا بطل ! فقد تكون بعيدة التحقيق ، إلا إذا عرضت فكرتك على إحدى الجمعيات العلمية ، ونالت قبولها واستحسانها .

أما أول سفينة دارت حول العالم ، فهى سفينة الرحالة البرتغالى العظيم (ماجلان Magleo)، وقد كان ذلك فى أول القرن السادس عشر على ما نذكر .

الأشهر العربية

(طهران . فارس) شيخ أحمد خان آقا زاده — لاحظت مراراً عدة . أنكم تعنون بتأريخ مجلتكم بالتاريخ الأفرنجى أكثر مما تعنون بالتاريخ العربى . فما هو السبب فى ذلك ؟

(المعرفة) نشكر لحضرة السائل غيرته الاسلامية ، وحميته العربية ، وإن كان فارسيا ، ونجيبه — والأسف يملأ قلوبنا — بأن الأشهر العربية أصبحت غير معروفة فى أكثر البلاد الشرقية ، وليس من شك فى أن ذلك راجع إلى استبداد الغرب بالشرق . بل نصارح حضرة السائل القول ، بأن أغلبنا — معشر المصريين — لا يكاد يحفظ الشهور العربية . فهل يريدنا السيد على أن نؤرخ لأهل المريخ ؟

ومع هذا فأى جزء من أجزاء « المعرفة » لم تجد فيه التاريخ العربى موضوعاً إلى جانب التاريخ الافرنجى ؟ ذلك ما لم يحصل مطلقا . فلعل حضرة السائل يراجع جميع الأعداد الماضية ليتحقق صدق ما نقول .

ونسجل هنا ما عثرنا عليه فى بعض قراءاتنا ، وهو أن معظم المؤرخين المسلمين كانوا يؤرخون الحوادث بالتاريخ الافرنجى منذ الحرب الصليبية .

أيهما يتزوج ؟

(القاهرة . مصر) عبد اللطيف سليمان — إننى موظف بأحدى الشركات التجارية ، وبلغ من العمر ٢٠ سنة ، وأريد الزواج ، غير أن هناك عقبة تحول بينى وبين الاسراع فى الزواج ، وذلك أن لى قريبتين : إحداهما معلمة بأحدى المدارس الابتدائية الأميرية ، والثانية طبيبة أو بالحرى (مولدة) بأحدى المستشفيات التابعة لمصلحة الصحة ، ولا أستطيع المفاضلة بينهما ، فهما متساويتان تقريباً فى السن والجمال والثقافة والخلق ، وأصارح حضرة المحرر بأنى أحب الاثنتين حباً جماً ، ولست بقادر على التخلص من حب إحداهما والانفراد بحب الثانية ، أو تركهما معاً بلا حب .

وقد قرأت للمحرر كلمات كثيرة تثبت أنه لا يؤمن بصلاحية الزواج الذى يبنى على غير الحب ، وعليه فليس من المعقول أن ينصحنى بترك الحب . فماذا أعمل ؟ ومن منهما أتزوج ؟ مع العلم بأن الاثنتين يبادلانى نفس الحب الذى أكنه فى قلبى لهما ؟

(المعرفة) إن مسألتك يا سيد عبد اللطيف فى منتهى البساطة ، وإن كانت تبدو معقدة كل التعقيد . وحرى بك أن تسأل أنت نفسك أيهما تحب ؟ ولا تندهش لطلبى هذا ، فـ« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » . ولست أومن بهذا الحب المشترك ، وإنما أومن بأن الحب واحد لا تغيره الأعاصير أو تبليه الأيام ، إلا إذا كان ذلك الحب — الذى تحدثنا عنه — من النوع الآخر ، وهو الشائع — للأسف — بين شبان العصر وشوابه . فان كان حبك شريفاً — وهو ما أرجوه — فروح من يرشدك إليها قلبك . وفى مكنتك أن تخلو إلى نفسك دقائق معدودة ليصارحك بمن تصلح لك .

ولا عبرة يا سيدى بأن تكون معلمة أو طبيبة ، أو (مولدة) كما أردت ان تسميها ، فرب مولدة خير من كثيرات من المعلمات المتسكعات ، ولست أقول الجميع ، فانى أعرف من هذه الطائفة كثيرات فضليات تفخر بهن مصر وتعتز .

ثم إنه يبدو لى أنك يا أخى تحب المعلمة لا الطبيبة ، وعندى على ذلك الظن دليلان : أولهما تقديمك المعلمة على الطبيبة فى أول سؤالك ، والتقديم دليل المفاضلة ، وثانيهما أنك تعمدت الازراء بالطبيبة فسميتها « مولدة » . وهذا إزراء فى غير موضعه ، إذ حسب « المولدة » شرفاً أنها تخدم الانسانية جمعاء دون تفريق أو تمييز .

مخترع طوابع البريد

(صالحجر . مصر) على ربيع — ما اسم ذلك الرجل الذى اخترع طوابع البريد ؟ وفى أى سنة ظهر اختراعه ، وما هى أولى الدول استعمالا له ؟

(المعرفة) أما المخترع فاسمه شارل مرز ؛ أما جنسيته فانجليزية ؛ أما السنة التى ظهر فيها الطابع فسنة ١٨٣٤ م ؛ أما أولى الدول استعمالا له فانجلترا ـ وهذا بديهى - وإن كنا نحققناه بعد ذلك .

الصحافة والاعلان

(أسوان . مصر) محمد رمالى — نسمع كثيراً أن الصحافة فى جميع بلاد العالم ، لا يمكن ظهورها ما لم يكن فيها إعلانات ، وخصوصاً فى البلاد الأوربية ، فهل هذا صحيح ؟ وهل من خطر على خطة الصحيفة التى تعتمد على الاعلانات ؟

(المعرفة) فى الحق أن الاعلانات قوام الصحف التى لا غنى لها عنها ، إذ أن الأجور التى تدفع عنها تسد العجز الذى يحدث فى نفقات الجريدة ، وكلما كثرت الاعلانات فى الصحيفة ، كلما قلت خسائرها وعوضتها أرباحاً . ولا تدهش من كلمة « خسائر » ، فان الصحيفة التى تدفع فيها ٥ ملليمات تكلف إدارة الجريدة أكثر من ٧ ملليمات ، ولا تأخذ الادارة سوى ثلاثاً أو ثلاثاً ونصفاً من الملليمات . فهذه الخسائر لا يعوضها سوى الاعلانات ؛ ولهذا نقرأ فى بعض المجلات العلمية بانجلترا ـ التى لا تعتمد على الاعلانات ـ نقداً مراً للصحف اليومية ، تتهمها فيه بأنها ـ أى الصحافة اليومية ـ مهددة دائماً بسلطة أصحاب الاعلانات الذين ينكبون على ابتياع أسهمها ، ويملون إرادتهم فى تحريرها وتنظيمها ، ويمنعون محريرها أو من يراسل الجريدة من قرائها ، نشر أى شىء يمس مصالحهم المالية .

وسيتحقق لك قولنا أكثر إذا علمت أن ورق الصحيفة إذا بيع خاماً أبيض كان ثمنه أكثر مما لو بيع مطبوعاً .

طاو وكونفشيوس

(بير السبع — فلسطين) جرجس صوما — نقرأ كثيراً عن الفلسفة الصينية ، ولكننا لم نعرف شيئاً عن مذهبى طاو وكونفشيوس ، فهل لكم أن تتفضلوا بتعريفنا عنهما ؟

(المعرفة) نشرنا سلسلة مقالات عن هذين المذهبين ، بعضها فى السنة الأولى « للمعرفة » وبعضها فى جريدة « العلم » التى تصدر فى القاهرة ، ونذكر أن ما كتبناه فى « العلم » كان حوالى ابريل ومايو سنة ١٩٢٩ ، فارجع إليه إن شئت .

مقالاتنا فى الفلسفة والتصوف

(اسكندرية . مصر) محمد أحمد صيام — كنتم فى السنة الأولى من حياة « المعرفة »

تمنون كل العناية بالكتابة عن المذاهب الفلسفية والصوفية ، وقد قرأت لكم عدة مقالات فى ذلك ، كانت موضع إعجاب كل من رآها ، بل كانت فتحاً جديداً فى عالم البحوث العلمية الدقيقة ، وإنى لأذكر ان قريباً لى من أساتذة الجامعة المصرية صرح: بأن بعض هذه المقالات لو جمع وقدم إلى إحدى الجامعات لمنحتكم إجازة علمية جديرة بمثل هذه البحوث ؟ فلماذا امتنعتم عن مواصلة البحث فى مثل هذه العلوم الدقيقة ؟

(المعرفة) لسنا نجد رداً على مديحك أكثر من عبارة «أخجلتم تواضعنا» التى قالها « سعد زغلول» الزعيم الخالد فى مثواه. أما المانع من مواصلة البحث ؛ فظروف كثيرة ، أهمها عدم استعداد أكثرية الشبان لفهم تلك البحوث ، وانصرافهم إلى مغريات الحياة ، ولا ننس أن عنصر الشباب عنصر قوى فى رواج الصحف .

ولو أنا رأينا من الجمهور معاونة صادقة تعوض علينا بعض ما نخسر ، وبعض ما نلقى من عنت الجامدين ودسائسهم ، إذن لواصلنا البحث ؛ ومع هذا فانا نعدك بالكتابة فى ما طلبت إن شاء الله ، وكل آت قريب .

رجاء

نرجو حضرات المؤلفين الذين بعثوا إلينا بكتبهم ، أو الصحفيين الذين بعثوا إلينا بصحفهم ، ولم نشر إليها ، أن يتفضلوا بارسال نسخة أخرى مما بعثوا ، أو يكتبوا إلينا مذكرين . وقد يكون من الخير لحضراتهم ، لو بعثوا – فى المستقبل – بنسختين مما يؤلفون .

هل أعجبك هذا الجزء ؟

أيها المصرى !

« المعرفة » ترجوك الاجابة عن هـذا السؤال « هل أعجبك هذا الجزء ؟ » ، فان كان جوابك إيجاباً ؛ فهل ناصرتها وعملت على نشرها بين إخوانك وأصدقائك وزملائك المصريين؟

إن « المعرفة » لها فى عنقك دين ، هو دين القومية ، فهل أديت ما فى عنقك لأخيك المصرى ؟

قدم « المعرفة » إلى أصدقائك وأعزائك ، وأرشدهم إلى ما يعجبك فيها .

أو فأرشدنا الى ما يروقك ، وما لا يروقك ، واذكر ما تراه من نقص ، فان فعلت – مخلصاً – أفدتنا أكثر مما نفيد من المديح والثناء .

اعتـذار

نعتذر لحضرات الأدباء الذين يبعثون إلينا بمقالات قد يتأخر نشرها شهراً أو شهوراً ، راجين أن يعتقدوا بأنا نحل آراءهم محلها من العناية والتقدير ؛ وأن نشر مقالاتهم مرهون بمناسباتها الملائمة .

فهرس المعرفة

الجزء الخامس من السنة الثانية

أبواب المجلة

مطبعة المعرفة